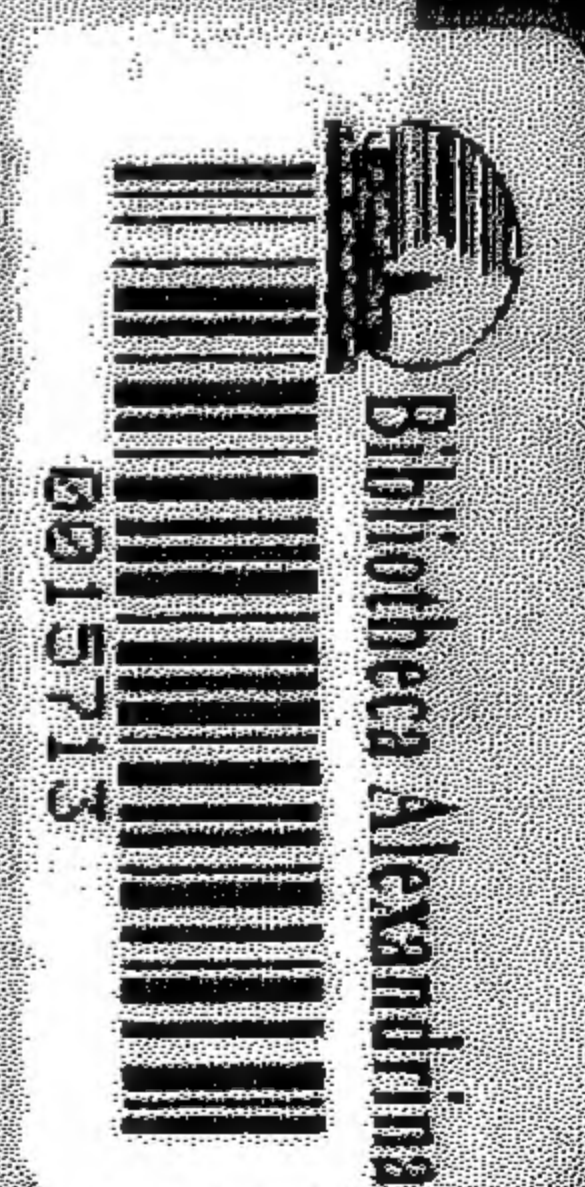


نتائج المكتبة

الجزء الخامس



مكتبة

تاريخ الكنيسة

الجزء الخامس

الدكتور القس جون لوريير

ترجمة: عزرا مرجان



General Organization of the Alexandria
Library (GUAL)

Bibliotheca Alexandrina



طبعة أولى

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر
أو طبع بالرونيو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر وحده حق
إعادة الطبع).

١. / ٥٢٧ ط ١ ك ٥ / ٣ - ٣ / ٩٢

رقم الايداع بدار الكتب : ٩٧.٦٠ / ١٩٩١

دولي: ٢ - ٧٤ - ٢١٣ - ٩٧٧

جمهورية سيويرس ت: ٩.٢٦٦٧ - ٩.٦٦٨٣

طبع بمطبعة دار الطباعة القومية

هذا الكتاب نهديه لذكرى
كريمتنا المحبوبة
كاترين آن لوريمر
التي عاشت معظم أيام حياتها في مصر
وأحبت شعب مصر

جون وماري لوييز لوريمر

مقدمة المجلد الخامس

استعرض المؤلف تاريخ الكنيسة حتى القرن السادس عشر في المجلدات الأربعة التي صدرت. وفي هذا المجلد فإنه يستكمل المسيرة باستعراضه تاريخ الكنيسة من القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين بدءاً من حركات التنوير في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وانتهاءً بالأرثوذكسية الجديدة في القرن العشرين، بل إنه يختتم المجلد بفصل خاص عن المسيحية العالمية في سنة ١٩٨٠.

وهذا المجلد هو في حقيقة الأمر من المراجع الهامة التي يفيد منها كل دارس أو باحث في تاريخ الكنيسة من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين.

دار الثقافة

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

التنوير في القرنين السابع عشر والثامن عشر

العصرية في القرن التاسع عشر

والأرثوذكسية الجديدة في القرن العشرين

أولاً: التنوير ٢٨

(أ) الانتقال إلى الحقبة «العصرية» ٢٨

هل كان الإصلاح عصرية أم منتمياً للعصور الوسطى؟ - التغييرات
التي جاء بها الإصلاح - تغييرات القرن السابع عشر في المجتمع
الأوروبي - سلام وستفاليا نقطة تحول - الأرض تدور حول الشمس -
العلم يتحدى علم اللاهوت - استمرار الصراع بين العلم والدين.

(ب) المذهب العقلاني في القرن السابع عشر ٣١

حركة التنوير تبدأ في القرن السابع عشر - رينيه ديكارت Rene De-
Scartes ديكارت «يؤمن بالتأليه الطبيعي». توماس هوبز Thomas
Hobbes «بلونت» و«تولاند» Blount & Toland العقلانية والتأليه الطبيعي
يصبحان مألوفين - ليبنيتز Leibnitz العقلاني - عالمنا أفضل العوالم
الممكنة - ليبنيتز مسيحي مخلص - جون لوكي John Locke لوكي
مفكراً سياسياً - المعرفة لا تأتي إلا من الاختبار - العقل هو الاختبار
النهائي - مكان الإعلان الإلهي - معقولية المسيحية - المجتمع الأخلاقي -
العقل والإيمان - لوكي والتسامح - العقلانية ثورة في الفكر.

(ج) حركة التنوير في القرن الثامن عشر ٤١

١- دافيد هيوم David Hume (١٧١١ - ١٧٧٦)

هجوم هيوم على (المؤمنين بالتأليه الطبيعي) - هيوم ينكر المعجزات
- هيوم ونظرية التطور - هيوم ينتقد العقائد السماوية - هيوم رجل متدين.

٢- فولتير Voltaire (١٦٩٤ - ١٧٧٨)

و

ديديرو Diderot - (١٧١٣ - ١٧٧٣)

فولتير يناقض نفسه-فولتير يؤمن بالتأليه الطبيعي-فولتير يهاجم
الكنيسة-آراء فولتير عن العبادة - ديديرو يفضل الفلسفة على علم
اللاهوت-ديديرو والتطور-كاهن ينكر إيمانه

عقلانية المفكرين السياسيين الأمريكيين - الأخلاق تنفصل عن الدين
- قادة الكنيسة يهاجمون العقلانيين .

٣- إيمانويل كانط الألماني Emmanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤)

«كانط وحتمية استخدام المقولات - كانط ناقدًا للكنيسة»

- ثانياً: علم اللاهوت في القرن التاسع عشر
 ٥٢ ويدايات العصرية
- علماء اللاهوت الألمان
 (أ) فريدريك شليرماخر Friedrich Schleiermacher
 ٥٢ (١٧٦٨ - ١٨٣٤)
- إيمان الإنسان يبدأ بشعور الاتكال - الوعي بوجود الله شائع في كل
 الأديان - وعي المسيح التام بالله - الوعي بالله في الكنيسة -
 الكنيسة المنظورة وغير المنظورة - لا كهنوت في الكنيسة - وحدة
 الكنيسة - تأثير شليرماخر.
- (ب) آراء راديكالية جديدة في الدراسات الكتابية،
 ٥٥ نظرية التطور
- النقد الكتابي - استراوس ينكر المعجزات - شارل داروين والتطور
 Charles Darwin and Evolution | الداروينية تثير قضايا حول الكتاب
 المقدس - رجال الكنيسة الليبراليون يساندون نظرية التطور - العلم
 والدين - «رتشل» Ritschl يفتش عن المجتمع المسيحي الأصلي -
 إعلان الله في يسوع المسيح - ملكوت الله - علماء اللاهوت الذين
 تأثروا بريتشل - الإنجيل الاجتماعي.
- (ج) مذهب التوحيد Unitarianism ٦٠
- ردود الفعل تجاه الليبرالية - الموحدون الأوائل - الموحدون في
 القرنين السابع عشر والثامن عشر في إنجلترا - تشانينج في أمريكا
 William E. Channing - الموحدون يتحدثون مع القائلين بخلص الجميع.

- ٦١ (د) أفكار ختامية عن مواجهة الكنيسة مع «العصر الحديث».....
- العلم يتحدى سلطة الكنيسة - اللاهوتيون الذين سعوا إلى حل وسط.
- ٦٤ ثالثاً: الاتجاهات اللاهوتية في القرن العشرين
- ٦٤ (أ) رد المحافظين على الليبراليين
- لويس مونيدي Lux Mundi - التمسك بالأصولية Fundamentalism -
الاكتشافات التاريخية والأثرية (علم الآثار) - ب.ت. فورسيث P.T. Forsyth
- ص.س. لويس C. S. Lewis - دوروثي سايرز Dorothy Sayers
- ٦٨ (ب) الأرثوذكسية الجديدة
- السخط على الليبرالية - سورين كيرك جارد ... و«قفزة الإيمان»
Soren Kierkegaard - فشل الليبرالية - إعادة النظر في معنى ملكوت
الله - كارل بارت Karl Barth - طبيعة الإيمان - قوة الإنجيل - رينولد
نيبور Reinhold Niebuhr - ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer الآثار
الإيجابية للأرثوذكسية الجديدة - الآثار السلبية للأرثوذكسية الجديدة.
- التقوية والصحوات العظمى
و«الإنجيلية البروتستانتية» من القرن السابع عشر
حتى القرن العشرين
- ٧٤ ١- التقوية في القرنين السابع عشر والثامن عشر
- (أ) سبينر وفرانك الألمانيان Spener & Francke
- سبينر يحاول تحسين حياة الكنيسة الروحية - كنائس صغيرة داخل

الكنيسة - تعليم سبينر عن التقوى - معارضة من الكنيسة اللوثرية -
جامعة تتسم بالتقوى في «هال Halle» - فرانك يشجع التقوى - فرانك
يعين في جامعة «هال» - فرانك يوسع الخدمة في جامعة «هال» Halle

(ب) الكونت نيكولاس لودفيج فون زينزندورف (١٧٠٠-١٧٦٠)

٧٦ - (١٧٦٠) والمورافيون ٧٦

Count Nicolas Ludwig Von Zinzendorf - زينزندورف تقوى منذ شبابه
- اللاجئون المورافيون وتأسيس قرية هيرنهوت Herrnhut - زينزندورف
ينضم إلى المورافيين - المورافيين كنيسة مرسلية - زينزندورف يطرد من
سكسونيا - الكنيسة المورافية يعترف بها في ألمانيا - زينزندورف يتبرع
بثروته للكنيسة - زينزندورف يلهم الحركة الإنجيلية.

٢- الحركة الإنجيلية في إنجلترا «جون وسلي» John Wesley (١٧٠٣-١٧٩١).

٨. (أ) المناخ الديني ٨.

مستوى روحي منخفض في الكنيسة الإنجيلية - تأثير العقلانية -
«وليم لو» و«اسحق واتس» William Law & Isaac Watts - جمعيات دينية
غير رسمية - الأخوان «أرسكين» في اسكوتلاندا و«هاريس» في ويلز
(Erckines and Harris).

٨٢ (ب) جون وسلي والميثودية Methodism ٨٢

حياة وسلي المبكرة - النادي المقدس - جورج هوايتفيلد George
Whitefield - جون وشارل وسلي مرسلان لأمريكا - تثبيط عزيمة جون

وشارل ... حكاية حب مع جون- وسلي في فتور روحي - قلبي يشعر
 بدفء غريب - وسلي يعظ عن الولادة الجديدة - وسلي يقابل
 زينزندورف-بدء خدمة وسلي التبشيرية-التهديد بجهنم والوعد بالسما
 - العالم أبروشيتي-الدهماء يهددون الميثوديين-وسلي سياسي محافظ
 - قدرة وسلي التنظيمية-وسلي يحافظ علي الميثودية في إطار
 الكنيسة الإنجليكانية-عقيدة «الكمال» Perfectionism - وسلي وعقيدة
 سبق التعيين-وسلي وهوايتفيلد يختلفان مع الكونتيسة هانتينجدون
 Countess of Huntingdon - وسلي ونشاطه العظيم - وسلي علي ظهر
 الجواد - وسلي ناقدًا للثراء والترف - وسلي يعطف على الفقراء -
 وسلي يتبرع للفقراء-وسلي والأخلاق العامة - زواج وسلي التعيس -
 شارل ينفصل عن جون - شارل وسلي مؤلف الترانيم- الميثودية في
 أمريكا - أخيراً تنفصل الميثودية عن كنيسة إنجلترا - وسلي يموت في
 سنة ١٧٩١.

(ج) حركات إنجيلية أخرى في القرن الثامن عشر في

إنجلترا..... ٩٦

فريق «كلاهام Clapham-الاستهزاء بالإنجيليين-توماس شالمرز
 الاسكتلندي Thomas Chalmers - تأثير الإنجيليين على الأخلاق العامة-
 نماذج متشددة للإنجيليين.

(د) الاهتمامات الإنسانية للإنجيليين ٩٨

هوارد وإصلاح السجون-ولبرفورس وتجارة العبيد-الأدب المسيحي-
 رايكيز وحركة مدرسة الأحد Raikes الحركة الإرسالية الحديثة.

الموضوع	الصفحة
٣- الصحوة الكبرى في أمريكا	١.١
(أ) الوضع الديني	١.١
الاستيطان الأوروبي في أمريكا - التدهور الروحي.	
(ب) بداية الصحوة الكبرى	١.١
الصحوة الكبرى حركة وطنية - تيودور فريبلنجهايزن Theodore Fre-	
linghuysen - جلبرت تانيت Gilbert Tennet	
(ج) يوناثان إدوارد (١٧٠٣ - ١٧٥٨)	١.٢
حياة إدوارد المبكرة - انتعاش العقل والقلب والإرادة - خطأ في	
يدي إله غاضب - شونسي Chauncey ينتقد العاطفية - إدوارد يرد	
على شونسي - خدمة إدوارد الختامية.	
(د) جورج هويتفيلد والصحوة العظمى George White-	
field - ١٠٥	
جولات هويتفيلد القومية - فرانكلين يعجب بهويتفيلد - فرانكلين	
يضع مقدمة في طبق العطاء - الصحوة تنتشر إلى كنائس أخرى.	
(هـ) نتائج الصحوة العظمى	١.٧
الصحوة توحد الأمة-الصحوة تمخض للديمقراطية- الدين يصنع المواطن	
الصالح-الصحوة تعد الثورة-التفاوت بين الكنيسة والدولة في فرنسا.	

الموضوع	الصفحة
٤- الصحوة العظمى الثانية والعقيدة الإنجيلية	
اللاحقة	١١٠
(أ) تجديد النهضة في أمريكا	١١٠
اجتماعات المعسكرات-كرازة ببساطة-العاطفية-الراكب الطواف- بيتر كارترايت Peter Cartwright - النهضة في الكليات-شارل فيني Charles Finney - أساليب فيني الجديدة - الجانب السلبي للنهضات.	
(ب) النهضة والجمعيات التطوعية	١١٣
بوشنيل والتهذيب المسيحي Bushnell - كليات الكنيسة - الأخلاق العامة - إلغاء الرق - جيش الخلاص - جمعيات الكتاب المقدس تساعد العمل المرسل - منظمة اتحاد جمعيات الكتاب المقدس - الاهتمام بالروح والجسد.	
(ج) طوائف وقطاعات جديدة تمت ضمن حركات النهضة وبجانبيها	١١٧
أسباب انقسام الكنيسة-تلاميذ المسيح-الإخوة البلاميس-المجيء الثاني-الآمال السياسية والعصر الألف-السبتيون الأدفنتست Seventh Day Adventists - شهود يهوه - المورمون The Mormons	
(د) مبشرون إنجيليون بارزون	١٢٠
شارل سبرجن-سبرجن ينسحب من المعمدانين-دوايت مودي Moody - نجاح مودي-مودي والتهذيب المسيحي-بيلي ساندي-بيلي جراهام	

Graham Billy تأثير بيلي جراهام - بيلي جراهام يشجع الكنائس المحلية.

١٢٥ الحركة الإرسالية الحديثة

مقدمة

المصلحون غير مهتمين بالإرساليات - واجبهم ربح البعيدين عن المسيح - ضمير الكنيسة يستيقظ - الانتشار العالمي للمسيحية - الكنيسة الأولى تقوم بالعمل المرسل.

أولاً : الكنيسة تقوم بالعمل المرسل قبل القرن الثامن

عشر ١٢٨

١٢٨ (أ) الإرساليات المبكرة إلى الجزر البريطانية وأوروبا...

باتريك الأيرلندي - كولومبا الاسكتلندي - كلوفيس ملك الفرنجة Clovis - أغسطينوس من كانتربيري - أدوين ملك يورك - ويلي بورد من هولندا - بونيفاس من ألمانيا - الإيمان المسيحي في أوروبا.

١٣٢ (ب) الإرساليات المسيحية المبكرة إلى الشرق

١- الأقاليم السلافية . Slavic

قسطنطين وميثوديوس إلى مورافيا - الكتاب المقدس باللغة السلافية المسيحية في روسيا

٢- المسيحية في الصين

النسطوريون في الصين في القرن السابع عشر - الإمبراطور يرحب بالمرسل - المسيحية تخرج من الصين.

الموضوع	الصفحة
(ج) الإرساليات المسيحية في أواخر العصر الوسيط	
من سنة ١٠٠٠ - ١٤٠٠.....	١٣٤
فرنسيس الأسيسي ورامون لول في الشرق الأوسط - الدومينيكان في أوكرانيا - الفريز «جون» وسط المغول Friar John	
(د) الإرساليات أثناء عصر الاكتشاف سنة	
١٥٠٠-١٧٠٠.....	١٣٦
١- أمريكا الجنوبية.....	١٣٦
أسبانيا والبرتغال في الأمريكتين - قسوة المستكشفين - دي لاس كاساس يدافع عن الوطنيين Delas Casas	
٢- آسيا.....	١٣٨
زافيه اليسوعي Xavier في الهند - زافيه يبشر اليابان بالإنجيل - المسيحيون يُضطهدون في اليابان - ريتش Ricci في الصين - دي نوبيلي De Nobili في الهند - الفيليبين - بروبا جندا Propaganda	
ثانياً: الجهود البروتستانتية المرسلية المبكرة في	
القرنين ١٧ و ١٨.....	١٤١
الكاثوليك ينتقدون البروتستانت - البروتستانت يدافعون عن أنفسهم - الهولنديون في أندونيسيا- تبشير أمريكا بالإنجيل - جون إليوت مرسل إلى الهنود الأمريكان - إليوت يترجم الكتاب المقدس - الإرسالية الدانمركية في الهند - رسائل زيجنبالج - شوارتز في الهند - هانزايجيد في جرينلاند - الكتاب المقدس بلغة الإسكيمو - نجاح ضئيل في القرن ال ١٨ - موقف سلبي نحو أهل البلاد - الاعتماد المرسل.	

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: القرن التاسع عشر (حتى سنة ١٩١٠).....	١٤٧
العصر العظيم للإرساليات البروتستانتية	١٤٧
(أ) مقدمة	١٤٧
١- أسباب الزيادة في النشاط المرسل.....	١٤٧
قوة البخار والمزيد من الاستكشافات - إلغاء تجارة العبيد - إلهام النهضة الإنجيلية - جمعيات جديدة للإرساليات.	
٢- تحسينات في استراتيجية العمل المرسل	١٤٨
التأكيد على التعليم والطب والتمريض - النساء مرسلات - الحاجة إلى كنائس وطنية.	
(ب) من سنة ١٧٩٢ - ١٨٥٨	١٤٩
١- الهند	١٤٩
وليم كاري يذهب إلى الهند William Carey - كاري يلقي معارضة ويترجم الكتاب المقدس - استراتيجية كاري للعمل المرسل - نجاح استراتيجية كاري - كاري المرسل الرائد - هنري مارتن Henry Martyn - أول مدرسة لاهوت هندية - الكسندر داف Alexander Duff مبعوث المشيخين الاسكتلنديين - جمعيات جديدة ترسل مرسلين - تمرد الجيش الهندي.	
٢- الصين	١٥٣
الصين محظورة علي الأجانب - روبرت موريسون Robert Morrison	

أول كلية مسيحية للصينيين - معاهدة «نانكين» وفرص جديدة - إيليا
بريدجمان Elijah Bridgman - صعوبة ترجمة الكتاب المقدس - كارل
جوتزلاف Karl F.A. Gutzlaff - قرد «التاي بي إنج» Tai P. Ing - هل كانت
حركة - تاي بي إنج فرصة للإرسالية؟ - سقوط تاي بي إنج.

٣- بورما ١٥٧

دولة بورما - أدونيرام جلدسون Adoniram Judson يصل إلى بورما -
جلدسون يكرز في بورما - جلدسون في السجن - جلدسون يترجم الكتاب
المقدس - جورج دانا بوردمان George Dana Boardman كو تا بيو Ko Tha
Byu مرسل إلى مواطنيه.

٤- جنوب الباسفيك ١٥٩

كوك يكتشف جزر الباسفيك - إرساليات إلى تاهيتي وتونجا Tahiti
& Tonga - جون وليمز John Williams - جزيرة ساموا Samoa تصبح
مسيحية - استشهاد جون وليمز - نهضة في جزر فيجي - أسباب قبول
المسيحية - تغييرات في مجتمع الفيجيين.

٥- أفريقيا ١٦٢

القارة المظلمة - اهتمام الجمعيات المرسلية بأفريقيا - توماس بيرش
فريمان Thomas Birch Freeman - صموئيل أدجاي كروثر Samuel Adjai
Crawther - جورج شميدت-جون تيودور فاندركامب John Theodore

Vandercamp - جون فيليب John Philip - روبرت موفات Robert Moffat
 دافيد ليفنجستون David Livingstone - ليفنجستون المستكشف-
 ليفنجستون المبشر لانجيل - ليفنجستون يكرس لأفريقيا - ليفنجستون
 وستانلي - وفاة ليفنجستون - دافيد جونز في مدغشقر Jones David -
 الملكة تضطهد المسيحيين - الكنيسة تبقى حية بعد الاضطهاد.

(ج) النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٨ -

١٦٨ ١٩١.

١٦٨ ١- مقدمة

١٦٩ ٢- علاقة الإرساليات بالاستعمار

التنسيق بين الإرساليات والاستعمار - إعانة الحكومة للمدارس
 المسيحية - ليفنجستون والمستعمرات الأفريقية - التجارة والإنجيل معاً
 - العنف في كالابار Calabar - الكاثوليك الفرنسيون في شمال
 أفريقيا - لافيغيري La Vigerie بطريك قرطاجنة - الاستعمار والرسالة
 المسيحية لا يتفقان.

١٧٢ ٣- اليابان

اليابان مفتوحة للأجانب- عودة الكاثوليك- مرسل روسي أرثوذكسي -
 ج.س. هيبيرن مشيخي J.C.Hepburn ه.ف. فيريك أستاذ للتعليم
 H.F.Verback - التحول للمسيحية في ساپورو Sapporo - نيثيما
 مرسل ياباني Necshima - يوشيمورا وحركة العبادة بدون كنيسة-
 يوشيمورا مدرساً للكتاب المقدس- يومورا والكنيسة المتحدة Uemura -
 ازدياد عضوية الكنيسة.

الموضوع	الصفحة
٤- الصين	١٧٥
حرية المرسلين في الصين - هـدسون تايلور Hudson Taylor وإرسالية الصين الداخلية - مبادئ إرسالية الصين الداخلية- نجاح إرسالية الصين الداخلية- الراعي «هوسي» Hsi وينقذ مدمني المخدرات - جمعية الشبان المسيحية تأتي للصين - تيموثي ريتشارد Timothy Richard والطبقات العليا - ريتشارد يصدر مجلات أدبية - جامعات مسيحية في الصين - استياء ضد المرسلين - انتفاضة الملاكم- القوات الأجنبية تقمع انتفاضة الملاكمين - تجديد الصين بواسطة المسيحية - المثل المسيحية تلهم الثورة.	
٥- كوريا	١٨٠
الكاثوليك أول المرسلين إلى كوريا - كوريا مفتوحة للغرب - جون نيفيوس John Nevius ومبادئ جديدة - نمو الكنيسة الكورية - دور المسيحية الإيجابي في كوريا.	
٦- سومطرة	١٨٢
الكنيسة المصلحة الهولندية في إندونيسيا - نومينسين والباتاك Nommensen & the Bataks - الباتاك يتحولون إلى المسيحية - كنائس مسيحية للباتاك - أبوة المرسلين.	
٧- الهند	١٨٤
النجاح في الهند - التحول لحضارة الغرب خطر على الهند - التأثير المسيحي خلال المؤسسات - اعتناق المسيحية عن طريق الكتاب المقدس	

- براهمي يصبح مسيحياً - راما هاي Ramabai - حركات تحول جماعية بين القبائل - ديت السيكالكوتي Ditt of Sialkot - نمو الكنيسة في الهند.

٨ - أفريقيا ١٨٦

كاما من بيتشوانالاند Khama of Bechuanaland - كاما قائداً مسيحياً وقائداً قبلياً - تبشير القبائل بالإنجيل على نهر الكونغو - ميسيدي رئيس قبيلة كاتنجا - قيادة الإرسالية لقبيلة كاتنجا - استانلي وأوغندا - الرئيس موتيسا والكسندر ماكاي Mutisa and Alexander Mackay - موانجا Mwanga يضطهد المسيحيين - حرب أهلية في أوغندا - الأسقف ألفريد طوكر Alfred Tucker

٩ - أمريكا الجنوبية ١٩٠

أمريكا الجنوبية أغلبها كاثوليك - إرساليات بروتستانتية في القرن التاسع عشر - الخمسينيون - شهادة من كاثوليك - استقلال الإنجليين في أمريكا الجنوبية

١٠ - الشرق الأوسط ١٩٢

عراق الإرسالية في الشرق الأوسط - روح مسكونية جديدة.

(د) التقييم بدءاً من سنة ١٩١٠ ومؤتمر بأدنبرة-

Edinburg ١٩٣

إنجازات القرن العظيم - جون موط وأدنبرة John Mott - تكوين

مجلس المرسلين الدولي International Missionary Council - مجالس إقليمية - المجلس المسيحي للشرق الأدنى.

١٩٥ (هـ) المجال المحدود لهذه الدراسة

١٩٦ (و) القرن العشرين وكنائس العالم الثالث الناشئة.....

١٩٦ ١- تركة الأوضاع في القرن التاسع عشر

بقايا الاستعمار - عنصرية الغرب - أساقفة من الجنس الأبيض فقط - الأبوة - الاتكال.

١٩٨ ٢- السياسة المتغيرة للإرسالية في القرن العشرين ...

إعادة التفكير في سياسة الإرسالية - تشجيع تقدم الكنيسة الوطنية - تأثير النماذج الغربية على الكنائس الجديدة - كرامة الكنائس الوطنية.

٢٠٠ ٣- كنائس ما بعد الإرسالية

المشاركة في العمل المرسل - كنيسة اليابان تحت ضغط الحكومة - نجاح الكنيسة في اليابان منذ الحرب العالمية الثانية - صعوبات أمام الكنيسة في الصين - الضغط تحت الحكم الشيوعي - حرية جديدة للمسيحيين بعد سنة ١٩٧٩ - خدمة الكنيسة الكورية في أوقات الاضطراب - النمو المذهل للكنيسة في كوريا - طوائف عديدة في

كوريا - الكنيسة تنمو في الهند - مشكلة التحركات الجماعية -
 المسيحيون في جنوب الباسفيك والجنود الاستراليون - آراء وثنية في
 ثوب مسيحي - طقوس شحنة المركب - نمو الكنيسة الأفريقية - عدد
 وأنواع الأنبياء الجدد والكنائس - النبي هاريس Harris- إلهام من
 أثيوبيا- شيمبي Shembe نبياً مسيحاً - مسيحية أصيلة وأفريقية
 أصيلة - تعليم أصلي غريب.

٢٠٩ (ز) المسيحية العالمية في سنة ١٩٨٠

المسيحية ديانة عالمية - الأعداد تزيد لكن النسب المئوية تنقص -
 الأجناس الملونة تفوق في عددها الجنس الأبيض - معظم المرسلين الآن
 من هيئات غير طائفية - المهمة ما زالت باقية.

٢١٢ المراجع

التطورات الكبرى فى تاريخ الكنيسة امتداداً من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين

مقدمة

تبين للمؤلف أنه من غير الممكن استعراض هذا الكم الهائل من الأحداث والشخصيات والطوائف، والتحركات التي تميز تاريخ الكنيسة على مدى القرون الثلاثة والنصف الماضية فى مجلد واحد بطريقة وافية بالغرض.

من أجل ذلك يركز هذا الجزء على تطورات رئيسية ثلاثة، تنفرد بها هذه الحقبة، والتي كان لها أثرها على العالم المسيحى ككل. وسوف تقتصر نقطة الارتكاز على تأثير هذه التطورات على الكنائس البروتستانتية. وهذه التطورات الرئيسية الثلاثة بيانها كالاتى:

١- الثورة العقلية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر المعروفة بعصر "التنوير" التي وضعت تحدياً عظيماً أمام المفكرين المسيحيين وأسفرت عن مدارس الفكر اللاهوتى الليبرالى.

٢- انتعاشة القرن الثامن عشر المعروفة بـ "الصحوه العظمي" "التي أدت إلى روح" التقوية والكراسة بالإنجيل التي تميز البروتستانتية المحافظة اليوم.

٣- الحركة الإرسالية الحديثة التي كرزت بالإنجيل حول الكرة الأرضية، وأسست الكنيسة فى كل دولة من دول العالم الثالث تقريباً.

تطور رابع ذو أهمية كبرى لهذه الحقبة هو "الحركة المسكونية" التي سنناقشها فى مجلد منفصل.

«التنوير» في القرنين السابع عشر والثامن عشر

«العصرية» في القرن التاسع عشر

«الآرثوذكسية» الجديدة في القرن العشرين

أولاً: التنوير The Enlightenment

(أ) الانتقال إلى الحقبة «العصرية» modernism

هل كان الإصلاح عصرية أم منتعياً للعصور الوسطى؟

احتدم حوار بالغ الأهمية حول مكان الإصلاح فى التاريخ. هل هو ينتسب إلى العصر الوسيط أم إلى العصر الحديث؟ هناك قائل بأن الإصلاح، بأشكال مختلفة، كان فى الحقيقة استمراراً لعقلية العصر الوسيط. فقد تبقى الكثير من الخرافات مثل الاعتقاد فى الأرواح الشريرة وأعمال السحر. إن اهتمام المصلحين بمركزية الكتب المقدسة انحصر فقط فى استبدال البابوية بالسلطان «الكتابى» وكان لا يزال باقياً أمرهم هو أن تحتفظ الكنيسة بسيطرتها على الدولة كما حدث فى جنيف فى أيام كالفن، ثم إن العديد من المناقشات اللاهوتية مثل علاقة الخطية والنعمة لم تكن جديدة على الكنيسة.

التغييرات التى جاء بها الإصلاح

من الناحية الأخرى يمكن القول إن الإصلاح جاء لهما بطريقة جديدة لمفهوم الحياة الدينية. فقد تحطمت سيطرة نظام «السر المقدس». كانت المعمودية والعشاء الربانى لهما أهميتهما، لكنهما الآن علامات وبصمات على الاختبار الداخلى والشركة العامة. وقد أصبح الخلاص علاقة شخصية مباشرة بين المؤمن وإلهه بحلول المسيح الحى. ومن تلك العلاقة تدفقت التأثيرات التى مست كل أوجه حياة المؤمن: أخلاقه الشخصية، أسرته، عمله وعلاقاته الاجتماعية الخ. وأخيراً تشجع المسيحي المصلح لمعرفة أسباب إيمانه، وليتلمذ على الكتب المقدسة، ويقنع نفسه ثم يهدى حياته على أساس هذه المعرفة.

تغيرات القرن السابع عشر فى المجتمع الأوروبى

لاجدال فى أن الإصلاح، بالرغم من البقية الباقية من آثار فكر العصر الوسيط. لم يتلمس جذوره من الماضى. فضلاً عن ذلك، فإنه فى القرن التالى كان المجتمع الأوروبى يتعرض لتغيرات ثورية. فقد انفصمت عرى الطبيعة الوجدوية القديمة للقارة وبدأت تبرز الدولة القومية الحديثة (سويسرا مثلاً لم تكن دولة أثناء عصر الإصلاح، وإنما كانت اثتلاًفاً لمقاطعات مستقلة، وهكذا استطاعت مدينة «بيرن» أن تشتبك فى حرب ضد مدينة جنيف). أما فى العالم الدنيوى فقد كان التجار والعاملون فى البنوك والطبقات المهنية والعمالية يمارسون نفوذهم فى الحياة التجارية والسياسية.

سلام «وستفاليا» نقطة تحول Westphalia

اقترح بعض المؤرخين أن سلام «وستفاليا» (سنة ١٦٤٨) الذى وضع حداً للحرب الثلاثين سنة فى أوروبا يمكن اعتباره علامة البداية للعصر الحديث. لقد عانت أوروبا من الحروب الفظيعة أثناء النصف الأول من ذلك القرن. كانت الدول منهكة، وكان الناس متحمسين لبذل جهودهم ونشاطهم فى أنشطة بناء بدلاً من الحرب وتخريبها. فى هذا الوقت أيضاً ظهرت تغيرات جذرية فى مجال العلوم والفلسفة.

الأرض تدور حول الشمس

ربما كانت أهم حقيقة جديدة لذلك العصر هى اكتشاف أن الكرة الأرضية ليست مركزاً للكون، وأنها ليست إلا كوكباً واحداً من مجموعة كواكب تدور حول الشمس، وكان ذلك يتضمن معانى لاهوتية عميقة، وكان أول من أعلن هذا الاكتشاف «نيكولاس كوبرنيكوس» Nicolaus Copernicus (١٤٧٣ - ١٥٤٣) وسرعان ما أنكرته الكنيسة. إلا أن آخرين من أمثال يوهان كيبلر -Johann Kepler (١٥٧١ - ١٦٣٠) وسيرفرانسيس بيكون -Francis Bacon (١٥٦١ - ١٦٢٦) صدقوا على الاكتشاف. ومما يذكر أن "جاليليو" Galilei (١٥٦٤ - ١٦٤٢) حين قال إن الأرض كرة مستديرة تدور حول الشمس، أرغم على إنكار

حجته تحت تهديد محكمة التفتيش.

أما الشخص الذى قد يكون له الفضل فى جذب انتباه الناس إلى نظرية «كوبرنيكوس» فهو سيراسحق نيوتن Sir Isaac Newton (١٦٤٢ - ١٧٢٧). الذى أثبت حسابياً أن حركة الأجرام السماوية محكومة بالجاذبية وأن الأرض بالتأكيد تدور حول الشمس. وكانت حجته واضحة ومقنعة وقد سلم بصحتها آخرون من رجال العلم، حتى لم يعد ممكناً بعد ذلك لكبار رجال الدين أن يفندوها.

العلم يتحدى علم اللاهوت

كانت نظرية نيوتن التى أثبتها بطريقة منطقية واحدة من إنجازات علمية مشابهة تحققت فى وقتها وشكلت ثورة فى عالم الفكر. وفقد (علم اللاهوت) مكانته كسيد للعلوم. وانفتح الباب وقتئذ لكل أنواع التأمل فى علوم الفلك والرياضيات، والكيمياء، والأحياء، والطبيعة، والجيولوجيا، وعلم وظائف الأعضاء، الخ. وتستطيع الكنيسة (الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء) أن تحتج أو حتى تضطهد أما بالنسبة للعلماء والباحثين، فقد أصبح الفكر الحر هو السائد يومئذ...

استمرار الصراع بين العلم والدين

ها نحن نرى هنا أولى علامات الصراع القادم بين العلم والدين، بين الإيمان والعقل، ذلك الصراع الذى امتد على مدى القرون الثلاثة التالية والذى مازال فى الحقيقة مستمراً حتى اليوم. ولا يجب أن نستهن بمغزى هذا الصراع. فلقد مس كل كنيسة بدرجات متفاوتة، وغير جذرياً مسار الدراسات اللاهوتية. وإذا كان ثمة ملحدون فى العصر الوسطى فإن التاريخ لم يسجل هذه الحقيقة.

وما كان يمكن أن يجول بخاطر أكثر أصحاب النزعة الإنسانية تطرفاً^١ مثل نيقولا كوزا Nicola Cusa (١٤٠١ - ١٤٦٤) الذى اعتقد أنه لا بد أن توجد ديانة عالمية تطوق كل الأديان والمعتقدات^٢ أن يبحث فى حقيقة (الله) نفسه - ولكن ما

دام مفكرو هذه الحقبة التي ندعوها (عصر التنوير) قد تجاسروا على الانسلاخ عن الكنيسة وتعاليمها، فإن أسئلة جديدة قد أثارت حول أصل وطبيعة كل الكائنات.. وتفتحت ميادين جديدة للمعرفة لم توجد في الكتاب المقدس وبدت أحيانا وكأنها متناقضة.. ولم تواجه الكنيسة مثل هذه التحديات من قبل، وعندما واجهتها اختبرت تغييرات أساسية من داخلها.. فتارة كانت تنكر مكان العلم في الدين بصورة قاطعة كما فعلت مع جاليليو، وتارة كانت تكيف نفسها للنظرية العلمية بطرق متعددة. وكم ترك كثيرون الكنيسة معتبرين معتقداتها غير علمية، وظهرت طوائف جديدة وضعت أسساً لعقيدتها أكثر تمشياً مع العلم مثل «الموحدين»-Uni-tarians (منكرى الثالوث) والخلاصيين (الكنيسة الشاملة) Universalists (القائلين بخلاص الجميع). لكن كل كنيسة في العالم المسيحي من الكويكرز Quakers إلى فاتيكان روما تأثرت على نحو ما بالتنوير وثورة الفكر التي تجمعت عنه. من أجل ذلك يجب أن نولى بعض الاهتمام إلى «حركة التنوير» وإلى أبرز شخصياتها إذا كنا حقاً نريد أن نفهم مسار تاريخ الكنيسة خلال «العصر الحديث»

(ب) المذهب العقلاني في القرن السابع عشر Rationalism

حركة التنوير تبدأ في القرن السابع عشر

من المفهوم تماماً أن حركة التنوير تمت في القرن الثامن عشر، لكن بدورها عُرفت من قبل في القرن السابع عشر كما سبق أن بينا، واضح أن العلماء هم الذين أثاروا أولاً أسئلة مريبة للكنيسة. لكن الفلاسفة هم الذين اتخذوا الخطوة التالية وحولوا الأسئلة العلمية إلى أسئلة فلسفية ومن ثم إلى أسئلة لاهوتية.

رينيه ديكارت Rene Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠)

قال بعضهم إن رينيه ديكارت كان أول عقلاني عصرى (العقلاني هو الشخص الذي يستخدم العقل وسيلة وحيدة للمعرفة). كان كاثوليكياً ومواطناً فرنسياً عاش في هولندا. قرر ديكارت أن السبيل الوحيد لمعرفة الحق هو أن نطرح جانباً كل

المعتقدات والمذاهب السابقة. يجب أن يكون كل شيء موضع شك إلى أن يصل الشخص إلى ما لا يحتمل الشك. بهذه الطريقة طرح ديكارت عبارته المأثورة: «SCogito Ergo Sum» «أنا أفكر إذن فأنا موجود». لكنه من هذه النقطة استنتج أن العقل، لكونه يحتوى على أفكار أعلى مما يستطيع أن يتصورها فلا بد أن هناك كائناً أعظم هو الذى يغذى العقل بهذه الأفكار. بهذه الطريقة اقتنع بوجود الله. فالإنسان يعتبر الله كائناً كاملاً ، كلى المعرفة، كلى القدرة، وسرمدياً لذلك كان يستحيل على الإنسان أن تكون لديه هذه الفكرة عن الله ما لم يكن الله موجوداً فى الحقيقة.

ديكارت يؤمن بالتأليه الطبيعي "Deist"

ديكارت مشهور بأنه يؤمن بوجود الله وينكر الوحي أو هو من أصحاب مذهب "التأليه الطبيعي". شخص يعتقد أن فى الطبيعة شواهد كافية على وجود الله. لكنه يتوقف عند هذا الحد(*) لقد أجاز احتمال وقوع أحداث أخرى مثل الميلاد العذراوى. وألوهية المسيح، والمعجزات المسجلة فى الكتاب المقدس الخ. لكنه لم يستطع أن يقبلها كحقائق مؤكدة لأنها لا تستند على برهان عقلى وقد هوجم ديكارت من كل من البروتستانت والكاثوليك، ووضع الجزويت مؤلفاته على قائمة الكتب المنوعة. ورفضه الكالفينيون لأنه نادى بعقيدة "الإرادة الحرة" التى أنكرت التعيين السابق.

توماس هوبز Thomas Hobbes

توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) كان أيضاً منكرًا للوحي. كان الإنجليزي ابن

(*) «منكر الوحي يرى» ، أن الله موجود كخالق أعطى للكون القوانين التى يسير عليها.. قوانين يكون العقل الإنسانى مقتدرًا تماماً على اكتشافها. وهو موجود على بعد فى جلال يفوق العقل. ومسئولية الإنسان هى أن يكتشف ويعيش بموجب القوانين التى وضعها الله لمخلوقه الإنسانى وعلى قدر المجازة، ينتظر ثوابه أو عقابه بعد الموت»

Eric G. Jay, The Church, Its Changing Image Through Twenty Centuries,
John Knox Press, Atlanta, P. 220

أحد رجال الدين الأنجليكان، وقد عاش بعض الوقت في فرنسا، أهم مؤلفاته كتابه عن «لويثان» (من أيوب ٤١: ١) حيث يرى أن كل معرفة تبدأ بالإحساس، ولا يوجد إدراك في عقل الإنسان لم يصل عن طريق الحواس كما كتب هوبز أيضاً يقول بأن كل فعل تسببه أفعال أخرى وأنه لا توجد حركة بدون علة. وقد أسفر رأيه عن مبدأ الفلسفة الآلية والمادية للطبيعة التي لم تترك مكاناً لحرية الإرادة الانسانية. وكان يعتقد أن الحافز الرئيسى للإنسان هو رغبته للقوة، وأن ذلك لم يكن شراً إذا تم ضبطه بمعرفة حكومة حكيمة- ويوصفه من دعاة التأليه الطبيعى رأي ضرورة وجود «محرك أول، أى علة أولى وأزلية لكل الأشياء هى تلك التى يعنى بها الناس «اسم الله». «قد يعرف الناس طبيعياً أن الله موجود، وإن كانوا لا يعرفون ماهيته أن طبيعة الله مغلقة على الأفهام». (*) كان هوبز عضواً أميناً فى الكنيسة إلى آخر حياته الطويلة، مؤمناً أن على المسيحيين أن يكون لديهم «إيمان بيسوع المسيح» لكن بطريقة عامة فقط.

بلونت وتولاند Blount and Toland

نذكر فيما يلى اقتباسات من أقوال اثنين آخرين من منكرى الوحي أو «المفكرين الأحرار» أو العقلانيين كما كانوا يسمونهم:

«شارل بلونت Charles Blount وكان يرى أن «كل ما هو ضد الطبيعة فهو ضد العقل، وكل ما هو ضد العقل فهو سخيف ويجب أن يرفض» (**). أما جون تولاند John Toland (١٦٧٠-١٧٢٢) فيقول «إن تصديق لاهوت الكتاب المقدس أو قبول معنى أي فقرة فيه بدون برهان عقلى وتماسك واضح هو سرعة تسليم تستحق اللوم.... نحن نتمسك بأن العقل هو الأساس الوحيد لكل يقيننا. (***)»

(*) Quoted By Durant, Will and Ariel, The Story of Civilization, Vol. VIII, The age of Louis XIV, Simon and Schuster, New York, 1963, PP. 557, 558.

(**) Ibid, P. 568

(***) Ibid

العقلانية و «التأليه الطبيعي» يصبحان مألوفين

واضح أيضاً أن هذا النوع من التفكير لم يكن محصوراً في دارسين قلائل، بل جذب اهتمام الناس من طبقات عديدة في المجتمع. وفيما يلي شكوى أحد رجال الإكليروس وهو الأرشيدياكون صموئيل بالمر "Samuel Palmer" سنة ١٦٨١:

أصبح الجهلاء والأميون في وسطنا أعظم الداعين إلى الارتياب وعدم الإيمان... وأصبح الكفر ونبذ الدين شيئاً عادياً مثل الرذيلة والفجور حتى أن عامة الشعب والحرفيين (العمال) فلسفوا أنفسهم علي عدم الإيمان:، ويقرأون محاضراتهم عن الكفر في الشوارع والطرق العامة. وهم قادرون على إقامة الدليل من «لويثان» بأنه لا يوجد إله. (*)

ليبنيتز العقلاني Leibnitz

كان «جو تفريد ولهم ليبنيتز (١٦٤٦ - ١٧١٦) أحد العقلانيين الذي قدم رأياً أكثر تفاؤلاً عن الخليقة وخالقها. فقد اعتقد أن الطبيعة كلها صنعت من وحدات فردية من أصغر الجزيئات في جسم الإنسان إلى أبعد نجم في الفضاء وأن هذه الوحدات تُسقت كلها للعمل معاً بإتقان حتى أن الكون كله يشبه ساعة عملاقة كل قطعة فيها رتبت بدقة مع القطعة المجاورة والكل يعمل بانسجام. كان ليبنيتز متأكداً من أنه لا بد من وجود إله خلق هذا الكون بهذا النظام الدقيق.

(*) Ibid, P. 567

(عالماً) أفضل العوالم الممكنة

«إن هذا العالم الذى قد يبدو لنظرتنا الأنانية ناقصاً هو أحسن ما أمكن لله خلقه طالما أنه قد ترك الناس بشراً وأحراراً، فلو أن عالماً أفضل كان ممكناً، لخلق الله بالتأكيد وترتيباً على كمال الله المتناهى، أنه لما وجد الكون اختار أفضل خطة ممكنة، تضم أعظم تشكيلة مجتمعة فى أدق نظام، وفى أحسن وضع منسق من حيث المكان والزمان، أعظم النتائج وجدت بأبسط الطرق، أعظم قوة، أعظم معرفة، أعظم سعادة وصلاح فى المخلوقات، التى وجدت فى الكون ولأن كل الأشياء الممكنة لها حق الوجود فى مفهوم الله بنسبة كمالاتها، فالنتيجة الطبيعية أن يكون العالم على أفضل صورة ممكنة (*)»

ليبنيتز مسيحى مخلص

ليبنيتز، لوثرى من هانوفر بألمانيا، اعتبر نفسه مسيحياً مخلصاً. آمن بالثالوث، والمعجزات، والنعمة الإلهية، وحرية الإرادة، والخلود، وهاجم المتساهلين فى عصره باعتبارهم مقوضين للنظام الاجتماعى. كما عمل أيضاً بدون هوادة، للتوفيق بين الكاثوليكية والبروتستانتية لكن بدون نتيجة تذكر.

جون لوكى John Locke

جون لوكى (١٦٣٢ - ١٧٠٤) اعتبر كأعظم فيلسوف فى عصره. ورغم أنه كان يعيش كعضو كنيسة إنجليكاني محافظ إلا أنه يُعزى إليه فضل استهلال عصر «التنوير» الذى ازدهر فى القرن الثامن عشر.

لوكى مفكراً سياسياً

إن إسهام لوكى فى الفكر السياسى لا يقل أهمية عن إسهامه فى الدين،

(*) Ibid, P. 675, from Leibnitz, Principles of Nature and Grace, No. 10

وتأكيداً على حقوق الإنسان والحاجة إلى أشكال ديمقراطية للحكومة أدى إلى إصلاحات في النظام البرلماني البريطاني واقتبسها قادة الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩. وعندما ثار سكان المستعمرات الأمريكية ضد إنجلترا في سنة ١٧٧٦، كانت كلمات إعلان استقلالهم مأخوذة إلى حد كبير من كتابات جون لوكي.

المعرفة لا تأتي إلا من الاختبار

نقطة البداية في فلسفة لوكي هي أن الإنسان ليست لديه معرفة فطرية. كل شيء يعرفه يأتي من أحاسيس يتلقاها من خارج نفسه. وكما يقول، «كل معرفة بما في ذلك فكرتنا عن الله وعن الصواب والخطأ هي مشتقة من خبراتنا وليست جزءاً من التركيب الفطري للعقل.» (*)

العقل هو الاختبار النهائي

كواحد ممن يؤمنون بالتأليه الطبيعي، وجد لوكي أن الإيمان بالله الخالق مقبول تماماً، «فالعلامات المرئية للحكمة والقوة الخارقتين تظهر واضحة في كل أعمال الخليقة حتى أن أي مخلوق عقلائي يفكر فيها جدياً لن يفوته اكتشاف وجود إله» (**)

لكن إلى هنا يجب أن يتوقف العقل. فمثلاً لم يستطع لوكي أن يجد براهين عقلية على خلود الروح الإنسانية. لقد نفذ صبر لوكي بسبب تناقض كثير من المسيحيين.

«إنني أجد كل طائفة من الناس يستخدمون العقل بسرور طالما كان يخدمهم حتى إذا خذلهم صرخوا قائلين: (إنها مسألة إيمان وفوق العقل). إن أي شيء يعلنه الله فهو بالتأكيد حق، ولكن التفكير وفق الشواهد المتاحة هو وحده الذي يستطيع

(*) Ibid, P. 584

(**) Quoted by paul Johnson, A History of Christianity, P. 336

أن يدلنا إن كان أحد الكتب المقدسة هو كلمة الله. وأى اقتراح عن الوحي الإلهى لا يمكن قبوله إذا كان مناقضا لما نعرفه بالبداهة» (*) .

مكان الإعلان

فى نفس الوقت ترك لوكى مكاناً لإعلان الله الخاص يمكن قبوله بالايان على أن يتأيد بالعقل: «هناك أشياء كثيرة ليس لدينا أى معرفة عنها على الإطلاق، هذه الأمور التى تفوق العقل تصبح مادة للإيمان الصحيح متى كشف أمرها. وفى مكان آخر يقول: «الإعلان الإلهى هو تفسير طبيعى اتسع بمجموعة جديدة من الاكتشافات المعلنة من الله مباشرة والتى يؤيدها العقل بشهادة أو براهين على أنها من عند الله. ومع هذا فالعقل وحده هو مصدر المعرفة والإعلان الإلهى لا يعدو كونه اعتقاداً محتملاً. إلا أن الإعلان الإلهى يمكن أن يقدم الحقائق التى يعجز العقل وحده عن تقديمها.» (**)

معقولية المسيحية

كتب لوكى رسالة عنوانها «معقولية المسيحية» انتهى فيها إلى أن المسيحية ديانة الفطرة السليمة والنظرة الواعية. وقال بأن الاعتقاد الوحيد الضرورى هو أن يسوع هو المسيح، ابن الله، ورأى فى المسيح فى المقام الأول معلماً لشرعية أخلاقية. «فبعد معرفة الله الواحد- صانع كل الأشياء - كانت البشرية فى حاجة إلى معرفة واضحة بواجباتها.. وأى من يجمع كل القواعد الأخلاقية للفلاسفة ويقارنها بالتعاليم الواردة فى العهد الجديد سيجد أنها لا ترقى إلى مستوى الأخلاقيات التى سلمها لنا مخلصنا... وأن مثل هذا الكم من الأخلاقيات قد ثبت أنها هى شرعية الطبيعة المستمدة من مبادئ العقل والتى تغطى كل جوانب الحياة.. وأعتقد شخصياً أنه لا يستطيع إنسان أن يقول إن العالم قبل مجئ مخلصنا قد عرف مثل

(*) Durant, op. cit.p. 588

(**)Johnson. op. cit.

هذه التعاليم الساميه. «(*)

المجتمع الأخلاقي

يرى «لوكى» أتباع المسيح على أنهم مجتمع أخلاقى يتكون من أولئك الذين قبلوا طوعاً مجموعة مبادئ أخلاقية لها منافعها العظيمة للمجتمع ككل، ولهم كأفراد، ومن ثم يسعون إلى أن يحيوا بمقتضاها. (**)

العقل والإيمان

بالنظر إلى أن لوكى كان يعيش فى عصر الحروب الدينية المدمرة فقد آمن متحمساً بأن طريق العقل هو طريق الإيمان. وهو بذلك كان يتحدث بالنيابة عن آخرين كثيرين. كما قال جونسون:

«كل الناس يمكن أن يأتوا إلى الله بطريقة طبيعية، وذلك إذا ما توقف الصراخ والتقتيل، وإذا ما استمعوا إلى صوت العقل. فالعقل يقوى الإيمان، والفلسفة الطبيعية هى أفضل حليف للفكر اللاهوتى. (***)

لوكى والتسامح

كان لـ «رسالة لوكى عن التسامح» تأثير كبير فى وقتها حيث قال فيها:-

«إذا كانوا مثل رئيس خلاصنا (يقصد الغيورين على الدين) يبتغون بإخلاص خير النفوس، فعليهم أن يقتفوا آثار خطواته ويتبعوا مثاله الكامل، مثال «رئيس السلام» الذى أرسل جنوده لإخضاع الشعوب وجمعها فى كنيسته غير مسلحين بالسيوف لكن مستعدين بإنجيل السلام وبالقداصة المثالية لأحاديثهم ... إن تسامح أولئك الذين يختلفون عن الآخرين فى أمور الدين يتفق تماماً مع إنجيل يسوع المسيح

(*) uoted by Eric G. jay, op. cit, p. 221

(**) Ibid. p. 222

(***) Johnson, op. cit, p. 33

ومع العقل الأصيل للجنس البشرى لدرجة يبدو فيها الأمر فظيماً أن يتعامى الناس عن أن يدركوا بوضوح ضرورة ومنفعة الإنجيل فى هذا النور الواضح». (*)

العقلانية ثورة فى الفكر

يثق المؤلف أننا يمكن أن نرى بوضوح مما سبق ذكره أن القوم فى القرن السابع عشر بدأوا يفكرون فى دينهم بطريقة تختلف عما كانوا يفعلون من قبل. وهذا التغيير الجوهرى فى نمط تفكيرهم كان بداية لتغييرات أخرى كثيرة فى السنوات التالية. شرح «لوكى» ذلك فى كتابه «العقلانية» الجزء الأول صفحة ١٤٨ فقال: - «هكذا درب معلمو القرن السابع عشر العظام عقول الناس على البحث عن الحقيقة دون تحيز، ولما حطموا القهر الفكرى الذى قيدهم طويلاً، أحلوا محله محبة عميقة للحق، الأمر الذى أحدث انقلاباً فى كل دوائر المعرفة، ويمكن أن يعزى إلى ذلك قيام حركة نقدية عظيمة كان من شأنها أن جددت تماماً كل النواحي التاريخية والعلمية والفكر اللاهوتى كله - التى نفذت الى أظلم المخابىء، محطمة التحيز القديم، مبددة الأوهام، مستعيدة ترتيب معارفنا مبدلة كل مجال وصفات تعاطفنا. لكن هذا كله كان مستحيلًا لولا انتشار ضوء الروح العقلانى». (**)

(*) Jay, op. cit. p. 223

(**) Quoted by Durant, op. cit. p. 681

Recommended English Readings

1. Durant, Will and Ariel, **The Story of civilization**, vol. viii
The Age of Louis XIV, Simon and Schuster, new york, 1963, pp.
558 - 590; 658 - 684
2. Jay, Eric G. **The church, Its Changing Image Through
Twenty centuries**, John knox, Atlanta, 1977, 1978, pp. 220 - 225
3. Johnson, paul, **A History of Christianity**, Atheneum, N. Y.
1977, pp. 331 - 341
4. Latourrette, k. s., **A History of Christianity**, Harper, N. Y.
1953, pp. 982 - 988

(ج) حركة التنوير فى القرن الثامن عشر

انتهج مفكرو القرن الثامن عشر فيما بعد المنهج العقلانى المنطقى الذى بدأ يهاجم بصراحة الدين والكنيسة، أولاً فى انجلترا وبعدها فى فرنسا.

١- دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦)

ولد دافيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) فى أدنبره باسكوتلاندا فى عائلة مشيخية محافظة. وقد حافظت عائلته على عادة الكالفينيين الأمناء من ناحية المواظبة على حضور الكنيسة كل يوم أحد لمدة ثلاث ساعات فى الصباح وساعتين بعد الظهر، وبعد التحاقه بجامعة أدنبره أظهر اهتماماً بالفلسفة وابتعد أكثر فأكثر عن الكنيسة.

هجوم «هيوم» على (المؤمنين بالتأليه الطبيعى)

وإذا كان هيوم قد سار على نهج «لوكى» إلا أنه ذهب إلى أبعد منه فى نقد المعتقدات المسلم بها. وعلى غرار لوكى، وضع نظرية مفادها أن ما نعرفه تكون من مجموعة انطباعات، لكننا نخطئ، إذ نربطها بنموذج عرضى. فمجرد أن الحادث (ب) يتبع الحادث (أ) لا يعنى أن هناك صلة ضرورية بينهما. فالعقل الإنسانى يفرض نماذج على الأحداث بحكم العادة. قد تكون الحقيقة شيئاً مختلفاً تماماً لكننا لا نملك وسيلة لمعرفة ماهيتها. وفى التفكير بهذه الطريقة رأى هيوم أن حجة المؤمنين بالتأليه الطبيعى باطلة، فاعتقادنا بوجود نظام الطبيعة لا يكفى لإثبات منظم للكون (الله). لأنه نفسه دليل (بنفس المقدار) على وجود الفوضى.

هيوم ينكر المعجزات

كان انتقاد هيوم للإيمان بالمعجزات سبب ردود فعل قوية فى الكنيسة، فقد كانوا

فى زمانه يعتقدون أن المعجزات المسجلة فى الكتب المقدسة هى « دليل الوحي الإلهى ». احتج هيوم بالقول إنه حيث أننا لا نستطيع مجرد التأكد من وجود سلسلة منظمة من الأحداث فى الطبيعة، فحتى العقل يكون أقل قدرة على تمييز الأحداث المخارقة أو المعجزية. وإن تسجيلها فى الكتب المقدسة لا يشكل برهاناً على الوحي الإلهى.

هيوم ونظرية التطور

كان هيوم أيضاً يتوقع بروز النظريات الثورية التى قال بها داروين Charles Darwin . فكان يرى أن أشياء تحدث عشوائياً ولذلك فإن تكييف الكائنات المختلفة كان يمكن أن ينتج عن تجارب الطبيعة العشوائية عبر آلاف السنين.

« انظر حول هذا الكون. ما أوفر الكم الهائل من الكائنات، حية ومرتبطة، حساسة ونشيطة. أت تعجب لهذه التشكيلة المذهلة فى ضخامتها وتكاثر الذرية بالتناسل، لكن افحص بتدقيق أكثر ... تجد أن هذا كله لا يقدم شيئاً إلا فكرة طبيعة عمياء، تصب باستمرار أطفالها العجزة والمشوهين. وفى النهاية فإن حياة الإنسان بالنسبة للكون ليست أكثر أهمية من حياة (مخارة فى البحر). (*)»

هيوم ينتقد الديانات الأسى

من أشد الانتقادات حدة تلك التى صوبها هيوم إلى ديانات التوحيد السامية. رأى أن الديانات البدائية كانت متعددة الآلهة بما فيها الآلهة الذين تلقوا تقدمات الإنسان بطرق متعددة. لكن لما ازدادت المنظمات الاجتماعية، نسبوا نظام حكومة كهنوتية إلى الآلهة كالمبتع مع ملوك أهل الدنيا. وسرعان ما حلت ديانة التوحيد محل ديانة تعدد الآلهة. ويشرح ديرانت "Durant" التحول فيما يلى:

« بينما استمر عامة الشعب يسجدون للآلهة المحلية أو للقديسين، عبد المثقفون « زيوس Zeus، جوبيتر "Jupiter" ثم « الله ». ولسوء الحظ قادت الديانة فى التعصب

(*) Durant, op. cit. vol. IX, pp. 150, 151

كلما ازداد إيمانها بالتوحيد. وقد أتاح تعدد الآلهة ظهور معتقدات متنوعة عديدة، بينما نادى التوحيد بوحدة الرأي. انتشر الاضطهاد، وأصبحت المناذرة بالأرثوذكسية أشد الانفعالات الإنسانية ثورة وعناداً. والفلسفة التي تركت حرة نسبياً عند القدماء كديانة للصفوة من الناس. أجبرت على أن تصبح خادمة ومدافعة عن إيمان الجماهير. وفي هذه الديانات التي تؤمن بالتوحيد. اليهودية، المسيحية والإسلام. تزايد الثواب والخلاص انفصالاً عن الفضيلة والتصاقاً بالشعائر والإيمان بدون جدال. (*)

هيوم رجل متدين

بالرغم من هجماته ضد الديانة المنظمة. ظن هيوم في نفسه أنه رجل متدين ولذلك أمسك في مناسبات عديدة عن نشر أعماله خوفاً من رد فعل قادة الكنيسة الذين كانوا يتعبرونه ملحداً. لكن كتاباته أثرت كثيراً في تشجيع مذهب الشك لدى الفرنسيين والفلسفة المتطرفة لدى الألمان

٢- فولتير "Voltaire" (١٦٩٤ - ١٧٧٨)

ديدرو الفرنسي "Diderot" (١٧١٣ - ١٧٧٣)

وتتسلط الأضواء الآن على فرنسا حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية هي هدف هجمات الفلاسفة. ومع ذلك فلكونها حركة ثقافية واحدة فقد أثرت في أنحاء العالم المسيحي. ويشير كثير من المؤرخين إلى القرن الثامن عشر بوصفه «عصر العقل» "The Age of Reason"

فولتير يناقض نفسه

إن فولتير هو أشهر عقلاني فرنسي. ولم يكن يعتبر فيلسوفاً بقدر ما هو أديب لامع صاحب آراء في مجالات عديدة كان يعبر عنها بطريقة ذكية حتى أنه أصبح

(*) Ibid, pp.152,153

أصبح ذائع الصيت. وكثيراً ما ناقض نفسه. وفي الحقيقة، يصعب فى المسائل الدينية أن تقرر ما إذا كان مؤمناً "أم ملحداً".

فولتير يؤمن بالله

يوجد مثل لهذا التناقض الشخصى فى مقولته الشهيرة: «إذا لم يكن الله موجوداً، فمن الضرورى أن نختعه، لكن الطبيعة كلها تصرخ بأنه موجود» (*)
فعلاً. وفى مكان آخر نقرأ حجته البليغة فى إثبات أن العالم خلق بتخطيط محكم ويقول «كنت الليلة الماضية أفكر ملياً، مستغرقاً فى تأمل الطبيعة. امتلأت بالدهشة لضخامتها ومنظر النجوم فى مساراتها. وأعجبت كثيراً بالعقل الذى يحكم كل هذا المخطط الهائل. قلت فى نفسى لابد أن يكون أعمى ذلك الإنسان الذى لا ينبهر بهذا المشهد، ويكون أحمق ذلك الذى لا يعترف بخالقه، ومجنوناً ذاك الذى لا يسجد له ويعبده» (**)

فولتير يهاجم الكنيسة

لكن لما تطلع فولتير إلى الكنيسة لم يجد إلا القليل جداً ليقوله فى صالحها: وهذا ما قاله فيها:

«تصوف بولس، قصص الأناجيل الخرافية، قانونية أو غير قانونية، أساطير الشهاد والمعجزات، واستراتيجية استغلال الكهنة لسذاجة الفقراء الممثلين بالأمل، على كل هذه الأمور مجتمعة قامت الكنيسة المسيحية». (***)

وفى مكان آخر يعترف بفضل الإصلاح لكنه يريد أن يمضى به خطوة أبعد:
«يقال لنا إن الناس فى حاجة إلى أسرار غامضة ويلزم خداعهم. يا إخوتى، هل يجرؤ أحد على ارتكاب هذا الاعتداء الأثيم على الإنسانية؟ ألم يقتلون آباءنا (المصلحين) من الشعب اعتقادهم فى استحالة الخبز والخمر (جسد المسيح ودمه)،

(*) Ibid, p. 717

(**) Roland H. Bainton, The Horizon History of Christianity, Avon, 1964, p 345

(***) Durant, op.cit. IX p. 746

والاعتراف السرى، وصكوك الغفرات، والتعاويذ، والمعجزات الكاذبة، والتماثيل المثيرة للسخرية ؟ أليس شعبنا معتاداً الآن على العمل بدون هذه الخزعبلات؟ ينبغي أن تكون لدينا الشجاعة لتتقدم خطوات أخرى قليلة. إن الناس ليسوا هكذا ضعاف العقول كما يفترض البعض، إنهم سيبلغون بسهولة ديانة حكيمة وبسيطة لعبادة الله الواحد،(*)

آراء فولتير عن العبادة

سأل مستر بوسويل 'Boswell' - الإنجليزى صديق صموئيل جونسون - فولتير مرة: «ألا تريد عبادة جمهورية؟» أجاب فولتير، «نعم بكل قلبى، دعنا نجتمع أربع مرات سنوياً فى معبد عظيم، وعلى أنغام الموسيقى نشكر الله من أجل كل عطاياه

توجد شمس واحدة، يوجد إله واحد، لتكون لنا ديانة واحدة، حينئذ يصبح الجنس البشرى كله إخواناً». وفى سن الثمانين فى أحد أواخر أيامه، ركع فولتير أمام الشمس المشرقة وقال:

«أيها الإله القدير، إني أؤمن. أما عن «الابن» والسيدة والدته» فهذه مسألة أخرى!»(**)

ديديرو 'Diderot' يفضل الفلسفة على علم اللاهوت

كان "دينيس ديديرو" معاصراً وصديقاً حميماً لفولتير. وكانت حملاته على المسيحية أشد حدة:

"ليس كافياً أن نعرف أكثر مما يعرف اللاهوتيون بل يجب أن نريهم أننا أفضل، وأن الفلسفة تجعل الرجال شرفاء أكثر مما تفعله نعمة الكنيسة الفعالة."(***)

"إن الديانة المسيحية فى ذهنى أسخف وأشنع ما تكون فى عقائدها فهى أكثر الديانات غموضاً. وأكثرها استغراقاً فيما وراء الطبيعة، أكثرها تعقيداً وإعتماداً،

(*) Ibid, p. 741

(**) Ibid, p. 750

(***) Johnson, op. cit. p. 350

ومن ثم، فهي أكثرها تعرضاً للانقسامات والقطاعات والشقاقات، والهرطقات، وأكثرها حقداً وإساءة" للأمن والأمان العام، وأخطرها على الملوك بزعامتها الدينية، واضطهاداتها وأنظمتها، أكثرها تفاهة، أكثرها كآبة، أكثرها تشاؤماً" في احتفالاتها، أكثرها صبيانية وانطوائية في مبادئها الأخلاقية، وأكثر الكل تعصباً" (*)

ديديرو والتطور

مضى ديديرو أيضاً بنظرية التطور خطوة أبعد مما فعل "هيوم" :-

"لنفترض أن الطبيعة الحيوانية من الأزل، توزعت عناصرها الخاصة واختلطت بكتلة المادة، ولنفرض أن هذه العناصر اتحدت، حيث تهيأت لها الظروف المناسبة، وأن الجنين المكون من هذه العناصر مر في تشكيلات وتطورات لا نهائية، واكتسب على التعاقب: حركة، إحساساً، آراءً، أفكاراً، مشاعراً" انفعالات. إيماءات، إشارات، إيماءات، أصواتاً" واضحة، لغة، شرائع، علوماً وفنوناً. وأن ملايين السنين انقضت بين هذه التطورات، وأن الكائن العضوى مازال أمامه تطورات أخرى ينتظر أن يمر بها، وإضافات أخرى يتلقاها ليست معروفة لنا الآن... فالطبيعة محايدة. وهي لا تميز بين الصالح والطالح، بين الكبير والصغير، بين الخاطئ والقديس... لن يكون في مقدورنا قط أن نفهم الطبيعة أو لنجاهد ونسعى في إفراز غرضها ومعناها، إن كان لها غرضاً ومعنى، لأننا نحن أنفسنا في كل تاريخنا الحافل بمزيج من الأحداث الدموية والأعمال الرائعة لا نعدو أن نكون لعبة متناهية العسفر في يدها. (**)

كاهن ينكر إيمانه

كون هذه الهجمات قد أثرت على الحياة الدينية في فرنسا يتجلى من شهادة كاهن تخطى عن إيمانه إذ يقول «هل يوجد في الطبيعة إنسان تبلغ درجة قساوته أن

(*) Durant, op. cit. IV, p.656

(**) Ibid, pp. 651, 652

يعذب ويوحشية أى كائن ذى حس مهما كان؟ استنتجوا إذن أيها اللاهوتيون أنه طبقاً لمبادئكم الخاصة يكون إلهكم أشر من أكثر الناس شراً بصورة لانهائية، لقد جعل الكهنة من الله كائناً سيئاً القصد مفترساً... حتى أن قليلين من الناس فى العالم هم الذين يتمنون وجود (الله). أى أخلاق تكون لنا إذا نحن اقتدينا بهذا الإله حقاً" إن فى العالم دلائل كثيرة على التخطيط الذكى، لكن فى المقابل ألا توجد علامات بنفس القدر على أن هذه العناية الإلهية، إذا كان لها وجود، قادرة على أعظم الإساءات الشيطانية، إنى أرى الجنس البشرى مشغولاً باستمرار فى حماية نفسه من شر أحابيل هذه (العناية الإلهية)، التى يقال إنها مشغولة فى الاهتمام بسعادتهم. (*)

عقلانية المفكرين السياسيين الأمريكان

«دى توكوفيل» 'De Tocqueville'، فرنسى كتب فى عام ١٨٥٦ عن «فقدان الثقة العالمية» التى سقطت فيها كل المعتقدات الدينية فى أواخر القرن الثامن عشر» (**). لقد عبر تأثير العقلانية المحيط الأطلنطى إلى أمريكا حيث كانت أغلبية الذين صاغوا الدستور الأمريكى من المعتقدين بالتأليه الطبيعى. وأثناء المناقشات دعاهم بنيامين فرنكلين Benjamin Franklin أن يتوقفوا قليلاً للصلاة طلباً للإرشاد الإلهى. لكن طلبه قوبل بالرفض من الكونجرس (البرلمان).

الأخلاق تنفصل عن الدين

استنتج المورخون أن إحدى نتائج المذهب العقلانى ومذهب الشك فى فرنسا كانت فصل الأخلاق عن الدين فاضطلع الفلاسفة بالأخلاق المسيحية من الناحية العلمية. ثم إن صفات مثل التعاطف والإنسانية والتسامح وعمل الإحسان والسلام والتى

(*) Ibid, pp. 612, 613

(**) Ibid, p. 781

كانت ذات مرة محل اهتمام الكنيسة، بنيت عندئذ على الفلسفة الدنيوية التي أصبحت نواة لما عرف فيما بعد « بالإنجيل الاجتماعي »

قادة الكنيسة يهاجمون العقلانيين

ناضلت الكنيسة لتواجه التحدى العقلاني لكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً أكثر من استهجان الموقف. « وقد كتبت ايلي كاترين فيرون "Elie Catherine Freron" العالمة الكاثوليكية وناقدة العقلانيين تقول:

« لم يتميز عصر يمثل ما تميز به عصرنا من ارتفاع عدد الكتاب المحرضين بكل قواهم على مهاجمة (الله) ، وهم يسمون أنفسهم رسل الإنسانية، ولم يفتنوا أبداً " إلى أن هذا ليس فى صالح المواطن كما أنه يسيء إساءة خطيرة إلى الجنس البشرى، ذلك بأن نحرّمهم من الآمال الوحيدة التى تقدم لهم بعض ما يخفف عنهم آلام الحياة. وهم لا يفهمون أنهم بذلك يفسدون النظام الاجتماعى، ويحرضون الفقراء ضد الأغنياء، والضعفاء ضد الأقوياء، ويضعون السلاح فى أيدي الملايين الذين يرفضون حتى الآن اللجوء إلى العنف بحسبهم الأخلاقى والدينى بقدر ما هو امتثال للقانون. »(*)

فى الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، وطوال القرن التاسع عشر ووصولاً إلى القرن العشرين انتقل التركيز على النشاط الفلسفى من فرنسا إلى ألمانيا.

(*) Ibid,p.760

٣- ايمانويل كانط الألماني "Immanuel Kant"

(١٧٢٤-١٨٠٤)

كانط و «حتمية استخدام المقولات "Kant and the Categorical

Imperative

كان «كانط اساساً فيلسوفاً، لكن كتاباته كان لها تأثير قوى على علم اللاهوت البروتستانتى. واذ اتبع منطق «لوكى» قوض منطق الذين يؤمنون بالتأليه الطبيعى. وكما يقول كانط: «معروف أن كل المعرفة الإنسانية تصل عن طريق الحواس، وتفسير العقل لهذه الإحساسات، وهذا معناه أننا لا يمكن أن نعرف الأمور كما هى على حقيقتها، لذلك، يجادل كانط، بأننا لا يمكن أن نعرف طبيعة الكون الصحيحة أو طبيعة الله. لكن الإنسان لديه وعى الالتزام الأخلاقى الذى هو أسمى صفاته. هذا الوعى أسماه كانط «حتمية استخدام المقولات Categorical Imperative ، واتباعاً» لهذه الحتمية يستطيع كل إنسان أن يعمل بطريقة يمكن أن تتطابق مع القانون الكلى. ذلك القانون الذى يشارك فيه كل البشر تقريباً، يكشف عن أن الإنسان شخص وليس آلة. ومن هذه القاعدة رأى كانط أن الإنسان لديه حرية بطريقة لا تملكها أية مخلوقات أخرى. ومن الضرورى أن يكون له خلود ليذكر المدى الكامل لواجبه وحرته. وأخيراً فمن الضرورى أن يكون هناك إله ليضمن للإنسان ثمرة التزامه الأخلاقى وحرته- وتلك الثمرة هى السعادة الأبدية. وقول كانط هذا يتضمن اعتبار المسيح المثل الأعلى للفضيلة والحرية والمسئولية. والكنيسة أيضاً هى الوعاء الذى يجمع معاً أولئك الذين يرغبون فى اتباع خطوات المسيح.

كانط ناقداً للكنيسة

بهذه الطريقة نقل كانط الحوار عن وجود الله من أساس عقلانى إلى أساس أخلاقى. على أي حال. ومع أنه يعتبر نفسه مسيحياً، إلا أنه كان ناقداً شديداً للكنيسة فى زمانه، حيث قال: «قد تنظم الديانة نفسها قانونياً وتكون كنيسة، وقد

تسعى لتوضيح قانون إيمانها عن طريق الكتب المقدسة، وتتبع الصواب فى أن تعبد المسيح كأعظم شبيه للآلهة بين بنى الإنسان، وتقدم الوعد بالنعيم وتهدد بالجحيم... لكن لا يجب أن يكون لزاماً على المسيحي أن يؤكد إيمانه بالمعجزات أو ألوهية المسيح، أو الفداء بصلب المسيح عن خطايا الجنس البشرى، ذلك أن التعيين السابق للأرواح إلى السماء أو إلى جهنم بالنعمة الإلهية قد أعطى دون اعتبار للأعمال الصالحة أو الشريرة.

«عندما تصبح الكنيسة مؤسسة لفرض العقيدة... عندما تنتحل لنفسها الحق الوحيد لتفسير الكتاب المقدس وتعريف الأخلاق، عندما تقيم كهنوتاً يدعى احتكار الاتصالات بالله والنعمة الإلهية، عندما تجعل عبادتها طقوساً سحرية لها قوات معجزية، عندما تصبح سلاحاً فى يد الحكومة... حينما يبدو أنها تسيطر على الدولة وتستخدم الحكام العلمانيين كأدوات للطموح الكنسى - عندئذ يثور العقل ضد مثل هذه الكنيسة وينشد من خارجها تلك الديانة النقية، ديانة العقل التى هى مطلب الحياة الأخلاقية»(*)

(*) Durant, Vol.X,P.546

Recommended English Readings

1. Bainton , Roland H., **The Horizon History of Christianity**,
Avon, 1966, pp. 337-353.
2. Durant, Will & Ariel, **The story of Civilization**, Vol. IX, **The
Age of Voltaire**, pp. 140-158, 605-621, 650-678-715-785

Vol. X , **Rousseau and Revolution**, pp. 531-550
3. Jay, Eric G., **The Church, Its Changing Image Through Twenty
centuries**, pp. 221-225.
4. Johnson, paul, **A History of Christianity**, pp. 350-353.
5. Latourette, K. S., **A History of Christianity**, pp. 1004-1007.
6. Vidler, Alec R., **The Church in an Age of Revolution**, Penguin
Gooks, 1974. pp. 23, 24.
7. Walker, Williston, **A History of the Christian Church**, pp. 437-
443, 484-486.

ثانياً: علم اللاهوت فى القرن التاسع عشر وبدايات «العصرية»

علماء اللاهوت الألمان

مع أن حقلى الفلسفة واللاهوت ظلا متقاربين جداً، فقد أظهر القرن التاسع عشر تباعداً بينهما كنظامين أكاديميين، ويجب أن نتتبع مسار علم اللاهوت وتأثيراته على الكنيسة وحيث أن أعظم اللاهوتيين (تأثيراً) خلال هذه الحقبة كانوا من الألمان فليسوف نبداً بواحد قيل إنه حصل على المواهب الضرورية لإعادة تفسير الإيمان المسيحى لجيل أرهقته العقلانية. (*)

(أ) فريدريك شليرمacher Friedrich Schleiermacher
(١٧٦٨-١٨٣٤)

إيمان الإنسان يبدأ بشعور الاتكال

كان شليرمacher ابناً لقسيس فى الجيش الألمانى. تعلم فى مدارس «مورافية». درس بتوسع لكبار الفلاسفة فى عصره والسابقين حتى أفلاطون. وتأثر بصفة خاصة باسبينوزا وليبنيتز وكانط « وبما عرف وقتئذ بالحركة الرومانسية. وعلى مثال الرومانسيين فى الآداب، أكد شليرمacher على الشعور أو الوعى أكثر من العقل. وأنكر فكرة أن الدين مجموعة من العقائد والتعاليم الثابتة التى يجب أن تقبل بالإيمان، أو أنها نظام لقواعد الأخلاق. فالدين بالأحرى ينشأ من الاختبار الإنسانى. ونقطة بداية الإيمان هى شعور الإنسان بالاتكال. إنه عن طريق هذا الوعى بالاتكال يعلن الله نفسه للإنسان. وإن ذلك الاختبار هو الذى يجب أن يكون أساساً لكل من اللاهوت والأخلاق

الوعى بوجود الله شائع فى كل الأديان

هذا الاختبار موجود بدرجة ما فى كل إنسان. الكل واعون بالاتكال. والكل يختبرون الله. مهما كان الاختبار جزئياً وكل ديانة تحاول أن تسد الفجوة بين هذا

(*) Jay, op. cit. p. 230

الاختبار الجزئى وبين حقيقة الله نفسه. ويمكن الحكم على كل الأديان، ليس بأنها صادقة أو باطلة، لكن بنموها فى هذا الاختبار وتقدمها فى اتجاه الله وهكذا تكون كل الأديان إعلاناً عن الله بطريقة ما. ومن بين كل الأديان المعروفة للإنسان حتى الآن نجد أن المسيحية هى الأفضل لأن لديها الإعلان الأسمى.

وعى المسيح التام بالله

تتميز المسيحية بفكرة فداء المسيح. ولم يكن الأمر الجوهري عن المسيح هو تعليمه أو معجزاته أو تحقيقه للنبوءات، لكن وعيه الكامل بالله. ففى المسيح يتوافق تماماً "الاختبار الدنيوى للإنسان مع الكمال اللاتهاى لله. إن عمل المسيح قادياً، يكمن فى تبليغ سائر الجنس البشرى بقوة إدراكه لله.

الوعى بالله فى الكنيسة

علاوة على ذلك، فإن هذا الوعى بوجود الله الذى تحقق لنا بواسطة المسيح. لا يناله المسيحيون كأفراد، لكنه يُعطى فى اختبار حياة المسيحيين المشتركة، والوعى الذاتى الدينى يؤدى بالضرورة فى تطوره إلى الشركة أو الأخوة.. أى الكنيسة. هذه الكنيسة تجد أصولها فى يسوع المسيح، آدم الثانى، وتصبح «خليقة جديدة» [٢ كو ٥: ١٧].

الكنيسة المنظورة وغير المنظورة

كان لدى «شليرماخر» صورة مثلى عن الكنيسة «الحقيقية» أو «غير المنظورة» المكونة من ذوى المواهب العليا الذين لديهم أعلى مستوى من الوعى بالله. أما جمهور المسيحيين المؤمنين فموجودون فقط كالكنيسة «المنظورة» وهدف كل الحياة الروحية هو رفع الكنيسة «المنظورة» إلى مستوى الكنيسة «غير المنظورة». وأن تصبح الكنيسة المجاهدة هى الكنيسة المنتصرة التى قهرت كل مقاومة واستكملت تدريبها.

لا كهنوت فى الكنيسة

صفة رئيسية بين صفات الكنيسة المثالية المنتصرة أنه لا توجد بها رئاسة

كهنوتية، فلا تميز هناك للأشخاص، لكن فقط في الوظيفة وتأدية العمل «كل إنسان كاهن بقدر ما يجتذب آخرين إليه في الحقل الذي اختاره لنفسه والذي يستطيع أن يبرز فيه، وكل إنسان هو علماني بقدر ما يتبع مهارة وتوجيه شخص آخر في الأمور الدينية التي يكون هو أقل دراية بها... لكن هذه الجماعة هي شعب كهنوتي، جمهورية كاملة حيث يكون كل واحد بدوره قائداً وشعباً.» (*)

وهكذا فلا حاجة إلى كهنوت مستقل.

وحدة الكنيسة

ولا توجد حاجة لطوائف منفصلة. والطائفتان اللتان كان شليرماخر أكثر اتصالاً بهما، الكنيسة المصلحة والكنيسة اللوثرية، كانتا قريبتين كل منهما للأخرى لاهوتياً بحيث كان يمكن أيضاً أن ينموا معاً في اتحاد ظاهري مثل هذا الاتحاد قد تم فعلاً في ألمانيا سنة ١٨١٧ وكان شليرماخر عضواً في هذه الكنيسة المتحدة.

تأثير شليرماخر

انقسمت الكنيسة في نظرتها إلى شليرماخر. فكان هناك نقد شديد لمحاولته «الليبرالية Liberal في علم اللاهوت، لكن العديد من المفكرين اتفقوا على «أن كتابه (الإيمان المسيحي) هو- باستثناء كتاب كالفن (الأنظمة)- أهم عمل يغطي كل تعاليم العقيدة التي يمكن أن يشير إليها علم اللاهوت البروتستانتي.» (***) كما يقول «فيدلر» «اتسم عمله بصفة عامة بنفس الرؤية التي اتسم بها اللاهوت البروتستانتي الليبرالي التالي كتأثير كتاب سوما الذي كتبه القديس توما بالنسبة للمذهب «التوماوي أو كتاب «أنظمة» لكالفن بالكنيسة لعلم اللاهوت المصلح. قال كاتب كاثوليكي، «كان تأثير آراء شليرماخر هائلاً، بحيث يمكن القول بدون مبالغة إن اسمه ساد تماماً على علم اللاهوت البروتستانتي في القرن التاسع عشر، ولم يزل يتعرض لنفس التأثير في القرن العشرين» (***)

(*) Quoted by Jay, op. cit.p.240

(**) Ibid,p.244

(***) Alec.R.Vidler, The Church in the Age of Revolution, pelican,5,1974,p.26

(ب) أفكار راديكالية جديدة فى الدراسات الكتابية

نظرية التطور Evolution

النقد الكتابى

جنباً إلى جنب مع أفكار جديدة فى علم اللاهوت بدأ علماء آخرون دراسة نقدية للكتاب المقدس: فنجد أن «فرديناند بور» (١٧٩٢-١٨٦٠) "Ferdinand Baur" من توبنجن Tübingen بألمانيا يطبق النظريات الفلسفية لفريدريك هيجل Friedrich Hegel (١٧٧٠-١٨٣١) ليناقض تأثير الرسولين بطرس وبولس على «العهد الجديد». فأرّخ الأناجيل والرسائل طبقاً لمدى تأثير بطرس أو بولس على الكتابة. وأكثر من ذلك فقد قرر أن إنجيل لوقا يجب أن يكون قد كتب فى ميعاد متأخر جداً لأنه يبين تأثير «مارسيون Marcion المضل (الهرطوقى)». وقد حاول «جوتلوب بولس Gottlob Paulus (١٧٦١-١٨٥١) أن يفسر معجزات المسيح بأنها سوء تفسير لأحداث طبيعية.

استراوس ينكر المعجزات Strauss

كان أهم راديكالى ينتمى لعلماء القرن التاسع عشر هو دافيد ستراوس David Strauss (١٨٠٨-١٨٧٤) وقد أنكر استراوس إمكانية وقوع المعجزات. قال فى حوارهِ إن متى ومرقس ولوقا ويوحنا لم يكتبوا الأناجيل، بل كتبها آخرون فى وقت لاحق. وإن الحقائق الطبيعية البسيطة عن حياة يسوع هُوكِت بأساطير اخترعها كاتبو الأناجيل الذين كانوا ينتظرون مسياً صانع معجزات. وقد دحضت الدراسات اللاحقة بالطبع أقوال استراوس، وبينت أن أقواله ما هى إلا قصة تاريخية لحياة يسوع تتجاهل كثيراً من الحقائق التى أوردها الإنجيل. وقد رفضت أعمال ستراوس فى أيامه وحرم بعدئذ من الوظائف اللاهوتية. إلا أن تأثيره كان كبيراً فيما يعرف «بالنقد الأعلى» Higher Criticism فى الدراسة الكتابية.

شارل داروين والتطور Charles Darwin and Evolution

دارت فى سنة ١٨٥٩ مناقشات جدلية هامة عندما نُشر كتاب «أصل الأنواع» "The Origin of Species" لشارل داروين (١٨٠٩-١٨٨٢). هنا نجد العلم والدين

فى صراع صريح. قدم داروين فى كتابه نظرية التطور كتنفسير لأصل ونمو وتطور كل مادة حية. فبعد سنوات طويلة قضاها فى البحث وسط النباتات والحيوانات، استنتج داروين أن الحياة نمت طبقاً "للاتنخاب الطبيعى Natural Selection أو (البقاء للأصلح) Survival of the fittest. فالمخلوقات التى استطاعت أن تتكيف تلقائياً مع بيئتها هى دون غيرها التى استمرت فى الحياة. أما المخلوقات التى لم تتوافق مع البيئة فقد انقرضت، والصفات الإيجابية للأنواع التى عاشت ورثها الجيل التالى. (*) وهكذا فإنه على مدى ملايين السنين توالدت وتطورت أشكال أعلى (الأكثر تكيفاً مع البيئة) من الأنواع الأدنى. إذن طبقاً لهذه النظرية فإن الحياة البشرية نفسها لا بد وأنها نشأت من بعض الأنواع الأدنى.

الداروينية تثير تساؤلات حول الكتاب المقدس

أدرك قادة الكنيسة على الفور أن نظرية التطور أثارت قضايا لاهوتية خطيرة. بدت أنها تناقض رواية الخلق كما وردت فى سفر التكوين، خصوصاً أصل الإنسان نفسه. وبطريقة ما، هددت هذه النظرية خطة الإيمان المسيحى بأكملها (عقيدة الخطية الأصلية، والعمل الفدائى للمسيح، الخ). فأعلن الأسقف صموئيل ولبرفورس Sa-muel Willberforce (١٨٠٥-١٨٧٣). أن «مبدأ داروين للانتخاب الطبيعى لا يتفق مطلقاً مع (كلمة الله). فلقد أعطت نظرية التطور لأعداء المسيحية فى ذلك الحين وقوداً لهجومهم على الكنيسة. كما أن «توماس هنرى هكسلى» Thomas Henry Huxley (١٨٢٥ - ١٨٩٥) أستاذ علم الأحياء، تخلى عن إيمانه لأنه شعر بأنه لا يوجد بعد أى برهان على وجود الله».

(*) اكتشف العلماء أن الصرصار من بين أفضل المخلوقات التى عاشت فى التاريخ البيولوجى (تاريخ علم الأحياء) إذ تعلم كيف يكيف نفسه ليعيش فى البلاعات- والمجارى التى تستخدمها المدنية الإنسانية.

رجال الكنيسة الليبراليون يساندون نظرية التطور

كان هناك عدد أكبر من رجال الكنيسة الليبراليون الذين رأوا في نظرية التطور سبيلاً لمخاطبة العقل العلمى العصرى. فقال أحد الرعاة البريطانيين:

«شكراً لله، إن رجال العلم... هشموا صنم كتاب معصوم من الخطأ، أغلال ما أدعوا أنه قانون أحكام إلهية لأنهم بذلك عاونوا على إعلان يسوع المسيح فى جلاله... إنه، فى رأينا، «كلمة الله»... إنه أكثر روعة أن ترى الله خالقاً للعالمين «بروحه» على مدى الأجيال- من أن نراه خالقاً لها فى أيام قلائل»^(*)

العلم والدين

ربما لا توجد قضية لاهوتية بمفردها أزعجت الكنيسة بمقدار ما أزعجتها نظرية التطور. إنها تصور المساجلة بين العلم والدين، وأصبحت نوعاً من جبهة قتال بين «الليبراليين» و «المحافظين». ومازال الصراع مستمراً فى وقتنا هذا وهو سبب انقسام الكنيسة

«ريتشل» Ritschl يبحث عن المجتمع المسيحى الأسمى

كان «البرخت ريتشل» "Albrecht Ritschl" (١٨٢٢-١٨٨٩) أحد أشهر اللاهوتيين الألمان. وهو رائد مذهب الليبرالية ولاهوتى القيم الأخلاقية. كان ريتشل مدركاً متحمساً للقضايا التى أثارت فى وقته، لذلك بذل جهده لإيجاد سبيل جديد للتوفيق بين الإيمان المسيحى والمعرفة الجديدة للدراسات العلمية والتاريخية. وكان يعتقد أن حقائق الإنجيل الأصلية البسيطة قد أفسدتها الفلسفات والثقافات، والمؤسسات المختلفة الخاصة بالقرون السابقة. ودافع عن الاستخدام الكامل لأدوات

(*) Quoted by Vidler, op. cit. p. 119

النقد التاريخي لكي يفهم بوضوح المجتمع المسيحي البدائي ويسوع التاريخي.

إعلان الله في يسوع المسيح

آمن ريتشل بأن التأملات الفلسفية كانت بلا جدوى. فقد تمكنت من أن تقدم فكرة عن الله خالقاً، فحسب- وليس بكل تأكيد الآب المحب الذي تقدمه الأسفار المقدسة. الأساس الوحيد الموثوق به لمعرفة الدينونة هو إعلان الله التاريخي في يسوع المسيح. وكما يقول «ووكر "Walker":

"تمسك ريتشل بأن وثائق الكتب المقدسة قدمت شهادة موحدة موثوق بها عن عمل المسيح. كان المسيح بحق إعلاناً عن ماهية الله في المحبة، والنموذج لما يمكن أن يكون عليه الإنسان، وحامل سلطان الله الأدبي على الناس ومؤسس ملكوت الله. على هذا النحو كان المسيح معروفاً تماماً"، أما السؤال حول سابق وجوده، أو ما إذا كان ذا طبيعتين، أو ما إذا كان أقنوماً واحداً من الثالث، فهذه أسئلة ما كان في استطاعة اختبارات الكنيسة الأولى أن تجيب عليها. «(*)

ملكوت الله

كان لدى ريتشل الكثير ليقوله عن ملكوت الله، من الناحية الأخلاقية وليست من ناحية الأخريات لكن بمعنى أخلاقى. ويوضح «فيدلر» فكرته اللاهوتية عن الملكوت قائلاً:

«الله محبة، وقصد الله للعالم هو بناء ملكوت الأرواح الحرة من كل أمة وجنس، المرتبطين معاً في مجتمع أخلاقى وفي محبة أخوية. كانت وظيفة المسيح أن يقيم الملكوت، وقد بذل حياته لهذه الغاية. إن إقامة ملكوت الله ونموه استحوذ على كل اهتمامات ريتشل. (**)

الكنيسة والملكوت في رأى ريتشل كانا وجهين لمجهود مشترك للروحانية والعمل «الكنيسة هي الملكوت جاثية على ركبها وأيديها مرفوعة في الصلاة،

(*) Walker, op. cit. p. 494

(**) Vidler, op.cit.p.III

والملكوت هو الكنيسة واقفة على أقدامها للعمل وأسلحة القتال في أيديها. » (*)

علماء اللاهوت الذين تأثروا به/ريتشل

وقع هذا المفهوم يمكن أن نراه في كتابات كثيرين من علماء اللاهوت اللاحقين، الذين من أشهرهم « أدولف فون هارنك Adolf von Harnack (١٨٥١-١٩٣٠) في كتابه « ما هي المسيحية؟ » What is Christianity و « أرسنت ترولتش Ernest Troeltsch (١٨٦٥-١٩٢٣) في كتابه « التعاليم الاجتماعية للكنائس المسيحية »

The Social Teachings of the Christian Churches

الإنجيل الاجتماعي

« وولتر روزنبخ Walter Rauschenbusch (١٨٦١-١٩١٨) كان مديناً بالكثير لتعليم « ريتشل » في التعبير على الإنجيل الاجتماعي. و (روزنبخ) أمريكي من أصل ألماني ألف كتاباً مثل « المسيحية والأزمة الاجتماعية » Christianity and the Social Crisis" و « تحويل النظام الاجتماعي إلى النظام المسيحي Christianizing the

Social Order

« علم لاهوت الإنجيل الاجتماعي A Theology for the Social Gospel »

وقد آمن بأن ملكوت الله في حاجة إلى خلاص اجتماعي كما إلى خلاص فردي وطالب « بنظام جديد يقوم على أساس المبادئ المسيحية من ناحية الحقوق المتساوية والتوزيع الديمقراطي للقوة الاقتصادية ». كان أحد الدعاة الأوائل لعلم اللاهوت التحرري في القرن العشرين. وجدير بالملاحظة أننا ما زلنا نسمع في كنيستنا اليوم عبارات منسوبة إلى ريتشل وآخرين مثل (بناء الملكوت)، امتداد الملكوت، تقدم الملكوت» الخ.

(*) Ibid

(ج) مذهب التوحيد Unitarianism

ردود الفعل تجاه الليبرالية

تراوحت ردود الفعل ازاء الليبرالية فى القرن التاسع عشر ما بين الرفض الفورى أو الدراسة المتأنية. كان هناك أمثال هكسلى Huxley الذين تركوا الكنيسة ببساطة لاعتقادهم أنه لم يعد بعد أساس منطقى للإيمان المسيحى.

الموحدون الأوائل

طائفة واحدة بنوع خاص تكونت فعلاً فى تلك الحقبة نتيجة لتأثير المذهب العقلانى. وهى طائفة (الموحدين) الذين- كما يدل اسمهم- رفضوا عقيدة «الثالوث». وكان مذهب التوحيد هو التعليم الأساسى لسرفيتوس Servetus فى جنيف فى القرن السادس عشر. « كما أن فوستوسوزينيس Fausto Sozzini (١٥٣٩-١٦٠٤) كان الأب لمذهب «السوسينيانية Socinianism»، وهى عقيدة أنكرت كفارة المسيح واعتبرت موت المسيح مثلاً عظيماً للطاعة التى يجب أن يتبعها كل مسيحى. ويعتبر السوسينيانيون أنهم الموحدون الأوائل. وقد تكونت إحدى الكنائس حول مذهب السوسينيانية لكنها اضطهدت بقسوة من كل من الكاثوليك والبروتستانت ولم تكتب لها الحياة. وقد تميز اثنان من الموحدين بأنهما آخر الرجال الانجليز الذين أعدموا حرقاً بتهمة الهرطقة سنة ١٦١٢.

الموحدون فى القرنين الـ ١٧ والـ ١٨ فى إنجلترا

أشهر الموحدين فى القرن السابع عشر فى إنجلترا كان «جون بيدل John Biddle (١٦١٥-١٦٦٢) الذى كان له أتباع قلائل بين المثقفين. وبحلول القرن الثامن عشر كان مذهب التوحيد- تحت تأثير التنوير Enlightenment قد بدأ فى شن غارات إعلامية خطيرة بين المعمدانين والمشيخيين. فى سنة ١٧٧٣ انسحب «ثيوفيلوس ليندسى Theophilus lindsey (١٧٢٣-١٨٠٨) من الكنيسة الانجليكانية ليؤسس كنيسة موحدة». وقد أرغم جوزيف بريستلى Joseph Priestly (١٧٣٣-١٨٠٤) المشارك عن قرب مع ليندسى على الهجرة إلى أمريكا وبعد صراع طويل اعترف البرلمان الانجليزى أخيراً بالكنيسة الموحدة كطائفة فى سنة ١٨١٣.

«شانينج» فى أمريكا Channing

أبرز اسم فى مذهب التوحيد الأمريكى كان «وليم ايليرى شانينج William El- lery Channing (١٧٨٠-١٨٤٢) من بوسطن. وكان واعظاً فى الكنيسة المستقلة وعاون فى تأسيس اتحاد الموحدين الأمريكان سنة ١٨٢٥. لم يكتف شانينج بالتأكيد على إنكار عقيدة «الثالوث» بل إنكار عقيدة الخطية الأصلية وعقيدة سبق التعيين أيضاً. ونادى بأن الخلاص يعتمد على خُلق المؤمن أكثر منه على النعمة. ومفهوم (الولادة الجديدة) عند شانينج كان (تنمية الشخصية الأخلاقية للإنسان إلى أعلى مستوى ممكن لها. وقد كتب يقول:

«على المسيحية أن تخرج من ظلام الماضى وفساده، فى بهائها السمائى وبساطتها الإلهية. يجب أن تُفهم على أن قصداً واحداً هو استكمال الطبيعة الإنسانية، والارتفاع بالناس إلى كائنات أشرف وأنبل. (*)»

الموحدون يتحدون مع القائلين بخلاص الجميع (الشاملة Universalist)

كان مذهب التوحيد مؤثراً بصفة خاصة فى الجامعات مثل جامعتى «هارفارد» و«ييل Harvard & Yale» وييل. فى سنة ١٩٦١ اتحد الموحدون مع الكنيسة الشاملة The Universalist Church التى تؤمن بخلاص الجميع. والعضوية المتحدة لهذه الكنيسة اليوم لا تزيد عن ٢٥.٠٠٠ عضو.

(د) أفكار ختامية عن مواجهة الكنيسة مع «العصر الحديث»

العلم يتحدى سلطة الكنيسة

حاول المؤلف أن يبين أن هذا كان عصراً مختلفاً كثيراً عن أى عصر سابق لأول مرة، ووجهت الكنيسة بتحدى سلطتها الأساسية. والسؤال الذى أثارته حركة الإصلاح هو: لأى حكم نخضع، هل للتقليد والبابوية أم للكتاب المقدس؟ وعلى هذا قال العلماء والفلاسفة: «نحن لا نقبل بالكنيسة ولا بالكتب المقدسة كمن لها سلطان

(*) Johnson, op. cit. p. 428

لابد من شهادة منصفة للإيمان المسيحي ودليل علمي على صحة معتقداته. وعلى كل فقد رفضت الأغلبية الكبرى للكنائس البروتستانتية التخلي عن سلطان الكتاب المقدس وتعلق الكاثوليك بسلطان الكنيسة.

اللاهوتيون الذين سعوا إلى حل وسط

ومع ذلك يجب أن نعترف بفضل بعض مفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في محاولتهم إيجاد حل وسط. عموماً قالوا يوجد دليل للاختبار الديني فضلاً عن شهادة الكنيسة والكتب المقدسة. وإذا بدأوا بالمجادلات المألوفة للبراهين الخارجية قالوا :

إنه يجب أن تكون هناك (علة أولى)، خالق، وإن علامات اليد التي خططت موجودة كلها من حولنا في الطبيعة. الخ. ثم مضى الفلاسفة ليكشفوا داخل الإنسان نفسه دليلاً على وجود الله كما يقول ديكارت، (إذا كنا نستطيع أن نفكر مجرد تفكير في الله فلا بد أن يكون موجوداً). وهناك «حتمية استخدام المطلق» «لكانط» Kant أي الشعور بالالتزام العام نحو كل الناس. وكان لدى شلير ماخر "الكثير ليقوله عن حاسة الاتكال عند الانسان، ووعيه بالله، الخ. ومع أن الكنيسة اتجهت إلى رفض هذه النظريات باعتبارها غير مرضية، فإن النظريات ساعدت اللاهوتيين على أن يفكروا ملياً ويعيدوا تقييم عقائدهم بطرق عاونة في مواجهات هذا «العصر الحديث».

لنذكر كيف أن تحدى «الغنوسية» في القرنين الثاني والثالث أرغم كنيسة ذلك الزمان على أن تصوغ أقدم إقرارات الإيمان. كما أن قانون إيمان نيقية كان رداً على تحدى «الأريوسية». هكذا فإن المصلحين صاغوا قوانينهم ملائمة لتحدى القرن السادس عشر.

سوف نتأمل في الفصل التالي كيفية تعامل كنيسة القرن العشرين مع التحدى المستمر من جماعة الليبراليين.

Recommended English Readings

1. Barraclough, Geoffrey (editor), **The Christian World, (a Social and Cultural History of Christianity)**, Thames and Hudson, London, 1981-pp. 250, 251, 257, 258.
2. **Eerdmans Handbook to the History of Christianity**, Eerdmans's, Grand Rapids, Michigan, 1977, pp. 494-496, 538-541, 594.
3. Jay, Eric G., **The Church**, pp. 237-258.
4. Johnson, Paul, **A History of Christianity**, pp. 428,429.
5. Latourette, K.C., **A History of Christianity**, pp. 792-795; 1072-1073, 1261-1264.
6. Vidler, A.R., **The Church in an Age of Revolution**, pp.101-122
7. Walker, Williston, **A History of the Christian Church**, pp. 443, 444,486-495.

ثالثاً: الاتجاهات اللاهوتية فى القرن العشرين

نتيجة للتحدى العقلانى والعلمى فى القرن التاسع عشر، الليبرالية أو «العصرية» Modernism كما كانت تسمى. تجاذيب الكنيسة المسيحية اتجاهات عديدة مختلفة. واستمر هذا الصراع فى القرن العشرين. وكان للسلسلة العريضة للمواقف اللاهوتية المتباينة من التمسك الشديد بالتقديم إلى الليبرالية المتطرفة قد أثر فى كل طائفة مسيحية بما فى ذلك الكاثوليك. فى هذا الفصل سنفحص بعض ردود الفعل النموذجية تجاه الليبراليين فى القرن العشرين، وبصفة خاصة الاتجاه الجديد المعروف باسم «لاهوت الطوارئ» أو «الأرثوذكسية الجديدة» Neo- Orthodoxy- Theology of Crisis وليكن مفهومًا أنه سيكون فى الإمكان تناول التعامل فقط مع أعداد قليلة فقط من أشهر وأبرز الشخصيات وجانبًا قليلًا من الفيض العظيم لأدب ذلك العصر. وفى هذا ما يكفى للدلالة على الاتجاهات الهامة.

(أ) رد المحافظين على الليبراليين

«لوكس موندى» (نور العالم) Lux Mundi

فى سنة ١٨٨٩ أخرج فريق من العلماء الانجليكان كتابًا اسمه «لوكس موندى» (نور العالم) حاولوا فيه أن يوفقوا بين الدراسة اللاهوتية المتطرفة وعلم اللاهوت المحافظ. فقبلوا بالكثير من نقد العهد القديم كالقول، مثلاً بأن بعض قصصه ربما كانت فى حقيقتها خرافات أو أساطير. وابتكروا نظرية أسموها «الإعلان المتدرج» Progressive Revelation التى قالوا بمقتضاها إن إعلان الله جاء للناس بحسب طاقتهم العقلية على استيعابه. هكذا فإن الكتاب المقدس يبين تدريجياً من الفكر البدائى إلى الفكر الناضج. شعر الكثيرون بأن (الإعلان المتدرج) يمد لهم بالإجابة على الانتقادات الكتابية فى ذلك الوقت ومازال مفضلاً من الكثيرين فى يومنا الحاضر.

التمسك بالأصولية Fundamentalism

رفضت الكنائس المحافظة «الإعلان المتدرج»، كما رفضت «النقد الأعلى» The Higher Criticism. وفى مؤتمر بأمريكا سنة ١٨٩٥ أعد فريق من رجال الكنيسة

المحافظين قائمة بأساسيات الإيمان المسيحي:

(١) عصمة الكتب المقدسة

(٢) ألوهية المسيح

(٣) الميلاد العذراوي

(٤) نظرية الكفارة النيابية

(٥) قيامة الجسد

(٦) المجيء الثاني بنفس الجسد

هذه العقائد توسعت فيما بعد إلى اثني عشر مجلداً تسمى الأصوليات والتي اشتقت منها كلمة «الأصولية» Fundamentalism ويمكن القول بأنها تميز معظم أفرع البروتستانتية المحافظة. (*) ويجدر بالذكر أن اصطلاح (الأصولية) لا يزال مستخدماً بواسطة الليبراليين كاسم للمحافظين المتطرفين، تماماً مثلما يستخدم «الانجيل الاجتماعي» بواسطة المحافظين لتعريف الليبراليين المتطرفين.

الاكتشافات التاريخية والأثرية (علم الآثار)

ساعدت الاكتشافات التاريخية الخاصة بالآثار في القرن العشرين على تصحيح وتوضيح الدراسات «الكتابية» كما أنها أكسبت مواقف المحافظين احتراماً. فالمخطوطات القديمة مثل «مخطوطة الفاتيكان Codex Vaticanus ، والمخطوطة السينائية Codex Sinaiticus ، وبرديات الفيوم Chester Beatty Papyri قطعت شوطاً بعيداً في تثبيت أصالة الكتب المقدسة. كما أن مخطوطات وادي قمران (المعروفة أيضاً بلفائف البحر الميت) ألقت بمزيد من الضوء على العهد القديم. وقد بينت مثل هذه الاكتشافات بوضوح أن العديد من النظريات الأولى حول الكتب المقدسة كانت

(*) من الجدول الدائر بين (التمسكين بالأساسيات)، جماعة «العصريين» الكنيسة المشيخية في أمريكا عندما استقال أحد المتخصصين في دراسة «العهد الجديد» واسمه ج.ج. ماكين (١٨٨١-١٩٣٧) من كلية اللاهوت بجامعة «برنستون» في عام ١٩٢٩ بسبب الليبرالية في برنستون، وكان هو المؤسس الرئيسى لكلية وستمنستر اللاهوتية في فيلادلفيا وما يعرف الآن بالكنيسة الارثوذكسية المشيخية.

فى حقيقتها بلا أساس، وأكثر من ذلك فإنها قدمت أفكاراً منطقية ومتداولة للدراسة الكتابية المعروفة بالطريقة النحوية التاريخية Grammatico-Historical . فعلى دارس الكتاب المقدس ألا يكتفى بدراسة النص الحرفى فحسب، بل يجب أن يأخذ فى الاعتبار اللغة والثقافة والنواحى الجغرافية والتاريخية، الخ- أى الوضع الإنسانى الكامل للعصر عندما كُتبت الكلمات فى أول الأمر. هذا الاتجاه المتوازن للدراسات الكتابية لم يسترجع فقط التأكيد للمسيحيين على الوثوق بالكتب المقدسة، بل ساعد أيضاً إلى حد ما على تحريك الكتاب المقدس بعيداً عن ميدان الجدل المرير. فإن كلا من المحافظين والليبراليين أصبحوا أكثر اعتدالاً فى تناولهم الدراسات الكتابية.

يجب أن نذكر أيضاً بعض أسماء المثقفين الذين كانوا من المتحدثين باسم المسيحية المحافظة.

ب. فورسايت P. T. Forsyth

بدأ «فورسايت» الانجليزى (١٨٤٨-١٩٢١) دراساته اللاهوتية على يد العالم الألمانى «ريتشل» وكان لسنوات قليلة محسوباً ضمن «الليبراليين». لكنه شيئاً فشيئاً تحرر من وهم الليبرالية بسبب فراغها الروحى وأصبح مقتنعاً بأن أدوات دراسة النقد الكتابى يمكن ويجب أن تستخدم فى دعم القضية الانجيلية. فى أعظم مؤلفاته «شخص ومكان يسوع المسيح The Person and place of Jesus Christ» أضاف مساهمة لفهم ألوهية المسيح وعمله وفقاً لرأى المحافظين.

س. إس. لويس C. S. Lewis

لاشك أن أفضل المفكرين العصريين المستقيمي الرأى هو سي. إس لويس (١٨٩٨-١٩٦٣) وكان أستاذ أدب العصر الوسيط بالقسم الإنجليزى فى جامعة كامبردج. لكنه ببساطة وأسلوب مقنع كتب عن الإيمان المسيحى بطريقة أكسبته شهرة عظيمة وأشهر كتاب له عنوانه «رسائل الشريط اللولبى» The Screwtape Letters وهى قصة خيالية عن أن الشيطان يكتب رسائل نصح لابن أخيه عن أفضل وسيلة لإغواء الجنس البشرى. وبسبب مواهب لويس ككاتب وخطيب، اقتنع بالعودة

كثيرون من الذين سبق أن انصرفوا عن المسيحية لأسباب عقلية. وأصبح لويس يسمى «الرسول إلى المرتابين».

فيما يلي ما يسوقه لويس للبرهنة على أن يسوع هو ابن الله:

«سيقول بعض الناس إنهم يقبلون يسوع كمعلم أخلاقي عظيم. لكن ليس كابن الله. وهذا هو الشيء الوحيد الذي يجب ألا نقول به فلو أن رجلاً عادياً قال بمثل الأقوال التي قالها المسيح فهو لا يكون معلماً أخلاقياً عظيماً بل إما أن يكون معتوهاً على نفس مستوي رجل يقول «أنا بيضة مشوية»، أو يكون شيطان الجحيم. عليكم أن تقررُوا اختياركم. فإما أن هذا الرجل كان هو فعلاً (ابن الله)، وإما فهو مجنون أو شيء أردأ. يمكنك أن تخرس لسانه لأنه أحمق، أو تبصق على وجهه وتقتله كشيطان، أو يمكنك أن تسقط عند قدميه وتدعوه رباً وإلهاً، لكن لنمتنع عن تأييد سفاهة تقول بأنه كان معلماً إنسانياً عظيماً. إنه لم يترك لنا منفذاً بذلك، ولا كان في قصده أن يفعل» (*)

دوروثي ل. سايرز Dorothy L. Sayers

مفكرة بارزة أخرى من نفس مدرسة «لويس» هي دوروثي ل. سايرز (١٨٩٣-١٩٥٧). اشتهرت الأنسة دوروثي ككاتبة قصص بوليسية. كانت مثل لويس متخصصة في «العصور الوسطى». ترجمت الكوميديا الإلهية لدانتي (Dante) إلى اللغة الإنجليزية ترجمة ينظر إليها العلماء بعين التقدير والاعتبار. وكمدافعة عن الإيمان المسيحي كان كثيرون في الجامعات وغيرها يقرأون مؤلفاتها. اثنان من أفضل كتبها هما «إيمان أو فوضى» Creed or Chaos «وعقل الخالق» The Mind of the Maker. ذكرنا هنا قليلين جداً من أشهر الكتاب المحافظين الذين أثروا أعظم التأثير في الدفاع عن الإيمان في عالم يسوده المذهب الدنيوي Secularism ومذهب الارتياب. واللاأدرية Agnosticism والأناية الصريحة.

(*) Eerdmans Handbook of the History of Christianity, p. 605

(ب) الأرثوذكسية- الجديدة

السخط على الليبرالية

كان عدم الرضا عن الفقر الروحي في التعليم الليبرالي يتزايد حتى من داخل ما يسمى بالاحزاب الليبرالية في الكنيسة. وتعبيراً عن هذا السخط ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى حركة تعرف بالأرثوذكسية الجديدة أو «لاهوت الطوارئ»، كما تعرف أيضاً عند الفلاسفة بـ «الوجودية».

(سورين كيرك جاردو «قفزة الإيمان»

كان مؤسس الأرثوذكسية الجديدة دانيمركيأ عاش في أوائل القرن التاسع عشر، اسمه، «سورين كيرك جارد» (١٨١٣-١٨٥٥). ولأنه كتب باللغة الدنيماركية، فإن القليلين جداً كانوا ملمين بعمله في زمانه. فلما اكتشفه اللاهوتيون الأوروبيون بعد مائة سنة أصبح تأثيره عميقاً في علم اللاهوت. لقد اجتاز كيرك جارد في صراعات روحية مكثفة وهو شاب وأصبح ناقداً لكنيسة زمانه بسبب ضحالتها الروحية. وانتهى تفكيره إلى أن المسيحي الفرد يجب أن يصنع قفزة إيمان «كي يحصل على علاقة صحيحة مع الله. يجب ألا يتطلع إلى سلطة خارجية من خلال الكنيسة أو الكتاب المقدس أو الفلسفة. إن الله مختلف تماماً عن الطبيعة الإنسانية. ولا يمكن أن نعرفه بطريقة عقلية إلا أننا نستطيع فقط أن نعزم على الإيمان بأن الله موجود وأنه يحبنا في يسوع المسيح. كتب كيرك جارد الكثير عن «سخافة الإيمان» المسيحي، وأن الإنسان وقع فريسة للتناقض الظاهري بين الزمن والخلود. إن عقله لا يستطيع إسعافه بل فقط العزم على أن يؤمن بالرغم من التناقض.. بالرغم من كل شيء».

فشل الليبرالية

تطابق اكتشاف «قفزة الإيمان» لكيرك جارد مع رد الفعل السلبي تجاه علم اللاهوت الليبرالي كما كتب (ريتشارد نيبوهر) فيما بعد:

«الإدراك الليبرالي الرومانسي للكموت الله يقول... بعدم وجود أزمات، ولا مآسي، أو تضحيات، ولا خسارة لكل شيء، لا صليب ولا قيامة، في الأخلاق وفق

بين اهتمامات الفرد واهتمامات المجتمع بالثقة فى: أخلاق الإنسان الكريم الذى يحب الخير لغيره من الناس، وفى الدين تصالح الله مع الإنسان بتحدى الإنسان وتأنس الله. أصبح المسيح الفادى يسوع المعلم أو النابغة الروحى الذى ارتقت فيه تماماً الطاقات الدينية لبنى الإنسان... التطور، النمو، التقدم... وحل امتداد المثل الإنسانية الخيرية وتقدم المدنية محل الثورة المسيحية... إله بدون غضب جاء بأناس بلا خطية إلى ملكوت بلا دينونة من خلال خدمات مسيح بلا صليب! (*)

إعادة الرأى فى ملكوت الله

كان المتخصصون فى الدراسات الكتابية فى نفس الوقت تقريباً يراجعون رأيهم فى تفسير «رتشيل» لملكوت الله. لقد فرض ريتشل نظريات على البيان الكتابى. لم يقصد المسيح أن يكون الملكوت على نحو ما مجتمعاً مثالياً يمكن للكنيسة أن تبنيه بمجهوداتها الذاتية.. بالأحرى، ملكوت الله كما علمه يسوع هو من عمل الله نفسه، مؤسساً "حينما وحيثما وكيفما تشاء مسرته. الملك يدعو المؤمنين: «تعالوا إلى يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم». (مت ٢٥: ٣٤). كان المرسل الألمانى الشهير «البرت شويتزر» Albert Schiöciter فى كتابه «محاولة فى معرفة يسوع التاريخى» The Quest of The Historical Jesus دوراً كبيراً فى تصحيح هذا الانطباع الكاذب عن الملكوت. ومع ذلك فمن المحتمل جداً أن عدداً كبيراً من المسيحيين مازالوا يفكرون فى الملكوت كشئ يمكن أن يصنعه الإنسان.

كارل بارت

أشهر مفكر فى مدرسة الأرثوذكسية الجديدة هو الألمانى كارل بارت (١٨٨٦-١٩٦٨). من حيث أنه حين سمع مدافع الحرب العالمية الأولى أصبح مقتنعاً بعدم كفاية الإنجيل الاجتماعى الليبرالى. بدأ يدرس وكيرك جارد الكتاب المقدس. ومثل لوثر اقتيد إلى رسالة رومية حيث بدا له أن الله الحقيقى الحى كان مختلفاً بالكلية عن أى إله يمكن اكتشافه على المستوى الإنسانى.

(*) Vidler op. cit. P. 213

كان مستحيلاً على الناس أن يسمعوا « كلمة الله » الأصلية قبل أن يعترفوا بعجزهم التام عن الوصول إلى الله بمجهوداتهم الشخصية. إن العميان الذين عرفوا أنفسهم أنهم عميان هم فقط الذين يمكنهم أن يستنبروا

طبيعة الإيمان

وكما يقول « بارت » فى تعليقه على رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: « لا توجد طرق أو وسائل يشرية للخلاص. كما لا يوجد دَرَج يتحتم أن نتسلقه أولاً لبلوغ الإيمان. فالإيمان يأتى تلقائياً وهو يفرض ذاته.. وهو عند الجميع بسيط وعسير فى ذات الوقت. وهو وثبة فى الفضاء. وهو بقدر ما يسهل نواله بالنسبة للجميع فهو صعب بنفس القدر.

قوة الإنجيل

فى مكان آخر قال « بارت »: يستقر الإنجيل على الإنسان ككلمة الله القوية « تستجوبه إلى عمق كيانه، وتقتلعه فى ضماناته واقتناعاته. ولذلك فهى تنفض عنه غبار كل العلاقات التى تستبقه حبساً داخل مثله حتى يستطيع التحرر بكل إخلاص لله وللعمل الجديد العجيب لنعمته فى يسوع المسيح.

رينولد نيبوهر Reinhold Niebuhr

كان « رينولد نيبوهر » (١٨٩٢-١٩٧١) الأمريكى بين الكثيرين لذين وجدوا فى الأرثوذكسية الجديدة رد فعل منعش لللاهوت الليبرالى- طال انتقاده واشتدت الحاجة إليه. كتب نيبوهر فى الأخلاقيات والسياسة من خلال كتابه « الإنسان الأخلاقى والمجتمع الفاسد » لكنه أيضاً أعاد المفهوم « الكتابى » لعلم اللاهوت الكلاسيكى إلى مكانته فيما يختص بقضايا مثل « الخطية الأصلية و « النعمة » و « التبرير بالإيمان »

ديترىش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer

ربما كانت أحب شخصية تميز بأسلوبه الأدبى البسيط الصريح شخصية بين

اللاهوتيين أتباع الأرثوذكسية الجديدة هو «ديتريش بونهوفر» الذي أعده «النازي» فى ألمانيا لمحاولة مساعدة أربعة عشر يهودياً فى الهروب إلى سويسرا. تميز «بونهوفر» بأسلوب أدبى بسيط واضح وأشهر كتبه يحتوى على رسائل مكتوبة من السجن أثناء انتظاره تنفيذ حكم الإعدام. وكتبه مثل «الحياة معاً» و «ثمن التلمذة» تعبر عن أفكار لاهوتية عميقة بلغة سهلة يفهمها العلماني. كتب عن المسيح «إنسان لأجل الآخرين». وفى وسع الناس أن يتقبلوا نعمة الله بصدق عندما يخطون إلى الأمام ويتبعون المسيح فى تلمذة مكلفة. وقد أكد «بونهوفر» تأكيداً شديداً على أهمية وجود الكنيسة فى العالم. وكما قال:

«ليس العمل الدينى هو الذى يصنع المسيحى. لكنها المشاركة فى آلام الله فى الحياة الدنيوية... وأعنى بالدينية الاستغراق بلا تحفظ فى واجبات الحياة، فى المشاكل، وحالات النجاح ومرات الفشل، والاختبارات، والارتباكات. بمثل هذا العمل نلقى أنفسنا بالكامل بين ذراعى الله، غير عائين بآلامنا نحن بل بآلام الله فى العالم، ناظرين إلى المسيح فى جثيمانى. هذا، فى رأى هو الإيمان».

الآثار الإيجابية للأرثوذكسية - الجديدة

يمكن أن يقال عن الأرثوذكسية الجديدة أشياء حسنة كثيرة فهى قد توصلت إلى صد التفاؤل السهل وغير الواقعى لليبرالية وأرغمت الكنيسة على أن تعيد تفكيرها لاهوتياً. وأعادت للكتاب المقدس مكانته المركزية ودعت الناس إلى قبول إعلانات الله بطريقة جدية.

الآثار السلبية للأرثوذكسية الجديدة

من الناحية الأخرى تضع الأرثوذكسية-الجديدة على عاتق المؤمن معايير أخلاقية وفكرية متطرفة لدرجة أن القليلين هم الذين يمكنهم المعيشة بموجبها. وهى بهذا تسوق الناس إلى حالة التشاؤم واليأس وهى فى واقع الأمر نفس الحالة الروحية التى جر «كيرك جارد» نفسه إليها. والأرثوذكسية-الجديدة، فى أوضاعها المتصلبة تصل إلى حد اللامعقول وتجعل الحياة المسيحية اليومية بعيدة المنال للناس العاديين. ومع ذلك يمكننا القول بصفة عامة إن الأرثوذكسية الجديدة جاءت فى وقت

حاجة الكنيسة إليها ، فحققت توازناً صحيحاً بين تطرفات الليبرالية الفارغة التي لا معنى لها وبين التمسك الجامد بالأصولية.

Recommended English Readings

1. Bainton, Roland, **The Horizon History of Christianity**, pp. 408-412.
2. Eerdmans Handbook to the History of Christianity, pp. 594-598, 603-607.
3. Jay, Eric G., **The Church, Its Changing Image Through Twenty Centuries**, pp. 332-340.
4. Latourette, K.S., **A History of Christianity**, pp. 1382-1384. 1420- 1421.
5. Vidler, Alec R., **The Church in an Age of Revolution**, pp. 191-196, 201-222.

**التقوية والصحوات العظمى و «الإنجيلية»
البروتستانتية»
من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين**

نعود الآن الى بداية العصر الحديث (القرن السابع عشر) لنتابع مجرى ما يسمى «البروتستانتية الانجيلية»، هذا التيار داخل الكنيسة سار موازياً لتيار التنوير وما تلاه من المذهب العقلاني والمذهب الليبرال.. الخ، تفاعل التياران كل منهما مع الآخر على مدى هذه الحقبة الزمنية وتورطا كثيرا" في الجدال والمشاحنات. وكما تأملنا في «العصرية» وتأثيراتها على الكنيسة كذلك نتابع الآن مسار المذهب الإنجيلي وتأثيره على الكنيسة في وقتنا الحاضر.

أولاً: التقوية في القرنين السابع عشر والثامن عشر

التقوية وصف لحركة دينية نمت داخل الكنيسة. جاءت كرد فعل للاهتمام بالشكليات والجمود التي أصابت كنيسة الدولة اللوثرية بألمانيا. وقد نبزت التقوية على البساطة والدفء الروحي في مقابل التعسف الجامد الذي ينادي به من فوق معظم المنابر في ذلك الحين.

(أ) اسبينر وفرانك الألمانيات Spener and Francke

اسبينر يحاول تحسين حياة الكنيسة الروحية

يعود الفضل في ابتداء هذه الحركة لرجل يدعى فيليب جاكوب اسبينر Philip Jacob Spener (١٦٣٥-١٧٠٥). تلقى اسبينر تعليماً متعمقاً في علم اللاهوت اللوثرى وزود نفسه أيضاً بمعرفة الإيمان المصلح في سويسرا. وتأثر جداً بكتاب (المتطهرين) الإنجليز. وكراعى كنيسة في فرانكفورت انزعج اسبينر لافتقار شعب كنيسته إلى الروحيانية. لذلك بدأ يجمع فريقاً صغيراً للصلاة في بيته ودراسة الكتاب المقدس بهدف تعميق حياتهم الروحية. هذا الاجتماع الصغير أسماه Colle-gia Pietatis «معهد التقوى». ومنه أخذت الحركة التقوية اسمها.

كنائس صغيرة داخل الكنيسة

عندما راقب اسبينر المجتمع اللوثرى في أيامه صدمته حالة تدهور الخدمة الكنسية، والولع بالجدل اللاهوتي، وتدخل الحكومة في أعمال الكنيسة، ومستويات الشعب الأخلاقية المتدنية. لذلك بدأ حملة في كل كنيسة لإنشاء حلقات من أناس

أتقيا، الذين بتأثيرهم وقودتهم يمكنهم تحسين الحياة الروحية لكل كنيسة. هذه الحلقات أسماها اسبينر «كنائس صغيرة داخل الكنيسة» Ecclesioloc in Ecclesia .

تعليم اسبينر عن التقوى

ألف اسبينر كتاباً عنوانه «التقوى المطلوبة» (Pia Desideria) شارحاً فيه مبادئه ذكر فيه أنه بالنظر إلى أن كل المسيحيين كهنة فهم مسئولون كل عن الآخر والحياة المسيحية المقدسة أهم من المعرفة اللاهوتية. هذه الحياة لا تأتي إلا من تحول روحي، ولادة جديدة. كان اسبينر مثل البيوريتان في انجلترا معارضاً كل أنواع الطيش والاستهتار مثل-لعب القمار، الرقص، المسرح.. الخ. من واجب المسيحي أن يكون معتدلاً في كل شيء - الطعام والشراب واللباس الخ.

معارضة من الكنيسة اللوثرية

واجه اسبينر مثل كل المصلحين معارضة مريرة من داخل الكنيسة. انتقدوه بصفة خاصة لأنه اعتبر الفروق اللاهوتية غير ذات أهمية. وكان يقول: «إذا كان القلب مستقيماً فنقاوة العقيدة أمر ثانوي». كان هدفه إنعاش الكنيسة اللوثرية، لذلك اغتم لما انسحب بعض تلاميذه من العبادة العامة. هذا، بالطبع مما ساعد على اتهامه أنه يتسبب في الانقسامات في الكنيسة. والذي حدث أن البوليس منع الفرق التقوية من التجمع

جامعة تتسم بالتقوى في «هال»

انتقل اسبينر من فرانكفورت إلى درسدن حيث استمر يلاقى الانتقاد، وبعد فترة انتقل إلى برلين وهناك اكتسب صداقة الأمير «فريدريك الثالث» وهذا مكّن اسبينر من أن يكون له تأثير على حياة الجامعة الجديدة التي أسسها فريدريك في «هال» . Halle

فرانك يعزز التقوية

الشخصية البارزة الثانية في حركة التقوية هو «أوجست هيرمان فرانك» August Hermann Francke (١٦٦٣ - ١٧٢٧) الذي كان أستاذاً في جامعة «ليبزج». وكما عمل اسبينر بدأ فرانك يجمع من حوله زملاء الكلية ليدرسوا الكتاب المقدس. في

وقت لاحق كان له اختبار روحى، اختبار الولادة الجديدة. قام فرانك بزيارة اسبينر فى درسدن حيث قبل مبادئ التقوية بالكامل. وعند عودته إلى ليبزج بدأ يُرَوِّج لإيمانه الجديد بين الطلبة والمدرسين. لكنه على الفور هوجم من سلطات الجامعة، وأخيراً أرغم على الرحيل.

فرانك يُعين فى جامعة «هال»

خدم فرانك بعض الوقت فى «ايرفورت» Erfurt حيث واجه نفس الصعوبات بل الواقع أنه طرد. فى هذه الأثناء كان يجرى تأسيس جامعة «هال»، لذلك تمكن اسبينر من تدبير منصب لفرانك. وسرعان ما سيطر فرانك على الجامعة واستطاع أن يضع سياسة التقوى ويجذب هيئة جديدة من الأساتذة تتعاطف مع مبادئها.

فرانك يوسع الخدمة فى جامعة «هال»

لم يمض وقت طويل حتى أصبحت «هال» مركزاً رئيسياً للتقوية، جاذبة إليها الدعم والطلبة من مراكز أخرى فى ألمانيا. ووسع فرانك نشاطاته فى «هال» بعيداً عن العالم الأكاديمى. فلقد أسس مدرسة للأطفال الفقراء الذين لولا ذلك لظلوا أميين. كما أسس أيضاً ملجأ للأيتام ومعهداً للكتاب المقدس. ومن «هال» أرسل بعض أوائل المرسلين إلى الشرق الأقصى. وامتد تأثير «هال» إلى الكنائس اللوثرية فى بلاد أخرى مثل النرويج والسويد والدانيمارك. وحمل المهاجرون الألمان إلى أمريكا معهم الحركة التقوية إلى العالم الجديد.

(ب) الكونت نيكولاس لودويج فون زنزدورف (١٧٠٠-١٧٦٠)

Count Nicolaus Ludwig Von Zinzendorf

والمورافيون Moravians

زنزدورف تقوى منذ شبابه

كان للحركة التقوية أن تستمر وتنمو فى ألمانيا بمجهودات الكونت زنزدورف. وأسرة زنزدورف كانت قد تأثرت بالتقوى. حتى أنه وهو صبى، أظهر وعياً دينياً قوياً. درس على يد فرانك فى «هال» لكن فيما بعد حصل على درجة علمية فى

القانون من جامعة «وتنبرج». ومع أن زنزندورف دخل الخدمة العامة فى درسدن، فقد احتفظ باهتمامه القوى بـ «ديانة القلب» النابعة من التقوية.

اللاجئون المورافيون وتأسيس «هيرنهوت» Hermhut

مهّد للمرحلة الثانية فى حياة زنزندورف وصول اللاجئين المورافيين (انظر المجلد الرابع) إلى ألمانيا. إذ بعد حرب الثلاثين سنة بدأت التغييرات السياسية فى بوهيميا عصر اضطهاد للمورافيين، فلما بدأوا فى الوصول إلى سكسونيا المنطقة التى كان يقطنها زنزندورف، سمح لهم أن يعتصموا فى أملاكه. وهناك أسسوا قرية اسمها «هيرنهوت» التى جذبت بالطبع مزيدا من المورافيين وغيرهم ممن يدينون بمعتقدات مماثلة.

زنزندورف ينضم إلى المورافيين

لم يبد زنزندورف التفاتاً خاصاً لشعب «هيرنهوت» فى البداية لكنه فى البداية اندمج أكثر فأكثر فى حياتهم الدينية. وفى يوم ١٣ أغسطس سنة ١٧٢٧ اشتركت الجماعة بأكملها فى خدمة العشاء الربانى، التى كانت لها قوة روحية عظيمة حتى أنها دُعيت (يوم الميلاد الثانى للكنيسة المورافية). وكما يقول «وكر»:

«بالنسبة لزنزندورف فقد بدت له بسرعة جماعة «هيرنهوت» مثل كتيبة من جنود المسيح تدفع للأمام رسالته داخل البلاد وخارجها - رهينة بروتستانتية جديدة بدون نذور ترهب وبدون عزوبة. لكنهم مرتبطون بربهم بالصلاة والعبادة اليومية».*

المورافيون كنيسة مرسلية

نظمت جماعة «هيرنهوت» طبقاً لقواعد صارمة جداً. كان الأطفال يتربون بعيداً عن والديهم. كان كل فريق من ذوى الأعمار المتقاربة يتدرب على الخدمة تحت أنظمة معينة. كانت هذه الجماعة على وعى خاص بالدعوة إلى عمل مرسل فى الخارج فأوفدوا مرسلين إلى جرينلاند، وجزر الهند الغربية. وذهب زنزندورف

(*) Walker, op. cit. p. 451

بنفسه إلى أمريكا حيث ساعد في تنظيم المجتمع المورافي في «بيت لحم» بولاية بنسلفانيا. وبدأ أيضاً برنامجاً مرسلين بين الهنود الأمريكيين الوطنيين. بعد ذلك بدأت إرساليات إلى «سورينام وغيانا ومصر»^(*) GUIANA, SURINAM وجنوب أفريقيا. ووضح أن حقول العمل التي اختارها المورافيون كانت في العادة أصعبها وتحتاج إلى صبر خاص وتكريس حقيقي.

زنزندورف يُطرد من سكسونيا

كما كان الحال مع اسبينر وفرانك، كذلك كانت علاقات زنزندورف مع الكنيسة اللوثرية الرسمية غير ودية. كانت هناك الشكاوى بأن جماعة «هيرنهوت» تخطف أعضاء من كنائس أخرى. ونتيجة لذلك طردت سلطات سكسونيا زنزندورف في سنة ١٧٣٧ لكنه اكتفى بالذهاب إلى منطقة أخرى وداوم على نشاطه.

الكنيسة المورافية يعترف بها في ألمانيا

على طريقة «اسبينر» أراد زنزندورف أن يحافظ على مبدأ «كنائس صغيرة داخل الكنيسة» أفضل من تأسيس طائفة منفصلة. لكن المورافيين كانوا متحمسين لأن تكون لهم طائفتهم الخاصة بهم، بحيث تضم أساقفة وشيوخاً وشمامسة، وعندما حان الوقت للسماح لزنزندورف بالعودة إلى سكسونيا سنة ١٧٤٧، اعترفت الحكومة رسمياً بكنيسة المورافيين. وعلى كل حال، فقد قبل زنزندورف هذا الاتجاه على مضض واستمر يساند المورافيين بكل قوته.

زنزندورف يتبرع بثروته للكنيسة

ثم ذهب إلى إنجلترا عام ١٧٤٩ ومكث هناك حتى سنة ١٧٥٥ لكنه لم يتوقف عن بذل جهود مضيئة لصالح المورافيين. إنه تنازل عن كل ثروته لصالح برامج الكنيسة وأضطر أن يستدين. واعترافاً بجميله تحمل المورافيون مسئولية ديونه. بعد ذلك عاد زنزندورف إلى «هيرنهوت» ليقضى أيامه الأخيرة حيث مات سنة ١٧٦٠، تاركاً طائفة لا تزال حتى اليوم أمينة في خدماتها ومساهمة المورافيين

(*) تحت الفصل عن الإرساليات سوف نقرأ عن المورافي "جون انتيس John Antes" الذي كان أول مرسل بروتستانتي «إلى مصر».

الكبرى فى الميراث البروتستانتى هى طريقتهم فى العبادة Their Liturgy والموسيقى».

زنزندورف يلهم الحركة الإنجيلية

مع أن المجهود الأكبر لزنزندورف كان مع المورافيين، إلا أنه نتيجة لنشاطه ونبوغه وإخلاصه كان تأكيده على (التقوية) يمس كنائس أخرى كثيرة. فإن جون وسلى والإنجيليين الآخرين فى القرن الثامن عشر الذين سوف نتأملهم فيما بعد، تلقوا الكثير من إلهامهم من الكونت زنزندورف. قليلون من القادة المسيحيين من يمكنهم القول بأمانة عن تكريسهم للمسيح مثلما قال زنزندورف، لى غرام وحيد إنه <هو>. (أى المسيح).

Recommended English Readings

1. Bainton, Roland-The Horizon History of Christianity, pp. 353-356.
2. Eerdmans Handbook to the History of Christianity, pp. 442-444, 447.
3. Latourette, K.C.- A History of Christianity. pp. 894-897.
4. Walker, Williston- A History of the Christian Church, pp. 444-454

٢- الحركة الإنجيلية في إنجلترا و «جون وسلي» John Wesley

(١٧٩١-١٧.٣)

(أ) المناخ الدينى

مستوى روحى منخفض فى الكنيسة الانجليزية

كان المستوى الروحى فى كنيسة إنجلترا عند بدء القرن الثامن عشر وبكل المقاييس منخفضاً جداً. وكان القرن السابع عشر صاعياً والكنيسة محطمة بفعل الخلاف والانقسام. كان هناك نوع من الإنهاك الروحى، ولم يعد القادة الدينيون يهتمون بالرد على العقلانيين. وبالنسبة للذين تخلوا عن ديانتهم كانت الكنيسة عندهم مادة للاستهزاء. كما قال أحدهم وهو «لورد هارفى Lord Harvey

أسطورة المسيحية هذه... قد انفضحت فى إنجلترا لدرجة أن أى إنسان ذى منزلة أو حيثية يحترم نفسه، يمكن أن يخجل من اعترافه بمسيحيته بنفس مقدار خجله سابقاً" عندما كان يعترف بأنه لا دين له. حتى النساء اللواتى تفاخرن بذكائهن أبدين اهتماماً بأن يجعلن الناس يعرفون إنهن يحتقرن الارتباط بالمسيحية. (*)

تأثير العقلانية

أكثر من ذلك. ففى داخل الكنيسة كما يقول «وكر»:

«أخترقت العقلانية كل طبقات المفكرين الدينيين حتى بين المحافظين منهم، وبدأت المسيحية شيئاً لا يزيد عن كونه نظام للأخلاق مؤيد بوصايا إلهية. (**)

وهناك أيضاً" رأى «بول جونسون»: لقد أضحى عنصر المسئولية الشخصية وكل ما كان يحتاجه المرء ليخلص هو الالتزام بالقواعد. كان هذا يعنى التضحية بكل فكرة الإصلاح، والعودة - فى الواقع - الى المسيحية الإلهية، مسيحية القانون

(*) Durant, op. cit. Vol. IX, p. 117

(**) Walker, op. cit. p. 454

الكنسى. وكان لابد وأن تتولد عن المسيحية الآلية كنيسة فاسدة يقودها اكليروس بعقلية دنيوية. هذا ما حدث بالضبط فى القرن الثامن عشر. وفى تمسهم لتفادى التعصب من أى نوع، اتجه المسيحيون العقلانيون إلى تجريد شخصية الدين، والتأكيد على أشكاله ومنظّماته على حساب روحه. «(*)»

«وليم لو» واسحق واتس William Law and Isaac Watts

لكن كان هناك أيضاً الذين حاولوا المحافظة على حيوية روح الإصلاح ولم يخلوا من الدفاع عن الإيمان ضد الفلاسفة منكروى الوحي. ومن أحب الكتب فى ذلك الوقت كتاب «وليم لو» بعنوان "A Serious Call to a Devout and Holy Life" (دعوة جادة لحياة مكرسة ومقدسة) (١٧٢٨). وأحد أعظم مؤلفى الترانيم للكنيسة «اسحق واتس» (١٦٧٤-١٧٤٨) وضع موسيقى مازالت الكنيسة تتغنى بها حتى اليوم، نذكر منها:

«يا الله يا من كنت عوناً لنا فى الأجيال الماضية O God, Our Help in Ages Past

«لما أفرس فى الصليب العجيب When I Survey the Wondrous Cross

جمعيات دينية غير رسمية

أدى الاهتمام بالحياة الروحية بين الطلبة الشبان إلى تنظيم جمعيات أو نواد للصلاة ودراسة الكتاب المقدس. وقد أسس واحدة من تلك الجمعيات شارل وسلى فى جامعة اكسفورد. وفى وقت ما تواجدت مائة من هذه الجمعيات تقريباً فى لندن. لكن الاكليروس فى الكنيسة الرسمية مالوا إلى اعتبارها «حماسية» أكثر من اللازم، تخاطب بالأكثر عواطف الشباب- وهذه الجمعيات كانت دائماً صغيرة ومحدودة فى تأثيرها. لم تبلغ أبداً مكانة «الكنايس الصغيرة داخل الكنيسة» التى نظمها «اسبينر» و «زنزندورف» فى ألمانيا.

(*) Johnson, op. cit.p.343

الآخوان «أرسكين» فى اسكوتلاندا The Erskines

«هاريس» فى ويلز and Harris

الطريقة الخاصة للانتعاش الدينى التى استخدمها بفاعلية جون وسلى، ظهرت عملياً، أولاً" فى اسكوتلاندا تحت قيادة الأخوين ابنزير Ebenezer (١٦٨-١٧٥٤) و «رالف أرسكين» Ralph Erskine (١٦٨٥-١٧٥٢). ولأن قوة كرازتهما جذبت جماهير غفيرة فقد عقدا معظم الاجتماعات فى العراء. وقد وقع عليهما أيضاً" اللوم من المحفل العام لكنيسة اسكوتلاندا، لأنهما يبالغان فى مخاطبة العواطف. كان «هاول هاريس» Howel Harris† قائد نهضة انتعاشية مماثلة انطلقت فى ويلز.

لكن أجمع المؤرخون جميعاً على أن الفضل فى الصحوة العظيمة لأمجلترا فى القرن الثامن عشر يعود إلى «جون وسلى» الذى يسميه «استانلى ايلنج Stanley Ayling القائد البروتستانتى الوحيد ذو التأثير العظيم فى العالم المتحدث بالإنجليزية منذ الإصلاح» (*).

(ب) جون وسلى والميثودية Methodism

حياة وسلى المبكرة

كان جون الطفل الخامس عشر (١٧.٣) وشارل الثامن عشر (١٧.٧) فى مواليد صموئيل وسوزانا وسلى. وكان صموئيل راعياً لكنيسة صغيرة فى أبروشية إيبورث Epworth وحدث فى سنة ١٧.٩ أن شب حريق فى بيت الأبروشية لكن الأخوين أنقذا، فيما يبدو، بمعجزة. بعدها كان جون يتحدث عن نفسه كثيراً «كشعلة منتشلة من الحريق» (عاموس ١١: ٤)، (زكريا ٢: ٣). وكان كلا الولدين متميزين فى المدرسة. وأخيراً دخلا «كلية كنيسة المسيح Christ Church College بجامعة أكسفورد. وفى وقت لاحق رسم جون شماساً وتعين زميلاً لكلية لنكولن. ولفترة ما خدم مساعداً فى أبروشية أبيد، وفى سنة ١٧٢٨ رسم وسلى بحسب

(*) Ayling, Stanley, John Wesley, Nashville Tenn., 1979, p. 318

الكهنوت الأنجليكاني.

النادى المقدس

بعد عودته إلى أكسفورد أصبح جون قائداً للنادى الذى كان قد بدأه شارل وبعض أصدقائه. وعن طريق الصلاة والصوم ودرس الكتاب حاولوا أن يحققوا حياة التكريس والقداسة التى كتب عنها «وليم لو». وإذا انجذب إليه أعضاء جدد نشط النادى فى افتقاد السجناء فى سجن أكسفورد. لكن هيئة التدريس والطلبة فى الجامعة سخروا منهم ولقبوهم «النادى المقدس»، وفى وقت لاحق، وبسبب اتباعهم أساليب خاصة أو روتين معين، فكر أحدهم باستهزاء فى تسميتهم «بالميثودست» Methodist. ولما توسعت الحركة على مدى القرن، تقبل وسلى وأصدقاؤه هذا الاسم الذى أصبح أخيراً الاسم الرسمى لكنيسة الميثودست. (*)

جورج هواتيفيلد George Whitefield

عن طريق «النادى المقدس» تعرف الأخوان (وسلى) (جون وشارل) بجورج هواتيفيلد (١٧١٤-١٧٧٠)، الذى اختبر تجديد حياته الروحية كعضو فى النادى، ورسم خادماً إنجليكانياً فى سنة ١٧٣٦، وعلى الفور بدأ عمله ربما كأعظم واعظ فى عصره. كانت مواعظه بسيطة من الإنجيل لكنها قدمت ببلاغة وقوة حتى أن الجماهير احتشدت لتسمعه وقد قضى جانباً كبيراً من خدمته فى أمريكا حيث كان مسئولاً أكثر من غيره عن «الصحوة الكبرى» التى اكتسحت المستعمرات فى سنة ١٧٤٠. سوف نناقش فيما بعد الفروق اللاهوتية بين هواتيفيلد وآل وسلى.

الأخوان وسلى ومرسلان لأمريكا

بعد تركهما أكسفورد رحل جون وشارل وسلى سنة ١٧٣٥ كمرسلين إلى مستعمرة جورجيا فى أمريكا وكان على السفينة معهما جماعة من المهاجرين المورافيين الذين أحدثوا تأثيراً فى وسلى بسبب ثقافتهم فى الله أثناء عاصفة هوجاء.

(*) مما يذكر أن الكنيسة المسيحية تلت اسمها أولاً من آخرين فى كنيسة انطاكية (أع. ١٠: ٢٦) كما تلت الكنيسة البروتستانتية اسمها فى «دايت أوف اسباير» سنة ١٥٢٩ بالمانيا (انظر المجلد الرابع)

وإذ قارن نفسه بالمورافيين أحس إحساساً قوياً جداً بافتقاره الروحي وفي وقت لاحق واجه قائد الجماعة وسلى بهذا السؤال. «هل تعرف يسوع المسيح؟» أعرف أنه مخلص العالم. فقال الرجل «هذا حق، لكن هل تعرف أنه خلصك أنت؟».. فقد لازم هذا السؤال عقل وسلى بطريقة مزعجة لبضعة شهور.

تشبيط عزيمة جون وشارل، حكاية حب مع جون

مع أن الأخوين عملاً طويلاً بأمانة بين المستوطنين في جورجيا وأيضاً بين الهنود الأمريكيين إلا أنهما لم يشعرأ إلا بالقليل من الرضا عن خدمتهما. فعاد شارل إلى إنجلترا خلال السنة واستمر جون لكنه كان في حالة إحباط. لم يتجاوب الشعب مع جهوده. ولم يشعر بسلام داخل قلبه عن حالته الروحية. في هذا الوقت أيضاً دخل في علاقة حب انتهت نهاية تعيسة جداً، لأنه لم يستطع أن يستقر على رأى. ولما استأمت الشابة من تردد وسلى تزوجت من شخص آخر. وسارت الأمور إلي أسوأ حين قامت مشاجرة بين وسلى وزوج المرأة وأصدقائهما. ثم حان الوقت ليغادر جورجيا وهذا ما فعله في سنة ١٧٣٨.

وسلى في فتور روحي

عندئذ دخل جون وسلى في طور من أطوار الاضطراب الروحي العظيم. وكما حدث مع لوثر وآخرين من قبله، فإنه ببساطة لم يستطع التأكد من خلاصه. وعوض أن يمتلىء قلبه إيماناً كان هناك فراغاً. «كان قلبه فاسداً وبغيضاً. كان مازال ابن الغضب، وريث جهنم وقد ألقى على نفسه... التهمة... تهمة أنه هو الذى ذهب إلى أمريكا ليجدد آخرين، هو نفسه لم يتحول بعد إلى معرفة الله»(*)

وقد لقي جون وشارل المعونة من صديق مورافى اسمه «بيتر بوهلر» Peter Bohler «الذى شجعهما على الإيمان بأن السبيل الوحيد للخلاص هو عن طريق إيمان تسليم النفس بالكامل.

(*) Ayling, op. cit. p. 86

قلبي يشعر بدفء غريب

بعد أن شفى شارل من مرض خطير، وفى يوم ٢١ مايو سنة ١٧٣٨، وبعد تأوهات وأنات لا ينطق بها ودموع سالت بغزارة صار يقول، «أنا مشيت تحت حراسة المسيح، وسلمت روحى وجسدى له» (*)

بعد ذلك بأربعة أيام جاء اختبار التحول لجون. كان حاضراً فى اجتماع لإحدى الجمعيات فى شارع الدرزجيت Aldersgate بلندن وسمع مقدمة لوثر لتفسيره رسالة رومية أثناء قراءتها كما يلى. «حوالى الساعة التاسعة إلا ربع بينما كان (لوثر) يصف التغيير الذى يحركه الله فى القلب عن طريق الإيمان بالمسيح، شعرت بدفء غريب فى قلبي. شعرت أنى وثقت بالمسيح - والمسيح وحده - للخلاص، وجاء فى تأكيد بأنه رفع عنى خطاياى، وأنقذنى من ناموس الخطية والموت». (**) مع أن وسلى كان سيواجه الكثير من الصراعات الروحية فيما بعد (وأين هو المسيحى الذى لم يواجهها؟) فإن هذه الكلمات كانت نقطة تحول فى حياته، وأصبحت محك الاختبار لكل تفكيره اللاهوتى.

وسلى يعظ عن الولادة الجديدة

فى عظة لاحقة يتوسع وسلى فى مفهومه للميلاد الثانى. مقارناً الميلاد الروحى بالميلاد الجسدى قائلاً: قبل الميلاد بالجسد لا يكون الإنسان ميتاً، لكنه كطفل غير مولود (جنين) له عينان ولا يرى، وله أذنان ولا يسمع، بالمثل قبل الميلاد الجديد (الميلاد الروحى) لا توجد معرفة بالأشياء الخاصة بالله ولكن - هكذا كتب وسلى - (إن عيون إدراكه تنفتح... يشعر بمحبة الله تنسكب فى قلبه... والآن يمكن أن يقال عنه بالصواب إنه حى. هذه طبيعة الميلاد الجديد. إنه تغيير عظيم... منسوج فى النفس كلها بروح الله القادر على كل شىء عندما تخلق النفس من جديد فى يسوع المسيح... عندما تتغير محبة العالم إلى محبة الله، والكبرياء إلى تواضع، والغضب إلى وداعة، الكراهية والحسد والخبث إلى حنان صادق، ومحبة بلا غرض،

(*) Ibid, p. 92

(**) Walker, op. cit. p. 459

لكل الجنس البشرى.

باختصار، إنه ذلك التغيير الذى يتحول به الفكر «الأرضى، الشهوانى، الشيطانى» إلى الفكر الذى فى المسيح. هذه هى طبيعة الميلاد الجديد، وهكذا يكون «كل من هو مولود بالروح»(*)

وسلى يقابل زنزدورف

لأن وسلى شعر أنه مدين بالكثير إلى المورافيين سافر إلى ألمانيا خلال الشهر ليقابل زنزدورف ويزور «هيرنهوت»، متوقفاً أن يعجب بنوع الحياة المورافية الدينية، وقد كان. مع ذلك فقد رحل مع تحفظات. بدا لوسلى أن الكونت زنزدورف اتجه كثيراً إلى أن يكون شخصية مسيطرة. كما وجد بعض الممارسات المورافية التى ذكرته بالتصوف. (الصلوات الصامتة مثلاً). إن وسلى الدائم النشاط، كان طيلة حياته عديم الثقة بالمذهب الصوفى وحياة التأمل، لذلك انسحب من المورافيين شيئاً فشيئاً. ولما تأسست أول جمعية ميثودية فى «بريستول» بالإنجلترا سنة ١٧٤٠، كانت هيئة مستقلة.

بدء خدمة وسلى التبشيرية

عند عودتهما إلى إنجلترا حدث أن جون وشارل (الذين كانا غالباً برفقة جورج هوايتفيلد)، دخلا ضمن الحملة الكرازية التى صارت فيما بعد بصمة خدمتهما وحيثما كانا يكرزان فى الكنائس كانا يقابلان بالترحيب. لكن أكثر الخدمات كانت فى الجمعيات المتعددة. وكان هوايتفيلد قد بدأ فعلاً "التبشير فى العراء حيثما تجمع الجمهور، وفى البداية كان وسلى يعارض اتباع هذا الأسلوب. لكن لما زاد عدد المنابر الانجليكانية المغلقة فى وجهه، بدأ هو أيضاً "جمع الفلاحين فى الحقول وعمال المناجم أمام المداخل.. وطبقاً" ليوميات وسلى كانت تتجمع جماهير غفيرة جداً، بلغ عددها فى بعض المناسبات عشرين ألف مستمع (وإن كان من الصعب أن نتصور كيف يصل صوت إنسان بلا مكبرات إلى مسامع هذا العدد الوفير فى مكان مكشوف).

(*) Bainton, op.cit.p.358

التهديد بجحيم والوعد بالسما

كان أساس محتوى المواعظ هو الرجاء بالخلص الأبدى للمتجددين، والتهديد بالعذاب الأبدى لغير التائبين. « من يؤمن يخلص، من لا يؤمن يدن. » لقد وضع جون وشارل وسلى وهوايتفيلد جميعهم أمام سامعيهم المنظر المرعب للدينونة والجحيم ويسجل وسلى فى يومياته « كرزت فى الساعة الخامسة عن أهوال دينونة الرب بأقوى أسلوب ممكن. بوقائد اشعياء الأبدية » (إش ١٤: ٢٣)، « وبحيرة النار والكبريت فى الرؤيا (رؤيا ١: ٢٠)، والدود الذى لا يموت والنار التى لا تطفأ فى «مرقس» (مرقس ٩: ٤٤)، وشواهد كتابية مشابهة أكثر من الكفاية تبين الدينونة على أنها «كتابية» مثل «الخلص» (*). وكان وقع مثل هذه الكلمات ذا تأثير مرعب على السامعين- أنات وتأوهات، نشيج ودموع. بعضهم انهار فى فزع مطلق. عندئذ يقدم الواعظ الوعد بالخلو بالخلص بالإيمان بيسوع المسيح وحده، فتتحول الدموع إلى هتافات الفرح.

العالم أبروشيتى

مثل هذه العاطفية المتطرفة قابلتها الكنيسة الانجليزىة بجفاء. بل أكثر من ذلك، اتهم الأخوان وسلى باقتحام الأبروشيات وإبعاد الناس عن العبادة المعتادة ورد جون وسلى على أحد ناقيديه قائلاً:

« أنت تسأل... كيف يجوز أن أجمع المسيحيين الذين ليسوا فى رعايتى، ليرغوا المزامير، ويصلوا، ويسمعوا تفسيراً لكلمات الكتاب المقدس؟ وتظن أنه من الصعب تبرير عمل كهذا فى أبروشيات أناس آخرين... «اسمح لى أن أتكلم بصراحة... الله فى كتابه المقدس يأمرنى حسب طاقتى، أن أعلم الجهلاء، وأصلح حال الأشرار، وأؤيد الفضلاء والإنسان يمنعنى من القيام بهذا العمل فى أبروشية زميل آخر، وهو فى الواقع يمنعنى، كلية عن تأديته مادام يرى أنه ليس لى أبروشية خاصة بى وربما لن يكون لى من اذن أسمع الله أم الإنسان؟ اعذرنى إذا احطتكم علماً بالمبادئ

(*) Ayling, op. cit. p. 112

التي أدين بها في هذا الموضوع.. إنني أنظر إلى العالم كله على أنه ابروشيتي...». وفي رسالة له في وقت لاحق قال: «إنما رأيت واحداً أو ألفاً من الناس مندفعين إلى جهنم، سواء في إنجلترا أو أيرلندا أو فرنسا، نعم أو في أوروبا أو في آسيا أو في إفريقيا أو في أمريكا، فلسوف أوقفهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً... هل كنت أترك أى نفس تسقط في الهاوية، وكان يمكنني إنقاذها من النيران الأبدية؟ لست مقتنعاً بأن الله يقبل عذري إذا قلت: «يارب هذا الشخص لم يكن في ابروشيتي!» (*)

الدهماء يهددون الميثوديين

واجه الأخوان وسلى مصاعب أخرى في خدمتهما، فقد نُظر إليهما كمتطرفين سياسيين ومتحمسين يثيران القلاقل كما أثارت كرازتهما ضد المسكر والقمار ومفاسد أخرى استياءً شديداً حتى أن أحد الناس صرخ في وسلى أثناء خدمة الوعظ:

"إنك تدفع الناس إلى الجنون. نحن لا نستطيع أن نسكر أو نحلف، لكن ليس معنى ذلك أنه يتعين على كل أحق أن يصحح أخطاءنا كأنما كان يجب علينا أن نتعلم منهم." (***) هذا وقد أتهما بممارسة السحر وخرافات أخرى، ويوجد دليل واضح أن الاكليروس وأصحاب الثروات كانوا يغذون التحيز ويحرضون على العنف، وقد كشف بيان لإحدى الكنائس عن أموال دفعت «لطرده الميثوديين» حتى أن بعض المبشرين العلمانيين ضُربوا بل إن بعضهم قُتلوا بأيدي الدهماء. بل إن نفس الأخوين وسلى عوملا بخشونة في إحدى المناسبات لكنهما لم يصابا إصابات خطيرة. لكن هذا التضافر بين عداوة الكنيسة والطبقات العليا وايداء الطبقات الدنيا لم يسفر إلا عن اتحاد الميثوديين وتقوية تصميمهم على متابعة الجهاد في الحملات الكرازية بعزيمة أقوى وأشد. كان وسلى واثقاً بهدوء من أن الله الذي بدأ

(*) Ibid. pp. 113,114

(**) Johnson, op. cit.p. 367

هذا العمل الطيب لن يسمح له أن يفشل.

وسلى سياسى محافظ

وبما يشير السخرية أن وسلى من الناحية السياسية كان محافظاً جداً. فلم تكن لديه رغبة فى إثارة الاضطرابات. كان محافظاً تماماً" على القانون والنظام، ناصحاً سامعيه باستمرار أن يجتنبوا السخط السياسى أو الاقتصادى. وصادق على النظام المعمول به فى المجتمع، وحث المتجددين على يده أن يحترموا المؤسسات الرسمية.

قدرة وسلى التنظيمية

كان لدى وسلى موهبة تنظيمية فريدة. هذه الموهبة أفرزته من بين مبشرين آخرين اكتفوا بخدمة الوعظ وتركوا النتائج لله. وحيثما وجد استجابة لكرازته، كان ينظم جمعيات للمؤمنين الجدد. كان يعين قادة أو مشرفين لهذه الفرق ويستمر على اتصال بهم بزيارات منتظمة. وسرعان ما برزت الحاجة إلى موظفين آخرين: وكلاء يهتمون بالمتلكات، زائرين يفتقدون المرضى، مبشرين علمانيين يديرون الاجتماعات أثناء غياب وسلى، الخ. وبحلول سنة ١٧٤٤ ارتفع عدد الجمعيات، بحيث لم يتمكن وسلى من زيارتها كلها، فبدأ يعقد مؤتمرات سنوية ليتقابل مع معاونيه ويقرر السياسة. لكن يبدو أن هذه المؤتمرات لم تكن بالضرورة ديمقراطية، فقد أمسك وسلى بحزم زمام إدارة كل أنشطة الميثوديين، سواء فى الجمعيات الصغيرة أو فى المؤتمرات السنوية، وكلمته كانت هى الكلمة النهائية فى كل القرارات.

وسلى يحافظ على الميثودية فى إطار الكنيسة الانجليكانية

حاول وسلى على مدى حياته أن يحتفظ بالحركة الميثودية داخل كنيسة إنجلترا الرسمية. ولهذا السبب كان يعظ حيثما أمكنه من المنابر الانجليكانية. لم تكن كنائس «الميثوديست» قد تأسست، بل «الجمعيات» فقط. وعبثاً حاول أن يضمن للمبشرين العلمانيين التابعين له رسامتهم رسامة أسقفية- وبما أنهم مبشرون غير مرتسمين فقد رفض وسلى أن يسمح لهم بتقديم الأسرار المقدسة، وشيئاً فشيئاً

أصبح الميثوديون مستقلين عن المجموعة الكبرى لكنهم لم ينفصلوا نهائياً إلا بعد موت وسلى.

عقيدة «الكمال» Doctrine of Perfectionism

لاهوتياً، اعتبر وسلى نفسه دائماً من الانجليكان، ومع ذلك، فإنه فى قضيتين اتخذ مواقف سببت النزاع، فقد بشر بعقيدة «الكمال» التى مفادها أن الشخص الذى نال الخلاص مرة يحيا حياة أخلاقية كاملة، وقد ميز وسلى دوافع المسيحى التى يمكن أن تكون كاملة، وبين أعماله التى قد تكون أقل كمالاً. لقد فتح التجديد طريق التقديس أمام المسيحى كى يخضع حياته اليومية طبقاً لدوافعه. وبذلك يمكن التوصل إلى الكمال وقد ثبت أن كثيراً من الانجليكان رفضوا هذا التعليم رغم أنهم كانوا متعاطفين مع الميثوديين.

وسلى وعقيدة سبق التعيين

القضية الثانية التى أدت إلى شرح فى الحركة الميثودية. فقد كان جورج هوايتفيلد كالفينياً، أما وسلى فكان أرمينياً. وعقيدة الكنيسة الإنجليكانية المبنية على ٣٩ بنداً (انظر المجلد الرابع) كانت أيضاً كالفينية. ومع ذلك لم يستطع وسلى أن يتقبل عقيدة «سبق التعيين» وخصوصاً الاختيار: إن الله منذ الأزل رسم فى علمه من الذى سيخلص ومن الذى سيهلك. هذه العقيدة فى رأى وسلى شلت كل المساعى الأخلاقية: «إنها جعلت كل الكرازة عبثاً وأزاحت كل حوافز القداسة.

«ودمرت العزاء الرئيسى للدين أى سعادة المسيحية... لقد جذفت على الله بجعله منافقاً إدعى محبة لم يملكها، مخادعاً أكبر للناس. جعلته يدعو المتعيين والثقيلى الأحمال أن يأتوا إليه مع علمه بأنهم لا يستطيعون أن يأتوا.» (*)

وسلى وهوايتفيلد يختلفان مع الكونتيسة «هانتينجدون»

Countess of Huntingdon

خدمة وسلى عن النعمة المجانية هاجمت بطريق مباشر «التعيين السابق»

(*) Ayling, op. cit. p.125

وافتح تحت تبادلًا ساخنًا للمراسلات بين هوايتفيلد ووسلى. ولم يجدوا أرضية مشتركة فانفصل هوايتفيلد آسفًا بالرغم من تقديره العظيم ومحبته لوسلى، وأسس حركة موازية للميثوديين الكالفينيين بمساعدة الكونتيسة Countess of Huntingdon هانتينجدون (١٧٠٧-١٧٩١) التى أسست فى سنة ١٧٦١ «رابطة الليدى هانتينجدون». وهى مجموعة من الجمعيات والكنائس، ميثوديين فى كل مسلك ما عدا التزامهم بعقيدة «سبق التعيين». أما «الميثوديون الرسليون»، (وهو الاسم الذى سرعان ما دعى عليهم) فظلوا أمناء للعقيدة الأرمينية (أن المسيح مات من أجل جميع الناس، وأن نعمة الله المخلصة يمكن رفضها، وأن الإنسان الفرد له الحرية الكاملة، وعلى مسئوليته اختيار طريق الخلاص أو الدينونة، وأنه فى الإمكان أن يسقط المسيحيون من النعمة).

وسلى ونشاطه العظيم

إذا كانت كنيسة الميثوديست قد نمت وانتشرت فى كل إنجلترا وفى أيرلندا واسكوتلندا وويلز، فالسبب كان بالتأكيد جون وسلى نفسه. كان شخصاً فريداً فى تكريسهِ ونشاطهِ. كان يعتلى ظهر الجواد ويعبر الأرض طولاً وعرضاً قاطعاً مسافة ٥٠٠ ميل كل سنة و ٢٥٠ ر. ميل على مدى حياته. ويقال إنه كان على علم بجغرافية إنجلترا أكثر من أى شخص على قيد الحياة. كان يعظ من ١٥ إلى ١٨ مرة فى الأسبوع الواحد، وبلغ مجموع عظاته فى حياته الطويلة ٤٠٠٠ عظة. هذا بالإضافة إلى مراسلاته ويوميّاته ونبذاته وترنيّماته... الخ. وقد ألف كتباً فى مواضيع غير لاهوتية: مثل اللغات، والتاريخ والطب، وأعد مكتبة مسيحية فى سنة ١٧٤٩ من مختارات من التاريخ المسيحى وسير القديسين وعلم اللاهوت، «وكل ما هو ذو قيمة عظمى فى اللغة الانجليزية... لإمداد الذين يحبون الله بمكتبة كاملة». ولا هو أهمل الاهتمام اليومى لمهام الحركة الميثودية وكل ما تتضمنه من صنع القرار والإدارة.

وسلى على ظهر الجواد

استمر وسلى يقوم بمعظم رحلاته على ظهر الحصان حتى بعد أن تجاوز السبعين من عمره، قائلاً إن ذلك كان أعظم أنشطته الصحية. كان فى العادة يترك حصانه

يجد طريقه بنفسه بينما يطالع هو أحد الكتب، وقال إن الحصان نادراً ما تعثر أو تاه في الطريق. وكانت إحدى ملاحظاته المفضلة (الله فوق الجميع).

وسلى ناقداً للثراء والترف

تمسك وسلى بآراء قوية في كل مجالات الحياة تقريباً. ربما لم يكن بيوريتانياً مثل البيوريتان. ولا زاهداً مثل الكويكرز، إلا أنه كان يشك في أى نشاط لا ينمى الأخلاق المسيحية. كل الفنون-الموسيقى، والرسم، وفن العمارة... الخ، يجب أن تخدم الهدف الأسفى لحياة مكرسة ومقدسة. لم يكن وسلى راضياً عن الثراء وحياة التمدن والثقافة الرقيقة، والزخارف غير الضرورية فوق المباني، والثياب الفاخرة. قال لسيدات الميثوديات، «لا تلبسن الذهب، ولا مجوهرات ولا قطيفة ولا حراير، أو أنسجة كتانية رقيقة، ولا زركشات زائدة، ولا زينات... ولا شيء مما يمكن أن يلفت أنظار المشاهدين، كما نصح الرجال أن لا يرتدوا صدرات ملونة، ولا جوارب لامعة، ولا مشابك براقّة أو مرتفعة الثمن، لا باروكة باهظة التكاليف».* وعارض المسارح بشدة، لقد تمتع بالرقص في شبابه لكنه أدرك الآن أنه كان خطراً أخلاقياً كبيراً. كما أن ورق اللعب أيضاً كان محظوراً على الميثوديين، كذلك اعتبر المشروبات المقطرة من كل الأنواع ناراً سائلة، وأولئك الذين قاموا بتصنيعها كانوا Poisoners «سفاحين وقتلة». لكن النبيذ المخمر الذى يشرب باعتدال كان مقبولاً.

وسلى يعطف على الفقراء

أظهر وسلى تحيزاً واضحاً في صالح الفقراء. كما كان يقول «اختار الله فقراء هذا العالم». كانوا الأكثر تقبلاً لمواعظه، ومن الناحية الأخرى فإن جماعة «المترفين» كان من السهل عليهم الوقوع في الأمور التى تغضب الله. وكم هى مزية تجل عن الوصف تلك التى تتميز بها الجماعات المتوسطة على الطبقات الغنية. فما أكثر الطلاء والتظاهر، وما أكثر الكلمات التى لا معنى لها، والعادات السخيفة بين الطبقات العليا.»** الثروة هى حجر العثرة العظيم. والمال معطل

(*) Ibid, p. 256

(**) Ibid, p. 258

للقداسة. هو الطريق العام الموصل للإلحاد. كان المال تجربة للسعى وراء الأوثان فى الشعر، والموسيقى والتاريخ والفلسفة والفنون والعلوم الغربية، المال يهيج شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة» . (*)

وسلى يتبرع للفقراء

وهكذا وجه وسلى أعظم جهوده نحو الفقراء ومنهم تلقى أحر ترحاب. لم يقتصر اهتمامه على حالتهم الروحية بل أيضاً على حالة أجسادهم. اعتبر نفسه وكيلاً عن الله لصالح الفقراء. عاش هو نفسه حياة البساطة حتى أنه عندما بدأت ترد إليه الأموال من التبرعات أو من بيع الكتب كان يوزعها على المحتاجين. وأثناء شتاء سنة ١٧٦٣ الشديد البرودة فتح مطبخاً لتوزيع الحساء على المعدمين. وفى مناسبة أخرى لما كان معظم عمال النسيج بدون عمل رتب لهم معونة مالية. يقال إنه أثناء سنواته الأخيرة كان يتبرع بما قيمته ألف جنيه استرليني سنوياً من ماله الخاص كما كتب مرة لأخته «باتى هول Patty Hall»: لا يستمر المال فى حوزتى، إنه يحرقنى إذا بقى. إنى أنفضه من يدى بأسرع ما يمكن لئلا يجد طريقه إلى قلبى. (**)

وسلى والأخلاق العامة

كانت الأخلاق العامة من بين اهتمامات وسلى الاجتماعية الأخرى، كان قلقاً "جداً" من انتشار لعب القمار والمطبوعات الإباحية والبغاء فدعم «جمعية لإصلاح السلوك» (أى مبادئ الأخلاق). إحتج على قسوة معاملة الحكومة الانجليزية لأسرى الحرب الفرنسيين، كما هاجم بشجاعة شرور تجارة الرقيق التى لم يجد لها شبيهاً فى العالم الوثنى، قديمه وحديثه. فأسمها «دناءة لعينة» التى هى فضيحة للدين وفضيحة لأمجلترا وفضيحة للطبيعة البشرية، وبسبب تجارة الرقيق انفصل وسلى مرة أخرى عن رفقة جورج هوايتفيلد الذى كان يملك خمسة وسبعين عبداً فى أمريكا. لقد برر هوايتفيلد موقفه بالإشارة إلى آباء «العهد القديم»: ما كان صواباً بالنسبة لإبراهيم لا يمكن ان يكون خطأ بالنسبة لهوايتفيلد!!

(*) Ibid,p.259

(**) Ibid,p.260

الزواج التعيس لوسلى

حدثت الشقوة الكبرى فى حياة وسلى الشخصية لما تزوج فى سنة ١٧٥١. كانت «مولى فازيل Molly Vazeille» أرملة ليس لها تعاطف مع خدمة وسلى الدينية ويجب أن يقال هنا إن رحلات وسلى المستمرة ومتطلبات برنامجها اليومى تركت له فرصة ضئيلة للحياة العائلية. حقاً، كما نصح هو الآخري، إن الالتزام بإعطاء الوقت الكامل لخدمة الإنجيل يمكن أن يجعل الشخص غير لائق للزواج. لكن «مولى» برهنت على عنادها بكل طريقة فهى شاكية باستمرار وسليطة اللسان. اتهمته بأن له علاقات نسائية. وأعلنت اتهاماتها جهاراً. تركته ثم اصطلحت معه مرات عديدة، لكنهما أخيراً انفصلا نهائياً سنة ١٧٧٦. وحين ماتت سنة ١٧٨١ لم تترك لزوجها شيئاً من تركتها (٥ جنيه)، وبعد سنوات عديدة، أبدى وسلى هذه الملاحظات بطريقته الخاصة:

«اعتقد أن الرب ألغى هذه العملية المؤلمة (الزواج) لصالح العمل. فلو كانت مدام وسلى زوجة أفضل، ربما كنت قد صرت غير أمين للعمل العظيم الذى دعانى إليه الله. وربما كنت قد التجأت أكثر إلى إرضائها حسب رغباتها الشخصية». (*)

شارل ينفصل عن جون

كان شارل وسلى فى السنوات الأولى، الرفيق الأمين لجون فى رحلاته. لكنه كان محافظاً أكثر من جون، وأكثر ولاء للكنيسة الإنجليكانية، وكان قلقاً لأن جون لم يكن مثله فى هذه الناحية. كان شارل متخوفاً جداً من أن استخدام المبشرين العلمانيين (أحياناً من النساء) والوعظ فى الأماكن المكشوفة سيرغم «الميثودية» على الخروج من الكنيسة الإنجليكانية. وكان باستمرار يحذر شقيقه من هذا، ثم إنه لم يستطع قبول عقيدة جون عن «الكمال». انسحب شارل بالتدريج من الكرازة بطريقة التجوال. وانتقل إلى لندن واستمر يكرز، لكنه اندمج أكثر فأكثر فى الحياة العائلية وزاد ابتعاده عن الخطة التى تسير عليها «الميثودية» وقل تعاطفه معها. واستمر جون من جانبه يشكو من أن قلب شارل لم يعد فى الحركة.

(*) Ibid,p.231

شارل وسلى مؤلف الترانيم

كانت أعظم مساهمات شارل هى موسيقاه، فهو مؤلف ترانيم رائع أنتج ما بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ ترنيمة أثناء حياته. ولأنه كان محبوباً فى كنيسة الميثوديست، فإن عدداً كبيراً من تراتيله قد تناولتها دراسة التراتيل فى الكنائس البروتستانتية. لنذكر منها أربع ترنيمات فقط معروفة للمسيحيين.

Jesus, Lover of My Soul

«يسوع، حبيب روحى» -

Hark, the Herald Angels Sing «استمعوا، الملائكة المبشرون يسبحون»

Love Divine All Loves Excelling

«المحبة الإلهية، فاقت كل محبة»

Jesus Christ is Risen Today

«يسوع المسيح اليوم قام»

الميثودية فى أمريكا

كان عدد كبير من الميثوديست بين المهاجرين الإنجليز الذين استقروا فى أمريكا فى القرن الثامن عشر. وفى وقت اندلاع الثورة الأمريكية سنة ١٧٧٦، كان واضحاً أنهم فى حاجة إلى المعونة والإشراف فأرسل وسلى «توماس كوك Thomas Cooke (١٧٤٧-١٨٤٨)، الذى كان خادماً مرتسماً ليكون مشرفاً على الكنيسة الأمريكية. وانضم «كوك» إلى «فرنسيس اسبورى Francis Asbury»، الذى كان يعمل من قبل، بدون رسامة، فى تنظيم المبشرين العلمانيين لمجتمع كنيسة الميثوديست النامية. وفى سنة ١٧٨٤ تأسست الكنيسة الميثودية الأسقفية. وبعد ذلك بقليل تمت رسامة «اسبورى» مع آخرين ممن كانوا قبلاً قادة علمانيين وتم إعداد كتاب لنظام الكنيسة وأخذ «كوك وأسبورى» لقب أسقف. وعندما سمع وسلى بالخبر انزعج للغاية - أولاً لأن المشرفين فى أمريكا لقبوهم وقتئذ بالأساقفة. وثانياً لأن كنيسة ميثودية وجدت الآن منفصلة عن كنيسة إنجلترا الرسمية وقد سبق لوسلى أن أعلن: «عندما يترك الميثوديون الكنيسة يتركهم الله. سوف لا انفصل

(*) Ayling, op. cit. p. 287

عن كنيسة انجلترا حتى تنفصل روحى عن جسدى. «(*) وتعاتب مع الأمريكان لكنه كان عليه أن يسلم أخيراً بأن كنيسة أمريكية منفصلة أمر لا مناص منه.

أخيراً تنفصل الميثودية عن كنيسة انجلترا

انفصل الميثوديون الكالفينيون المنتمون إلى «رابطة الكونتييسة هانتنجدون» عن الكنيسة الانجليكانية عملياً بحلول سنة ١٧٧٩. وكان الوسليون الميثوديون يتحركون فى هذا الاتجاه، لكنهم لم يصبحوا مستقلين إلا بعد موت وسلى سنة ١٧٩١. إنه بطريقة أو أخرى أعد الطريق للاستقلال بالتوقيع على «وثيقة إقرار إعلان» ضماناً لاستمرار الحركة عن طريق «مؤتمر» (جمعية) تحتفظ بالملكات وتكون مسئولة عن الإدارة.

وسلى يموت فى سنة ١٧٩١

انتقل جون وسلى يوم أول مارس سنة ١٧٩١ بالغاً من العمر ٨٨ سنة وكانت كلماته الأخيرة مأخوذة من ترنيمة لإسحق واتس: "I'll Praise My Maker While I've Breath Isaac Watts" (أصبح خالقى ما دام فى نفس) ... وقد قورن تأثير وسلى فى القرن الثامن عشر بتأثير الثورة الفرنسية وهذه مبالغة بدون شك، إلا أنه يمكن القول بأن جون وسلى كان من أكثر الشخصيات الدينية نفوذاً بين الناطقين بالإنجليزية منذ عهد الإصلاح.

(ج) حركات إنجيلية أخرى فى القرن الثامن عشر فى انجلترا

فريق «كلاهام» Clapham

هناك الكثيرون فى الكنيسة الإنجليكانية الذين اعتبروا أنفسهم الإنجيليين ومع ذلك ظلوا داخل كنيستهم الأولى. كانوا يتلهفون إلى خلاص النفوس والكراسة «الكتابية» ومواهب الروح وخدمة المحتاجين. كانوا فى أشد القلق بسبب الفساد العام وقد تأثر هؤلاء الإنجيليون بالتأكيد بوسلى، لكنهم اتجهوا لاهوتياً إلى جانب آراء هوايتفيلد وكونوا فريقاً داخل الكنيسة الرسمية اسمه «قطاع كلاهام Clapham Sect» الذى كانت قيادته من الطبقات العليا للمجتمع الإنجليزى. ومن أعضائه

البارزين «جون نيوتن» John Newton (١٧٢٥-١٨٠٧)، الذي كان قبلاً تاجر عبيد، وأوجست توبلادى Augustus Toplady (١٧٤٠-١٧٧٨) مؤلف ترنيمة «صخر الدهور» Rock of Ages، وإسحق ملنر Isaac Milner (١٧٥٠-١٨٢٠)، الذي ساهم بقدر كبير فى جعل جامعة كامبردج مركزاً للنموذ الإنجيلى فى العالم الأكاديمى. والليدى «حنة مور» Hannah More (١٧٤٥-١٨٣٣) التى نشرت المذهب الإنجيلى فى دوائر لندن الأدبية والفنية.

الاستهزاء بالإنجيليين

لكن هؤلاء الإنجيليين لم يقابلوا فوراً بالترحاب فى الكنيسة والمجتمع بل قوبلوا بالاستهزاء من كل جانب، لكنهم اشتهروا باحتماله فعندما قرأ «سير رتشارد هيل» Sir Richard Hill أول عضو إنجيلى فى البرلمان فصلاً من الكتاب المقدس أمام مجلس العموم. حيّوه بهدير من الضحك، لكنه على أى حال قرأ الفصل الكتابى.

توماس شالمرز الاسكتلندى Thomas Chalmers

كان من المفيد للمشيخيين نشوء المذهب الإنجيلى فى اسكتلندا. كان «توماس شالمرز» (١٧٨٠-١٨٤٧) عبقرى تلك الحركة، فلسنوات عديدة كان شالمرز عالماً ولاهوتياً "مرموقاً"، لكنه فجأة اجتاز اختبار التجديد الذى فجر ثورة فى خدمته. «كان الاهتمام المسيطر عليه وقتئذ هو وجوب أن تقدم الكنيسة الإنجيل والتهديب المسيحى لكل الأمة الاسكتلندية خصوصاً للفقراء الذين وقعوا فى شرك التصنيع».^(*) وبينما كان فى قمة خدمته فى إحدى كنائس جلاسجو البارزة، استقال كى يبدأ أبروشية جديدة يستطيع فيها أن يتعامل مباشرة مع أمية وفقير العمال الصناعيين. ولسوء الحظ لقى شالمرز معارضة من حزب الأغلبية فى كنيسة اسكتلندا. ولأنه شعر شعوراً قوياً بأن الكنيسة كانت فاشلة فى رسالتها لكل شعب اسكتلندا فقد تزعم معركة انتهت بانفصال الإنجيليين وتنظيمهم كنيستهم الخاصة الحرة. ومع ذلك يبقى هذا مثلاً للالتزام ودافعا "كبيرا" للحركة الإنجيلية.

(*) Vilder, op. cit. p. 58

تأثير الإنجليين على الأخلاق العامة

لأن الإنجليين الإنجليز كانوا أثرياء وذوى نفوذ، أمكنهم تمرير تشريع اجتماعى فرضت بموجبه ضرائب ثقيلة على بنادق الصيد وورق اللعب، والموسيقى، والاورات والمسارح، وسباق الخيل، والجرائد التى تصدر يوم الأحد، وحتى على رحلات يوم الأحد. كانت هناك «جمعية إعلامية ضد الرذيلة» وهى التى أشرفت على تنفيذ القوانين ضد المسكرات ولعب القمار والحلف والصور الفاضحة وكسر يوم الرب. وقد وجدت جمعيات لكل قضية أخلاقية تقريباً (الأجانب المكرويين): «الغرباء المرضى». «خدام الدين الفقراء»، «اليتامى والمشردون»، «الشبان المنحرفون». «الأرامل المحزونات» الخ. قيل عن «وليم ولبرفورس» William Wilberforce أحد قادة الإنجليين البارزين إنه كان منتصباً لسبعين من أمثال هذه الجمعيات.

نماذج اجتماعية صارمة للإنجليين

اتبع هؤلاء الإنجليون من الطبقة العليا أنظمة صارمة جداً. كانوا يلبسون قفازات سوداء. وكانت معظم التسلية ممنوعة. حتى قراءة كتب ليست ذات صبغة دينية خالصة اعتبرت مضيعة خطيرة للوقت إن لم تكن مفسدة. جاء فى تقرير عن زوجة أحد القسوس: «حين وصل أولادها الشبان» اللطاف» لقضاء أجازتهم فى البيت، لم تكن تسمح لهم أن يقفوا عند نافذة البيت المطلة للخارج دون أن يجعلهم يديرون ظهورهم حتى» لا يتطلعون إلى المناظر الرومانسية المحيطة بالمنزل لئلا تحول محبة «أرض الشيطان»، أشواق قلوبهم بعيداً عن حياة الآخرة الفضلى. (*)

(د) الاهتمامات الإنسانية للإنجليين

أسفرت الحركة الإنجيلية عن مبادرات جديدة، وعن تفهم أوسع لمعنى الخدمة المسيحية. كان هناك اهتمام كبير بالأعمال الخيرية والإنسانية، انتشرت مثل هذه الاهتمامات إلى كنائس أخرى.

BEHALTHEN, ALEXANDRIA
Bibliotheca Alexandrina

(*) Johnson, op. cit. p. 371

هوارد وإصلاح السجون Howard

جون هوارد (١٧٢٦-١٧٩٠) من الكنائس المستقلة، صدمته حالة السجون الأخلاقية والبدنية. اشترك مع الحكومة فى حملة داخل إنجلترا واسكتلندا وإيرلندا لتغيير الأحوال. ودُعى هوارد «أبو إصلاح السجون».

ولبرفورس وتجارة العبيد Wilberforce

سبق أن ذكرنا انتقاد ولسلى لتجارة الرقيق التى عارضها الكويكرز أيضاً، وتناول القضية أيضاً فريق الكلابهام الإنجلييون لكن القائد ذو التأثير العظيم فى هذه الحرب الدينية كان «وليم ولبرفورس» (١٧٥٩-١٨٣٣) وهو إنجليى وعضو برلمان، وبمجهوداته ألغيت تجارة الرقيق فى إنجلترا فى سنة ١٨٠٧.

الأدب المسيحى

هناك إنجاز آخر للحركة الإنجيلية وهو نشر وتوزيع الأدب المسيحى. كان جون ولسلى نشيطاً جداً فى كل أنواع الإنتاج الأدبى، وفى سنة ١٧٩٩ تكونت «جمعية النبذات الدينية» Religious Tract Society لطبع نبد دينية رخيصة يمكن توزيعها باليد فى مداخل الأبواب وعلى نواصى الشوارع. والتوزيع الهائل للكتب المقدسة فى كل بلاد العالم فى الوقت الحاضر، يرجع إلى تاريخ تأسيس «جمعية الكتاب المقدس الإنجليزية والأجنبية فى لندن سنة ١٨٠٤ British & Foreign Bible Society

رايكيز وحركة مدرسة الأحد Raikes

لمس الإنجليى العلمانى «روبرت رايكيز» (١٧٣٥-١٨١١) حاجة الأطفال إلى التعليم المسيحى، فبدأ فى سنة ١٧٨٠ أول مشروع نظامى لمدارس الأحد فى أنحاء البلاد وخصوصاً بين الطبقات الأكثر فقراً. وبهذه الطريقة لم ينجذب الأطفال فقط إلى الكنيسة لكنهم تلقوا أيضاً ثقافة عامة ما كان يمكن تلقّيها فى الأحوال العادية، ونظمت جمعية فى لندن فى سنة ١٧٨٥ وأخرى فى فيلادلفيا سنة ١٧٩١ لنشر مدارس الأحد فى كل المستعمرات البريطانية.

الحركة الإرسالية الحديثة

كان قيام الحركة الإرسالية الحديثة من أهم نتائج النهضة الإنجيلية بالتأكيد، وأول مجهود مرسلى أجنبي فى إنجلترا حدث فى سنة ١٦٤٩، استجابة لطلب جون اليوت John Eliot الذى كان يبشر الهنود الأمريكين بالتعاليم الإنجيلية. وتأسست (جمعية نشر الإنجيل فى البلاد الأجنبية) سنة ١٧٠١. وبدأ التقويون الألمان جهودهم المرسلية فى نفس الوقت تقريباً وجاء المورافيون بعدهم مباشرة.

وستتناول موضوع الإرساليات الحديثة على نحو مفصل فى فصل قادم.

Recommended English Readings

1. Ayling, Stanley, John Wesley, Abingdon Press, Nashville, 1979, (A recent and balanced biography)
2. Bainton, Roland, The Horizon History of Christianity, pp. 357-362.
3. Eerdman's Handbook to the History of Christianity, pp. 444-455, 512-515.
4. Johnson, Paul, A History of Christianity, pp. 365-374.
5. Latourette, K.S.- A History of Christianity, pp. 1018-1035.
6. Vibler, Alce R.- The Church in an Age of Revolution, pp. 37-39, 56-61.
7. Walker, Williston, A History of the Christian Church, pp. 454-464, 469-472.

ثالثاً الصحوة الكبرى فى أمريكا

(أ) الوضع الدينى

الاستيطان الأوروبى فى أمريكا

معظم المستوطنين الأوائل هاجروا إلى أمريكا لأسباب دينية. وسبق أن ذكرنا «البيوريتان» الذين كانوا يهربون من الاضطهاد فى إنجلترا، وفى أواخر القرن السابع عشر انضم إليهم الهولنديون والألمان. وكانوا فى غالبيتهم من الإنجليكان والكنايس المستقلة، ثم المشيخيين والمعمدانين أما الميثوديون فلم يصلوا فى أعداد كبيرة إلا فى أواخر القرن الثامن عشر.

التدهور الروحى

بينما كان مستوى الحياة الدينية رفيعاً فى السنوات المبكرة، حدث تدهور روحى عند نهاية القرن السابع عشر. فلم تعد الكنائس تتحكم فى الحياة العامة. كما فى إنجلترا وأوروبا خلال نفس الفترة، كانت الخدمات التعبدية باردة وبلا حياة. وكانت المواعظ مملة وغير مؤثرة. وقد قال أحد المترددين على الكنيسة:

«بالأسف كأنما لا شىء سوى الرعود القاصفة والبروق الخاطفة والزلازل المفزعة يمكن أن توقظنا حيث أننا أصبحنا فى هذا الوقت واقعين فى سبات مميت.» (★)

(ب) بداية الصحوة الكبرى

الصحوة الكبرى حركة وطنية

هذه «الصحوة» تسمى «الكبرى» فى التاريخ الأمريكى لأنها كانت الحركة الوطنية الأولى. فقد كان كل إقليم فى السباق مستقلاً، وغافلاً تقريباً عن الأقاليم الأخرى. ولكن الصحوة اكتسحت كل الثلاثة عشر إقليماً بصرف النظر عن الطائفة واللغة.. وكما قال جوستاد، gaustad «كان الهياج الدينى» فى الحقيقة عظيماً وعاماً. لم يعرف حدوداً اجتماعية أو جغرافية. وشمل الريف والحضر ووصل إلى

(★) Eerdman"s Handbook to the History of Christianity, p.437

كلتا الطبقتين الدنيا والعليا». (*)

تيودور فريلنجهايزن Theodore Frelinghuysen

وصل تيودور جاكوب فريلنجهايزن (١٦٩١-١٧٤٨) ليكون راعياً للمستوطنين الهولانديين في (نيوجيرسى). وانزعج من التمسك بالشكليات ومن فقدان الحيوية في الكنائس المصلحة، وعلى مدى ست سنوات، وبسبب صبر فريلنجهايزن في خدمته، وحثه على أهمية الاختبار الشخصى الدينى، تفجرت نهضة في كنيسته وسرعان ما انتشرت في كنائس أخرى هولندية مصلحة في المنطقة. ولم يوافق كل زملاء فريلنجهايزن على أساليبه. وكما لاحظنا من قبل، كانت دائماً تثار الأسئلة حول العاطفية المتطرفة للحركة الإنجيلية. Extreme Emotionalism

جلبرت تانيت Gilbert Tennet

أما «جلبرت تانيت» (١٧٠٣-١٧٦٤)، وكان راعياً مشيخياً في بلدة مجاورة، فقد انزعج أيضاً من برودة الحياة الروحية في أعضاء كنيسته. وابتدأ تانيت متأثراً بـ «فريلنجهايزن» نهضة في كنيسته. وأصبح بسرعة الشخصية المركزية في «صحوة» المشيخين. وقد أسس والد تانيت الراعى المشيخى أيضاً كلية بالقرب من فيلادلفيا انضمت فيما بعد إلى كليات أخرى لإنشاء جامعة «برنستون» Princeton لكن من سوء الحظ أن حركة تانيت قسمت المشيخين، لأن الذين من أصل اسكوتلاندى-ايرلاندى لم يستطيعوا قبول الأسلوب الإنجيلى للوعظ. ولفترة ما، تكون مجمع مشيخى، مستقل أكد على الحركة الانتعاشية. ومن حسن الحظ أن هذا المجمع اتحد مرة أخرى مع الفريق الأكبر في سنة ١٧٥٨.

(ج) يوناثان ادوارد Jonathan Edwards (١٧٠٣-١٧٥٨)

حياة إدوارد المبكرة

كانت أكثر الأسماء ارتباطاً بالصحة الكبرى هو اسم «يوناثان ادوارد» الذى تربى في بيت قس وأظهر في وقت مبكر جداً موهبة غير عادية كطالب علم

(*) Gaustad, Edwin Scott, A Religious History of America, Harper & Row, New York City, 1974

وفيلسوف. وتبع جده وأباه إلى الخدمة الكنسية، لكنه دعى في سنة ١٧٢٤ ليشغل وظيفة أستاذ في جامعة «ييل» Yale وبعد ثلاث سنوات فقط اجتاز في قلبه اختبار «الولادة الجديدة» وعاد ليعتلى منبر جده في نورثامبتون بولاية «ماسا شوتس». ولما كان منزعجا لفساد أخلاق الشباب وانتشار علم اللاهوت الأرميني.. فقد ألقى إدوارد، الكالفيني القوي، سلسلة مواعظ عن التبرير بالإيمان ومواضيع أخرى إنجيلية. وبحلول سنة ١٧٣٣ غزت المدينة روح جديدة. وقد وصفها إدوارد نفسه قائلاً «كانت النفوس، في الواقع، تأتي أفواجا إلى يسوع المسيح. وبدأت المدينة أنها تمتلي بحضور الله. ولم يسبق لها أن امتلأت بكل هذه المحبة، ولا بكل هذا الابتهاج، ولا كانت مع ذلك ضمايرهم مثقلة بالألم والأسى كما كانت وقتئذ. كانت هناك دلائل على حضور الله في كل بيت تقريبا.» (*)

انتعاش العقل والقلب والإرادة

مع أن يوناثان إدوارد كان حريصاً من جهة تطرفات «العاطفية». إلا أنه آمن بأن الاختبار الديني يجب أن يلمس العقل والإرادة والقلب، وفي رأيه أن الديانة الصادقة يجب أن «توجه أعماق ينباع نشاط الإنسان بعيداً عن الاتجاهات الطبيعية لمحبة الذات وتحويلها بدلاً من ذلك نحو مجد الله الجليل، والذي يجعل عن الوصف» (**)

خطاة في يدي إله غاضب

أشهر عظة لإدوارد وعنوانها «خطاة في يدي إله غاضب» تعطي فكرة عن أسلوب كرازته الذي كان يلمس العقل والإرادة والقلب:

«حقاً إن الله إله غاضب. إن لديه من الأسباب الكثير ليلقى المتمردين في لهيب جهنم كما يقذف الناس عنكبوتاً ساماً إلى النار. لكن الله يقف منتظراً ليعطي الناس فرصة أخرى، إن يده هي فقط التي تمنعهم من السقوط إلى اللهب في أي

(*) Christianity in America, A Handbook, Eerdmans, 1983, p.102

(**) Ibid, p.104

لحظة. فبأبيها الخاطيء فكر فى الخطر المرعب الذى أنت فيه... ولا غرابة إذا كان من نصيب بعض الأشخاص الجالسين هنا فى هذا الاجتماع متمتعين بالصحة والهدوء والأمان، أن يكونوا فى جهنم قبل صباح الغدا.» (*)

وقيل عن هذه العظة ما يلى: «قبل اختتام هذه العظة كان هناك نحيب ونواح فى كل أرجاء المكان وكانت الصيحات والصرخات نافذة ومثيرة. نفوس كثيرة امتلأت بالرجاء فى تلك الليلة، وبأى للابتهاج والسرور الذى غمر وجوه وملامح تلك النفوس التى نالت الراحة والعزاء.» (**)

شونسى ينتقد «إثارة العواطف»

كان شارل شونسى (١٧٠٥-١٧٨٧) أحد كبار نقاد ادوارد. وكان قساً مشهوراً فى الكنيسة المستقلة فى بوسطن. وفى رأيه أن إثارة العواطف أضلت الناس. «فالدين يمكن أن يعتمد على الإدراك والتمييز والإرادة كما يعتمد على العواطف أيضاً. فإذا لم يحسب حساب الجانب الأول بينما بولغ فى الاهتمام بالعواطف فلن يؤدي هذا إلا إلى اضطراب الناس.» (***)

وفى رأى شونسى أن الحركة الانتعاشية كانت فى الواقع شراً. «ليس هذا فحسب بل إن الشيطان نفسه لم يستخدم آلة أخرى فى كل العصور أكثر إهلاكاً من استثارة عواطف عامة الشعب إلى حد يدفعهم إلى التصرف بدون وعى أو تفكير» (****)

ادوارد يرد على شونسى

رد ادوارد على هذا النقد بالمنطق الآتى:

«توجد معرفة ثنائية للصالح جعل الله العقل قادراً على استيعابها. الأولى هى

(*) Bainton, op. cit. pp. 364, 365

(**) Ibid

(***) Johnson, op. cit. p. 426

(****) Christianity in America, A Handbook p. 123

المعرفة النظرية (تأملية) ... والثانية هي تلك التي يحس بها القلب... فى الأولى
تمارس القدرة التفكيرية فقط أو الفهم... وفى الثانية تهتم الإرادة أو الميل أو
الأحاساس القلبى بصفة رئيسية.

«وهكذا يوجد فرق بين أن يكون لدى الإنسان فكرة بأن الله قدوس ورحيم ،
وبين أن يكون لديه إحساس... بهذه القداسة وهذه الرحمة. هناك فرق بين حكم
عقلى بأن العسل حلو وبين تذوق حلاوته. قد يكون لدى إنسان الحكم الأول أي أنه
يعرف أن العسل حلو. ولكنه لم يختبر مذاقه فعلاً... وهناك فرق كبير بين مجرد
حكم منطقى على أى شىء بأنه ممتاز وبين وجود إحساس بحلاوته وجماله. الأول
يستقر فقط فى الرأس... لكن القلب هو المختص فى الثانى.» (*)

خدمة ادوارد الختامية

أرغم إدوارد على ترك خدمته الرعوية لكنيسة نورثامبتون فى سنة ١٧٥٠ .
لكنه ذهب بعد ذلك إلى الحدود حيث بشر بين القبائل الهندية. وقبل موته بقليل فى
سنة ١٧٥٨ انتخب رئيساً لجامعة برنستون فى نيوجرسى. وعلى مدى خدمته آمن
بأن العمل الذى بدأ وقتئذ فى إقليم «نيوإنجلاند» عمل مجيد رفيع المستوى، ولو
أنه استمر وانتشر، لحول إقليم «نيوإنجلاند» إلى نوع من سماء على الأرض» (**)

(د) جورج هوايتفيلد والصحة العظمى George Whitefield

جولات هوايتفيلد القومية

الشخص الذى قام بأعظم نصيب فى جعل «الصحة العظمى» تستمر وتسود
كان زميلاً لجون وسلى. إنه جورج هوايتفيلد الذى بعد زيارته الأولى لجورجيا مع
الأخوين وسلى فى سنة ١٧٣٩، عاد فى سنة ١٧٤٠ ليطوف ويجول فى كل
المستعمرات من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال. ولم يقم بهذا العمل من قبل.

(*) Gaustad, op. cit. p. 62

(**) Christianity in America, p. 122

ولا سمع الناس قبله واعظاً بهذه القوة والبلاغة.

فرانكلين يعجب بهوايتفيلد

أعجب السياسى الأمريكى العظيم بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin جداً " بإمكانات هوايتفيلد مع أنه لم يتجدد قط، واندesh فرانكلين خصوصاً " لوضوح صوته. وفى إحدى المرات بينما كان جمهور يقدر بآلاف يصغى إلى خطاب هوايتفيلد، تعمد فرانكلين أن ينتقل إلى أبعد مكان ممكن، ومع ذلك فهم كلمات المبشر، عندئذ قدر أن جمهوراً عدده ٣.٠٠٠ مستمع يمكنه بسهولة أن يتتبع الرسالة.

فرانكلين يضع مقدمة فى طبق العطاء

وفى مناسبة أخرى شهد فرانكلين لقوة كرازة هوايتفيلد فقال:

«تصادف بعد ذلك بوقت قصير أنى حضرت للاستماع إلى إحدى عظات هوايتفيلد، فأدركت من مجرى كلامه أنه قصد أن يختم بجمع مقدمة. وفى صمت عقدت النية أن لا يأخذ منى شيئاً. كان فى جيبى ملء كف من نقود نحاسية، وثلاثة أو أربعة دولارات فضية وخمس قطع ذهبية. وعندما تدرج فى حديثه بدأت أضعف وقررت أن أدفع النحاسات. لكن هزة أخرى من فصاحته جعلتني أخجل لو أنى قدمت قطع النحاس، وصممت أن أعطى الدولارات الفضية. إلا أنه ختم العظة بأسلوب فى غاية الإبداع حتى أنى أفرغت كل ما فى جيبى فى طبق العطاء، النقود الذهبية والفضية والنحاسية جميعها» (*)

الصحة تمتد إلى كنائس أخرى

تضمنت جولات هوايتفيلد السبع الكرازية خمس عشرة ألف عظة تنبر على الخطية الأصلية والتجديد الروحى والتبرير بالإيمان، فكان أن أطلقت موجات من

(*)Gaustad, op. cit. p. 98

الانتعاش فى كل البلاد، كانت حركة مست كل ركن، وكل طبقة، وكل كنيسة. وانتقل الحماس إلى آخرين: منهم صموئيل دافيز Samuel Davis (١٧٢٣-١٧٦١) من المشيخيين، وديفيرو جارات Devereaux Jarratt (١٧٣٣-١٨.١) من الأسقفيين، وإسحق باكوس Isaac Backus (١٧٢٤-١٨.٦)، وشوبال استيرنز Shubal Stearns (١٧٧١-١٧.٦) ودانيال مارشال Daniel Marshal (١٧٨٤-١٧.٦) من المعمدانيين. كان المعمدانيون فى الحقيقة أعظم المستفيدين من الصحوة الكبرى. فقد ارتفع عدد الكنائس المعمدانية بصورة مثيرة فى جيل ما بعد سنة ١٧٥٠ فى الوقت الذى بدأت فيه الصحوة الكبرى تفقد قوة دفعها.

(هـ) نتائج الصحوة العظمى

الصحوة توحد الأمة

كون الصحوة العظمى فريدة فى تاريخ الأمة الفتية أمر واضح. كما يقول جونسون: «العقيدة الدينية الإنجيلية كانت القوة الأولى للقارة، وهى ظاهرة أمريكية خالصة، تخطت كل الفوارق الإقليمية، وقدمت شخصيات قومية وجعلت الحدود بين الولايات تبدو غير ذات أهمية».*

الصحوة تمهد للديمقراطية

يتفق المؤرخون عموماً على أن الصحوة العظمى، إلى جانب فوائدها الدينية، خلقت وعياً "ذاتياً" فى الشعب الأمريكى لم يكن لديهم من قبل تمثل فى الاهتمام بالفقراء وغير المتعلمين (التي كانت علامة مميزة من علامات الصحوة والتشديد على حرية التعبير)، وأهمية الفرد فى المفاضلة بين المؤسسات - هذه كلها كانت عناصر مكونة للمجتمع الديمقراطى القادم.

الدين يصنع المواطن الصالح

زد على ذلك، أن الروح الدينى المرتفع، نُظِرَ إليه كامتياز إيجابى للأمة حتى من جانب أولئك الذين لم يكونوا متدينين. فالسياسى الأمريكى المرموق والرئيس

(*) Johnson, op. cit. p. 427

الثانى للولايات المتحدة، جون آدمز John Adams، الذى لم يصرح بمسيحيته، قال، إن احدى الميزات العظيمة للديانة المسيحية أنها جاءت بالمبدأ العظيم لقانون الطبيعة والأمم. «أحب قريبك كنفسك وكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم»، بل وجعلته معروفاً لدى الشعب كله، فاعتنقه واحترمه. فالأطفال والخدم والنساء والرجال أصبحوا كلهم جهابذة فى علم الأخلاق العامة والفضائل الشخصية معاً. هكذا يتعلمون منذ الطفولة المبكرة (*) واجبات وحقوق الإنسان وحقوق المواطن.

قال «لاتوريت» Latourette :

«الخلاص بالإيمان وكهنوت كل المؤمنين كانا الركيزة والطريق إلى

«الديمقراطية التى ميزت الولايات المتحدة». (**)

الصحة تعد الثورة

وقال معلق آخر: «حررت النهضات القوات الديمقراطية فتغلغلت وعلى مدى واسع فى الأوضاع السياسية... والصحة الكبرى باعتبارها حدثاً اجتماعياً، لم تكن فى الواقع سوى المرحلة الأولى للثورة الأمريكية.***»

التفاوت بين الكنيسة والدولة فى فرنسا

ساد الانسجام الفريد بين المؤسسات الدينية والسياسية لأول مرة فى المائة سنة الأولى للجمهورية الأمريكية، لكنه أقل وضوحاً فى الزمن الحاضر. فى سنة ١٨٣٥ أبدى الكاتب الفرنسى «الكسيس دى توكيفيل Alexis De Toqueville الملاحظة التالية: «كنت ألاحظ دائماً فى فرنسا، أن روح الدين وروح الحرية يتبعان مسالك

(*) Ibid

(**) Latourette, op. cit. p. 963

(***) Harry S. Stout in Christianity in America, p. 130

يعارض فيها كل منهما الآخر لكن فى أمريكا وجدت أنهما يتحدان قلبياً
ويشتركان معاً فى السيطرة على نفس الدولة.... يجب أن تكون للدين أولويته
على المؤسسات السياسية لتلك الدولة. «(*)»

ويبدى « جونسون الملاحظة التالية:

لأول مرة منذ العصور المظلمة جاء إلى الوجود مجتمع ارتبطت فيه المسيحية
الرسمية بالتقدم والحرية أكثر من كونها ضدهما. (**)

Recommended English Readings

1. Bainton, Roland- The Horizon History of Christianity, pp. 362-365
2. Christianity in America, A Handbook, Eerdmans, 1983, pp. 96-130
3. Eerdmans Handbook to the History of Christianity, pp. 434-442.
4. Gaustad, A Religious History of America, Harper and Row, New York, 1974, pp. 44, 45, 61, 62, 88-99.
5. Johnson, paul A History of Christianity, pp. 425-428.
6. Latourette, K.S., A History of Christianity, pp. 957-963.
7. Walker, Williston, A History of the Christian Church, pp. 464-468.

(*) Johnson, op. cit. p. 428

(**) Ibid

رابعاً: الصوحة العظمى الثانية والعقيدة الإنجيلية اللاحقة (أ) تجديد النهضة فى أمريكا

اجتماعات المعسكرات

خمدت أول موجة للنهضات فى أمريكا فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر، لكنها تجددت بعد فترة الثورة الأمريكية (١٧٧٥-١٧٨٣). وهذه الصوحة العظمى الثانية تتبعها تقدم سريع فى الهجرة وحركة الإسكان نحو الغرب. وفى مناطق الحدود بدأت ظاهرة اجتماعات المعسكرات حيث كان المبشرون المتجولون يرتبون أمكنة مؤقتة فى الأماكن الخلوية، وكان الناس يسافرون أميالاً عديدة ويقيمون الخيام لتبقى أياماً وأسابيع. وأشهر اجتماع تم فى «كين ريدج كنتوكى» Cane Ridge Kentucky حيث جذب جمهوراً بلغ تعداداه أكثر من ١٠٠٠.١.

كرازة ببساطة

تميزت النهضةات بالمواعظ البسيطة الحية المقنعة. ولم يكن خدام الإنجيل ذوى ثقافة عالية لكنهم عرفوا كيف يقدمون للناس قصصاً من واقع حياتهم. كان الميثوديون والمعمدانيون أنشط الطوائف إلا أنه كان هناك تعاون بين مختلف الطوائف أيضاً.

العاطفية Emotionalism

كانت هذه النهضةات تتميز فى نطها بمستوى عاطفى كثيراً ما كان موضع نقد، وهاكم وصفاً لأحد هذه الاجتماعات: «كان الصوت يشبه هدير الشلال، وبدت الساحة الغاصة بالبشر وكأنها أمواج تحركها العاصفة. كان البعض يرتلون، والبعض يصلون، وآخرون ينتحبون طالبين الرحمة بنبرات ولهجات حزينة يرثى لها، بينما يتصايح الآخرون ... وكأنها قوة غريبة خارقة للطبيعة كانت تخترق كل هذا البحر الهائل المائج من الناس المجتمعين هناك. وذات مرة رأيت خمسمائة منهم على الأقل ينبطحون أرضاً فى لحظة، كأنما انفتحت عليهم بطارية من ألف مدفع وبعدها على الفور شقت صرخاتهم عنان السموات» (*).

(*) Bainton, op. cit., p. 368

الراكب الطواف

خلال هذه الحقبة ظهر فى المناطق الأمريكية الجديدة الراكب الطواف ... وهو مبشر إنجيلى مثل جون وسلى، كان يسافر من قرية إلى قرية، وكانت مجتمعات مناطق الحدود صغيرة بحيث لم تستطع القيام بتأسيس الكنائس. لذا كان الطوافون يقومون بالخدمات فى البيوت للعائلات التى تتجمع فيها.

بيتر كارترايت Peter Cartwright

أشهر راكب طواف هو «بيتر كارترايت» (١٧٨٥-١٨٧٢) والذي تجول فى ولايات كنتوكى، تينيسى، وإنديانا والذي بلغ عدد خدماته ١٤٠٠٠ عظة وعمد ١٢٠٠٠ شخص طوال مدة خدمته. اشتهر كارترايت بمعاركه ضد إدمان الخمر ولعب القمار والرق وسرعان ما غت الكنائس الميثودية الصغيرة التى وضع بذورها لتصبح كنائس مستقلة. ويقال إن الطوافين واجتماعات الخيام كانوا السبب فى نمو الكنيسة الميثودية من ١٢٠٠٠ ر. عضواً إلى مليون عضو فى مدى خمسين سنة.

النهضة فى الكليات

كان للنهضة فى شرق أمريكا بداية ثانية جرت فى نطاق الأساليب العادية لحياة الكنيسة. وظهرت أيضاً فى الكليات الجديدة. فكان تيموثى دوايت (١٧٥٢-١٨١٧) Timothy Dwight رئيس جامعة ييل Yale وحفيد يوناثان ادوارد Jonathan Edwards يلقى عظات انتعاشية للطلبة، وكان مهتماً على وجه الخصوص بمقاومة عقيدة (التأليه الطبيعى) Deism والمذهب (الارتياحى) اللذين كان لهما وقتئذ تأثير عظيم فى العالم الأكاديمى. أما دوايت وآخرون مثل أزاى نيتلتون Asahel Nettleton (١٧٨٣-١٨٤٤) ولايمان بيتشر Lyman Beecher (١٧٧٥-١٨٦٣) فقد عملوا الكثير ليعيدوا احترام شعلة الروح القدس الإنجيلى من جديد فى الكنائس المستقلة والمشيخية فى شرق أمريكا.

شارل فينى Charles Finney

كان أشهر الإنجيليين فى هذه الحقبة «شارل جراندسون فينى» Charles Grandison Finney (١٧٩٢-١٨٧٥) والذي، برغم أنه لم يتلق تدريباً لاهوتياً رسمياً، إلا أنه

رسم لخدمة الكنيسة المشيخية، وكان أسلوب فينى الحماسى فى مواعظه سبباً فى إطلاق النهضات فى كل أنحاء ولاية نيويورك. كان ساخطاً بصفة خاصة على الفتور والتمسك بالشكليات فى الكنائس المنظمة. وكما قال شارل فينى:

«إذا فحصنا تاريخ الكنيسة سوف نجد أنه لم يحدث أى إصلاح مكثف إلا بإجراءات وأساليب جديدة. فحينما تركز الكنائس على شكل من أشكال الإجراءات، فإنها بسرعة تصل إلى الاعتماد على تنفيذها شكلياً، وهكذا تحتفظ بشكل الديانة وتفقد جوهرها. وقد وجد أنه من المستحيل دائماً أن نوقظها لكى تمهد السبيل لإصلاح الشرور، وتأتى بنهضة دينية بمجرد متابعة الشكل المقرر.. وحينما يجد الله أن أسلوباً بعينه فقد تأثيره لتجمده فى قالب معين فإنه يلهم تدبيراً جديداً يقتحم العادات الكسولة ويوقظ الكنيسة من سباتها، وقد نتج عن ذلك خير عظيم.» (*)

أساليب فينى الجديدة

ابتدع فينى طرقاً للكراسة بالإنجيل أسماها «أساليب جديدة» مثل: الصلاة من أجل الناس بالاسم. صلاة النساء العلنية، استخدام لغة مألوفة مع الله فى الصلاة، مواعيد غريبة للاجتماعات، واجتماعات طويلة جداً، اقتحام الجماعات بدون دعوة من الرعاة المحليين، استخدام لغة عامية دارجة فى الحوار والمناقشات. وإن كانت جميع هذه الأساليب ليست فريدة من نوعها، لكن استخدامها بطريقة منظمة جعل جمهور السامعين تحت سيطرة فينى مما شجع على رفع مستويات الانفعالية. قال أحد الكتاب، «كان فينى ناجحاً إلى أبعد الحدود فى مهمته، إن لم يكن هو مخترع الروحية الحديثة عظيمة «الإثارة»

الجانب السلبى للنهضات

لعبت النهضات دوراً هاماً فى الحياة الدينية الأمريكية، وكانت الحاجة إليها ملحة فى وقتها، ولكننا لا نجرؤ على تجاهل التأثيرات الجانبية السلبية، والتي

(*) Gaustad, op. Cit., pp. 150, 151

مازال الكثير منها واضحا حتى اليوم، مثال ذلك:

- ١- جنحت النهضات إلى أن تكون ضد المعنوية والموضوعية، متجهة بالأكثر إلى العواطف والقليل جدا "إلى العقل.
- ٢- كثيراً ما جذبت النهضات الناس وسحبتهم من كنائسهم المنتظمة دون أن تدبر لهم أي كنيسة جديدة.
- ٣- خلقت النهضات جمهوراً متخصصاً لاجتماعات النهضة، أو العقلية الانتعاشية التي كانت كل حياتها الدينية مكرسة لاجتماعات النهضة.
- ٤- تسببت النهضات في انشقاقات وأوجدت طوائف جديدة وسط مسيحية منقسمة من قبل.

(ب) النهضة والجمعيات التطوعية

قادت حقبة الصحوة الكبرى الثانية أناسا كثيرين إلى البحث عن دروب للشهادة والخدمة خارج الكنائس المحلية. فانتظمت جمعيات تطوعية عديدة للتركيز على احتياجات خاصة . وكانت الإرساليات الخارجية التي سنتناولها في جزء لاحق من هذا الكتاب أول وأهم هذه الاحتياجات.

بوشنيل Bushnell والتهذيب المسيحي

كان للتعليم الأهمية الأولى، فقد تكون اتحاد مدارس الأحد الأمريكي، وجمعية نشر النبذات الكتابية، والجمعية الأمريكية للكتاب المقدس . وكتب هوارس بوشنيل Horace Bushnell (١٨٠٢-١٨٧٦) أحد الرعاة في كونكتيكوت Connecticut كتابا عن «التربية المسيحية Christian Nurture» انتقد فيه طريقة النهضات في التجديد السريع، ورأى أن الطفل يجب أن يعد تدريجياً في فهمه للإيمان المسيحي بالتعليم والإرشاد قبل أن يكون مؤهلاً للتجديد. ولقد أثرت مبادئ «بوشنيل» في منهج التهذيب المسيحي حتى يومنا الحاضر.

كليات الكنيسة

تأسست كليات كنسية صغيرة خلال القرن التاسع عشر بأعداد أكثر مما تأسس منها فى أى وقت آخر فى التاريخ الأمريكى. وكثيراً ما كان رعاة الكنائس البارزون يستدعون لرئاسة هذه الكليات، ويتلقى معظم أساتذتها تدريباً لاهوتياً وقد أنهى شارل فينى الخادم الإنجيلى أيامه رئيساً لكلية أوبرلين Oberlin فى أوهايو. ومع أن هذه الكليات فى حالات كثيرة لم تعد لها ارتباطات مباشرة مع الكنيسة، فإن أسماءها تنم عن مصادرها. فهناك الكثير من الكليات «الوسلية» (ميثودية)، وكلية «وتنبرج Wittenberg»، وكلية هيدلبرج Heidelberg، وكلتاها لوثرية، وكلية وستمنستر (مشيخية)، وكلية كالفن (مصلحة) الخ. واندماج خريجى هذه الكليات أخيراً فى حياة الكنائس وأصبح كثيرون منهم قسوساً أو أساقفة، وآخرون أكثر عدداً صاروا علمانيين مكرسين.

الأخلاق العامة

وثمة أمر آخر ركزت عليه الجمعيات التطوعية وهو الأخلاق العامة. فُنظمت جمعيات لتهيئ أنشطة مسيحية سليمة للشباب. وتأسست «جمعية الشبان المسيحية»، فى إنجلترا سنة ١٨٤٤، وسرعان ما تبعتها «جمعية الشابات المسيحية»، وفتحت فروع لهذه الجمعيات فى أمريكا، لها الآن فروع وعضوية فى أنحاء العالم، كانت الحملة ضد المسكرات الموضوع الرئيسى لاجتماعات النهضة. وبرزت جمعيات تطوعية لنشر هذه الدعوة وسرعان ما أصبح لمثل هذه الجمعيات نشاط سياسى. صار الخمر محظوراً، فى بعض المدن والولايات، وأخيراً كانت القوة السياسية للكنيسة كافية لإصدار قانون منع المسكرات فى كل أمريكا من سنة ١٩١٩ - سنة ١٩٣٣. (*)

إلغاء الرق

سببت قضية الرق فى أمريكا إنقساماً بين الشمال والجنوب فى الأمة الأمريكية

(*) لقد فشل قانون منع المسكرات نتيجة ازدياد الجرائم وإنتاج الخمر سراً ضد القانون. وتظل مشكلة إدمان المسكرات فى أمريكا كما هى فى بلدان عديدة أخرى.

وفى وسط الكنائس أيضاً، ونادت جمعيات مختلفة بإلغاء الرق، لكن الشعب فى الجنوب أصبح يعتمد اقتصادياً على امتلاك العبيد. واستنكروا دعوة الإلغاء. ومع ازدياد صيحة المبشرين الشماليين ضد الرق، انسحبت كنائس الجنوب. وأصبح الرق حينئذ قضية قومية شقت وحدة الدولة وأدت إلى الحرب الأهلية (من سنة ١٨٦١ - ١٨٦٤). ولكن بالتأكيد كان لضمير الكنيسة وصوتها أعظم التأثير على القضية، وكما أخذت الأمة سنوات عديدة لتشفى جراحها، هكذا كانت الانقسامات الشمالية / الجنوبية فى الكنيسة تسير ببطء نحو الحل ولم يتم اتحاد النصفين الشمالى والجنوبى للكنيسة المشيخية إلا فى سنة ١٩٨٣.

جيش الخلاص The Salvation

كان جيش الخلاص من أكثر المؤسسات التطوعية التى ظهرت فى هذه الحقبة الزمنية أهمية وأدعاها للإعجاب وقد قام بتنظيمه «وليم بوث» William Booth (١٨٢٩-١٩١٢) فى إنجلترا (*) على النظام العسكرى، وكان الجيش أساساً تبشيراً، واستخدم فرق الموسيقى النحاسية ليجمع الجماهير فى نواصى الشوارع حيث يقوم «الجنود» بتبشيرهم برسالة الإنجيل. لم يعتورهم الخوف من مواجهة المعارضة والسخرية، وسرعان ما اتجه الجيش إلى حاجات المجتمع المروعة فى ذلك الحين. فبدأوا العمل بين الساقطات، والسجناء والمشردين فى شوارع لندن، مضيفين إلى اهتمامهم بالخلاص الشخصى مع العناية بالجسم الإنسانى. يلاحظ أنهم ركزوا جهودهم دائماً على أكثر الناس احتياجاً من الفقراء والمحرومين. قال أحد قادتهم «نحن نخدم أحط الساقطين والفاسدين والمنبوذين. «ولجيش الخلاص فى الوقت الحاضر أعمال فى ٧٤ دولة وأعضاؤه مليونان معظمهم متطوعون.

جمعيات الكتاب المقدس تساعد العمل المرسل

كان تأسيس جمعيات الكتاب المقدس من أهم التطورات التى تمت فى هذه الحقبة ولم يكتب لمؤسسة منفردة أن تكون ذات فائدة لحركة المرسلات الحديثة أكثر من

(*) كان هناك دائماً تدفق منظم للحركة الإنجيلية بين إنجلترا وأمريكا. والشئ الذى يختبر وينجح فى واحدة منهما ينتقل بسرعة إلى الأخرى.

جمعية الكتاب المقدس.. فمنذ عام ١٧١٠ تكونت أولى هذه الجمعيات فى ألمانيا.. لكن نشاطاً أكثر طموحاً بدأ فى عام ١٨٠٤ بتكوين جمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية بواسطة مجموعة من الإنجيليين فى لندن.. وفى عام ١٨١٦ تم افتتاح جمعية فى أمريكا وسرعان ما افتتحت جمعيات مماثلة فى بلدان أخرى.. وكان النشاط الرئيسى لهذه الجمعيات هو مساعدة الإرساليات المنتشرة فى العالم فى ترجمة الأسفار الكتابية بلغات مختلفة، ثم طبع وتوزيع الكتب المقدسة بأسعار التكلفة.. ولم يكن هناك سلاح منفرد آخر ذو فائدة فى العمل المرسل أكثر من كلمة الله فى لغة الشعب).

منظمة (اتحاد جمعيات الكتاب المقدس)

وبعد سنين عديدة من النشاط المنفرد، تجمعت فى عام ١٩٤٧ جمعيات من مناطق مختلفة من (منظمة اتحاد جمعيات الكتاب المقدس).. وقد أتمت هذه المنظمة ترجمة الأسفار المقدسة إلى أكثر من ألف وثمانمائة لغة وارتفع توزيع نسخ الكتاب المقدس - أو أجزاء منه - خلال السنوات من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٨ من ٥٤١ مليون نسخة إلى ١٧٣ مليون نسخة

الاهتمام بالروح القدس

كان اللورد «شافتيزبرى Shaftesbury أحد القادة الإنجيليين البارزين فى إنجلترا وكان له أيضاً اهتمام اجتماعى عظيم. وجدير بالملاحظة أن نذكر ما كان يقوله عن الموازنة بين الاهتمامات الاجتماعية والروحية.

«عندما يقول الناس إننا يجب أن نفكر أكثر عن الروح وأقل عن الجسد فإن جوابى أن الله الذى خلق الروح هو نفسه الذى خلق الجسد أيضاً.. أنا أتمسك بأن الله تقدم له العبادة لا من الخليقة الروحية فقط لكن من الخليقة المادية أيضاً. إن أجسادنا، هياكل الروح القدس، يجب أن لا نفسدها بأمراض يمكن الوقاية منها ولا أن نجردها من مقامها ونحط من قيمتها بنجاسة يمكن تجنبها، ولا أن نعجزها عن خدمته بعذاب وآلام لا ضرورة لها (*)»

(*)Eerdman's Hand Book to the History of Christianity, p. 519

(ج) طوائف وقطاعات جديدة غمت ضمن حركات النهضة وبعانها

أسباب انقسام الكنيسة

سبق أن ذكرنا أن النهضة سببت انقسامات فى الكنائس وكان هذا صحيحاً بالنسبة لكل طائفة. لم يكن السبب لمجرد أن الشخص كان «إنجيلياً». أم لا. فهناك أسباب كثيرة، معظمها لاهوتى، لكن بعضها اجتماعى مثل قضية الرق، ومشكلات مذهب العصرية ومذهب المحافظين، الكالفينية والأرمينية، عماد الأطفال والكبار، أهمية المجدى الثانى للمسيح الخ. وغير هذا الكثير من القضايا التى أدت إلى انشقاق مجموعات وتكوين كنائسهم الخاصة بهم.

تلاميذ المسيح

من الغريب، أن محاولات وقف الانقسام بالإقلال من الخلافات اللاهوتية لم تكن تؤدى إلا إلى انقسامات جديدة. على سبيل المثال فإن «توماس كامبل Thomas Campbell ، وهو مشيخى من إيرلندا انتابه القلق من الطائفية التى اكتشفها فى الكنيسة الأمريكية، فأعلن أنه لا يجب أن تكون هناك عقائد رسمية كشرط للتلمذة، ويكفى القبول البسيط للكتاب المقدس «حيث يتكلم الكتاب المقدس» نتكلم نحن، وحيث يصمت «الكتاب» نصمت نحن. اعتقد كامبل أنه بتجاهل كل الشروط الأخرى، يمكنه أن يوحد كل المسيحيين على هذا الأساس البسيط. لقد أسس فى واشنطن وبنسلفانيا «اتحاد واشنطن المسيحى The Christian Association of Washington وكما هو متوقع فإن هذه المؤسسة غير الرسمية التى لم تكن «كنيسة» أصبحت بعد فترة وجيزة «كنيسة»، وكانت تقدم فيها خدمة العشاء الربانى وأثيرت مسألة العماد ودرست العلاقات مع المعمدانين. لكن كامبل انسحب من ذلك بسبب الكالفينية، وخلافات عقائدية أخرى. وبحلول سنة ١٨٢٨، أصبحت هذه المؤسسة البسيطة غير الطائفية طائفة اسمها «تلاميذ المسيح»، بلغ عدد أعضائها فى القرن العشرين مليون عضو.

الإخوة البلاميس The Plymouth Brethren

الأخوة البلاميس، الذين يعيشون ويخدمون في مصر اليوم نشأوا من بواث مشابهة. فعندما حرم «ادوارد كرونين» Edward Cronin طالب الطب في «دبلن بايرلندا» من تناول عشاء الرب لأنه لم يكن عضواً بالكنيسة الأسقفية. اعتبر هذا «إنكاراً لوحدة كنيسة الله، وإنكاراً لكون كل الذين آمنوا، أعضاء ذلك الجسد الواحد.» وانضمت إليه جماعة صغيرة من أشخاص لهم نفس التفكير، تقابل معهم لكسر الخبز والصلاة في بيت خاص. ولما كبر حجم الجماعة اقتنعوا بأنهم ليسوا في حاجة إلى خادم دين مرتسم. وباتباعهم حرفياً مبدأ «الكهنوت لكل المؤمنين»، آمنوا بأن مواهب الخدمة المسيحية موزعة بين الجميع. ولا حاجة لمجلس إداري للكنيسة خلاف الاجتماع المحلي. ولسوء الحظ انشق «الإخوة» إزاء قضايا لاهوتية مثل المعمودية والمجيء الثاني. ولا زالت الفروع المتنوعة نشطة في أمريكا وإنجلترا وحول العالم، حيث تأسست لهم كنائس محلية نتيجة للحركة المرسلية النشيطة. وبعد أن أخذوا اسمهم من مدينة بلايموث في إنجلترا حيث التأم أول مجمع لهم سنة ١٨٣١ فضلوا أن تكون التسمية البسيطة لكنيستهم مجرد «كنيسة الإخوة».

المجيء الثاني

ميز الاهتمام بمجيء المسيح الثاني الكنيسة المسيحية منذ سنواتها الأولى. وفي أوقات دورية ركزت جماعات مثل «المونتانيين Montanists» (انظر الجزء الأول ص. ١٢) كل التفسيرات اللاهوتية على انتظار العصر الألفي The Millennial Age وفي أيام الأزمات (كالحروب وأخبار الحروب) وعبر كل القرون، كان المسيحيون متأكدين أنهم يرون الدليل على أن الرب قريب، وقد شجع الحماس التبشيري للصحة الكبرى مثل هذا التأكيد.

الآمال السياسية والعصر الألفي

كانت للعصر الألفي علاقة أيضاً بأمل الشعب في ما يمكن أن تكون عليه

أمريكا- كأمة- وكما يقول جوستاد Gaustad «كثيرون رأوا ذروة الحلم الأمريكي في العصر الألفى (فترة السلام والوفرة الموصوفة لمدة ألف سنة في سفر الرؤيا)... فبمزيد من التوبة، ومزيد من الإصلاح، وتقوى أعظم، وأخلاق أعلى، يمكن للأمة أن تدخل في ذلك العصر الجديد المجيد الذي يحكمه الله». وفي سنة ١٨٣٥ أعلن «فينى Finney قائلاً»: (لو أن الكنيسة قامت بواجبها، فقد يجيء العصر الألفى في هذه البلاد في مدى ثلاث سنوات، واعتقد لايمان بيتشر Lyman Beecher أن أمريكا كانت تحت عناية الله، معينة لقيادة الطريق لتحرير العالم أخلاقياً وسياسياً». (*)

السبتيون الأدفنتست Seventh Day Adventists

في سنة ١٨٣١، اختار وليم ميللر William Miller من نيويورك (١٧٨٢-١٨٤٩) فقرات مناسبة من سفر دانيال وسفر الرؤيا واكتسب آلاف الأتباع بمواعظه عن قرب مجيء المسيح. وعين لذلك الموعد سنة ١٨٤٣، ثم عاد وجعله سنة ١٨٤٤. ولكن عدم ظهور المسيح في الأوقات المعينة جعل ميللر يراجع فكره اللاهوتى، لكنه لم يثبط عزيمته أتباعه. وانتظمت كنيسة السبتيين (الأدفنتست) رسمياً في سنة ١٨٦٣. وهذه الكنيسة كما يدل اسمها، تقيم عبادتها في أيام السبت. معتقدة أن حفظ يوم الأحد ليس حسب «الكتاب». وبعد مستر ميللر جاء «الين هوايت Ellen White (١٨٢٧-١٩١٥) الذي كان أكثر السبتيين تأثيراً حيث ألف ٤٥ كتاباً هاماً عن تفسير الأدفنتست للكتب المقدسة، ولا يعترف السبتيون بالكنائس الأخرى ولا يشاركون في المنظمات العالمية.

شهود يهوه Jehovah's Witnesses

جماعة شهود يهوه لديهم أيضاً تشديد قوى مشابه للأدفنتست بالنسبة للمجىء الثانى. هذه الجماعة أسسها شارل تازرسل Charles Taze Russell (١٨٥٢-١٩١٦) من بتسبرج. ولشهود يهوه آراء غريبة ومتناقضة عن المجىء الثانى. ويمكن القول بأن شهود يهوه في الواقع يتخذون ديانة منفردة ولهم كثير من الأتباع في دول عديدة، ولا يعترفون بأي كنيسة أخرى ولا تعترف أى كنيسة بهم.

(*) Caustad, opcit, p.151

المورمون The Mormons

طائفة أخرى لها مثل هذه الشهرة ظهرت فى أوائل القرن التاسع عشر وهى «كنيسة يسوع المسيح لقديسى آخر الزمان» المشهورة بكنيسة «المورمون» The Church of Jesus Christ of Latter Day Saints أسسها «جوزيف سميث» Joseph Smith (١٨٠٥-١٨٤٤) فى نيويورك سنة ١٨٣٠، وهو الذى ادعى أنه تلقى رؤيا خاصة من الله مطبوعة على لوحات من ذهب. هذه اللوحات، بعد ترجمتها، أصبحت كتاباً مقدساً للمورمون بجانب ترجمة خاصة للكتاب المقدس طبعة الملك جيمس. كان «سميث» يُسمى نبي الدين الجديد، لكنه استشهد فى سنة ١٨٤٤ بيد جماعة معادية من الدهماء. وقد تسلم «برجهام يونج» Brigham Young قيادة الجماعة ناحية الغرب وشدوا أنفسهم فى مدينة «سولت ليك» Salt Lake City, Utah وفى السنوات الأولى مارس المورمون تعدد الزوجات. ومن بين معتقداتهم المخالفة للاهوت المسيحى، توجد مثل هذه التعاليم: هناك آلهة أخرى، يستطيع البشر أن يصيروا آلهة، والآلهة بشرًا، الخ... تدعى كنيسة المورمون أنها الكنيسة الوحيدة الحقيقية، وأن الكنيسة المسيحية بجملتها كانت مارقة (مرتدة عن الدين) إلى وقت أن تلقى جوزيف سميث رؤيته فى سنة ١٨٣٠. والمورمون من أكثر المجتمعات الأمريكية استقراراً ومحافظة على القديم. تربية أطفالهم تتم بكل دقة. لديهم محظورات قاسية ضد التدخين والمسكر وحتى الشاي والقهوة. وقد أسس المورمون كنائسهم وكنياتهم، وهم مواطنون مجتهدون يوثق بهم ويحتفظون بمستوى تعليمى رفيع. وكثيراً ما كان المورمون يُختارون لمراكز حكومية أمريكية هامة. وخدم عدد من علماء المورمون فى كليات الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

(د) مبشرون إنجيليون بارزون

فى قلب الحركة الإنجيلية يوجد الإعلان عن كلمة الله. ربما أفضل ما نتذكره عن المذهب الإنجيلى هو صلته بأسماء المبشرين الذين كانوا من أبلغ الفصحاء وأعظمهم تأثيراً. سنتحدث عن أربعة من أحسن المعروفين وأفضل المحبوبين.

شارل سبرجن Charles Spurgeon

ولد شارل سبرجن (١٨٣٤-١٨٩٢) لإحدى عائلات المبشرين المستقلين، وبعد تجديده على يد الميثودست انضم للكنيسة المعمدانية وبدأ يبشر في القرى، لكنه دُعى في سن العشرين إلى كنيسة «بارك ستريت» Park Street بلندن، وسرعان ما أجبره حجم الجماهير التي جاءت لتسمعه أن يستأجر صالات أوسع. وفي سنة ١٨٥٩ شيدت قاعة كبرى بالعاصمة Metropolitan Tabernacle، وهي كنيسة تسع ٦٠٠٠ مستمع، حيث بشر بالإنجيل حتى وفاته سنة ١٨٩٢. كان صوته الواضح، وسيطرته على اللغة العامية البسيطة وإحساسه الثاقب بالدعاية، كل هذا مع تمكنه من الإلمام بالكتاب المقدس، ومحبه العميقة للمسيح، أنتج بعضاً من أنبل المواعظ في أي عصر. وبالرغم من قوة عظاته، كان سبرجن حريصاً على تفادي أسلوب التطرف العاطفي الذي ينتهجه مبشرون آخرون.

سبرجن ينسحب من المعمدانيين

اختلف سبرجن كعضو كالفيني متشدد مع بعض الاتجاهات في الكنيسة المعمدانية في أيامه، فانسحب من الاتحاد المعمداني، لكنه لم يكون طائفة منفصلة. ومع ذلك فإن فاعليته من المنبر نشرت شهرته في كل المجتمع الإنجيلي، ولا زالت مجموعات مواعظه وتفسيره مثل «خزانة داود» The Treasury of David موجودة في مكتبات الكثير من الرعاة.

دوايت ل. مودي Dwight L. Moody

ولد «دوايت مودي» (١٨٣٧-١٨٩٩) لبيت من الموحدين في «نورثفيلد» بولاية ماساشوستس Northfield, Massachusetts لكنه كشاب اهتدى عن طريق برنامج مدرسة الأحد في كنيسة بوسطن. اشتغل لفترة قصيرة كرجل أعمال ناجح في شيكاغو، (*) وفي نفس الوقت كان يشجع عمل مدرسة الأحد في المنطقة. وأخيراً

(*) The New International Dictionary of the Christian Church, J.D. Douglas, Editor p.928 .

وهب نفسه بالكامل لبرامج مدرسة الأحد وجمعيات الشبان المسيحية.

نجاح مودى

بدأت خدمة مودى كمبشر لما وطد العلاقة مع «إير-د-سانكى Ira D. San key الموسيقى ومؤلف الترانيم. وسافرا معاً إلى إنجلترا عام ١٨٧٣ حيث قاما بحملات تبشيرية ناجحة خصوصاً فى اسكوتلاندا. وعندما عاد مودى وسانكى إلى أمريكا قام الاثنان بحملات انتعاشية فى معظم المدن الكبرى. وبالإضافة إلى الوعظ والموسيقى الملهمة، اشتهرت هذه النهضات بالإعداد الدقيق والإعلان المسبق، وتعاون الكنائس المحلية. وتقدر الرحلات والسفريات التى قام بها مودى مدة حياته بما يزيد عن مليون ميل (فى عصر ما قبل الطيران) وبشر أكثر من مائة مليون من الناس (قبل عصر الإذاعة والتلفزيون).

مودى والتهديب المسيحى

اهتمام مودى بالتهديب المسيحى قاده إلى تأسيس مدرستين إحداهما للأولاد فى «هرمون» بولاية ماسا شوستس، والأخرى للبنات فى «نورثفيلد» بنفس الولاية، ونظم أيضاً سلسلة من مراكز المؤتمرات عبر الولايات المتحدة استخدمها هو وكثيرون آخرون لاجتماعات النهضة. والتراث الباقي لمودى هو «معهد مودى للكتاب المقدس فى شيكاغو. Moody Bible Institute of Chicago

بيلى ساندى Billy Sunday

كان «وليم ساندى William A. (Billy) Sunday (١٨٦٢-١٩٣٥) من أعظم المبشرين فى أوائل القرن العشرين. كان فى بدء مسيرة حياته لاعباً محترفاً ناجحاً فى كرة البيس بول Baseball. وفى أحد الأيام وفيما كان يشرب الخمر فى أحد الصالونات استمع إلى رسالة الإنجيل ينادى بها فى الشارع. وبعد تجديده حاول أن يصلح من حال زملائه فى الفريق، بمن كانوا مشهورين بالاستهتار والتسبب. وبحلول سنة ١٨٩٣ تخلى ساندى عن لعبة الكرة وكرس نفسه للكراسة كل الوقت، كان

ساندى ممثلاً موهوباً، استطاع أن يلون رسائله بقصص وحكايات ويندمج فى تمثيل الشخصيات وكثيراً ما كان يجرى ويقفز حول المنبر مستخدماً موهبته كرياضى ليرضى ويسر السامعين. وكما فعل مودى، قاد سانداى حملات تبشيرية جيدة التنظيم والدعاية، يُشرف عليها نخبة ممتازة من المتطوعين. ومع ذلك قيل إنه لم يترك إلا القليل من التأثيرات فى الكنائس والمجتمع. كان الناس يأتون ليتمتعوا بأسلوبه الحماسى، وقد يظهرون وكأنهم اهتموا وتجددوا، بعد ذلك يعودون إلى بيوتهم بدون تغيير يذكر عما كانوا عليه من قبل.

بيلى جراهام Billy Graham

يدعونه أحسن شخصية دينية معروفة فى القرن العشرين ذلك هو وليم.ف. (بيلى) جراهام (١٩١٨).. تربى جراهام فى بيئة معمدانية بسيطة فى ولاية «كارولينا الشمالية، وتلقى تعليمه فى مدارس معمدانية. انضم عقب الحرب العالمية الثانية لمؤسسة «الشباب للمسيح» Youth for Christ والتي كانت تعمل بين طلبة الكليات وبحلول سنة ١٩٤٩ كان يتولى الاجتماعات الانتعاشية الخاصة به، وقد جذب هذا انتباه الصحافة الأمريكية فكتبت عنه عدداً من المقالات المشجعة، وعن طريق الإعلام الجديد للتليفزيون أصبح وجه جراهام وصوته مألوفين لدى الملايين. ونشر مجلة «القرار» Decision التى وصل توزيعها إلى أربعة ملايين نسخة.

تأثير بيلى جراهام

عن طريق الحملات عالية التنظيم واستخدام أحدث وسائل الإعلام بشرّ جراهام الملايين من الناس فى كبرى مدن العالم (وزيارته للقاهرة سنة ١٩٦٠ سيذكرها الكثيرون). وقد ظل جراهام صديقاً ومستشاراً لشخصيات هامة فى هذا العالم بما فيهم معظم رؤساء أمريكا فى السنوات الأربعين الأخيرة مع أنه لم يكن بصفة خاصة خطيباً قوياً (إذا قورن بـ «مودى» أو «ساندى» لكنه بالأكثر اكتسب تعلق الناس به وحبهم له بإخلاصه وتواضعه. ويراها الكثيرون حتى المثقفون الذين لا يهتمون بالإيمان المسيحى، مسيحياً نموذجياً.

بيلى جراهام يشجع الكنائس المحلية

على خلاف مبشرين آخرين فى العصر الالكترونى الذين يبدو أنهم يهتمون فقط بتشبيد امبراطوريتهم الخاصة مهما كان ذلك على حساب الكنائس المحلية، حرص بيلى جراهام دائماً حرصاً شديداً على التأكد من أن يكون حملاته ونهضاته تأثير إيجابى على شعوب الكنائس المحلية. البرامج تنسق بعناية حتى تثبت علاقة كل متجدد مع راعى وشعب الطائفة. وبالتأكيد فإن جراهام فعل أكثر من أى فرد ليربح الاحترام للحركة الإنجيلية داخل الكنيسة وخارجها أيضاً.

Recommended English Readings

1. Bainton, Roland- **The Horizon History of Christianity**, pp. 366-368.
2. **Eerdmans Handbook to the History of Christianity**, pp 512-523, 529; 534-537.
3. **Christianity in America, A Handbook**, pp. 171-185, 197-211, 293-295, 371-372, 435-437.
4. Gaustad, E.S., **A Religious History of America**, pp. 132-138, 144-153, 228-231, 246-247.
5. Latourette, k.s., **A History of Christianity**, pp. 1035-1044.
6. vidler, A.R., **The Church in an Age of Revolution**, pp. 237-239.
7. Walker, Williston, **A History of the Christian Church**, pp. 507-518.

الحركة الرسالية الحديثة

مقدمة

كما ذكرنا من قبل أدت الصحة الكبرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى تغييرات عديدة فى موقف الكنيسة تجاه العالم المحيط بها. وبجانب التأكيد على خلاص الأفراد كان الاهتمام بأخلاق الناس، وحاجاتهم العقلية والجسدية مثل الحملة لإصلاح السجون، وإلغاء الرق وتطوير التعليم، الخ. لكن لم تحدث حركة أكثر فاعلية على الكنيسة والعالم من الدعوة لتجديد الاستجابة إلى إرسالية المسيح العظمى « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الآب والابن والروح القدس... » (مت ٢٨ : ١٩).

المصلحون غير مهتمين بالإرساليات

باستثناء حالة واحدة فإن المصلحين لم يلهموا بأن يبشروا بالإنجيل فى بقاع أخرى. فقد تركزت معظم جهودهم فى النزاع مع روما، وفى تكوين طوائف جديدة والحفاظ عليها. أيضا كان عصرًا اكتنفته الحروب الدامية الطويلة التى غطت كل القارة الأوروبية مستنزفة موارد الكنائس والأمم. ومهما كانت الفضائل الأخرى للمصلحين، فإنهم لم يكونوا ينظرون بلطف إلى من ينتمون إلى مذاهب وألوان أخرى بل الحقيقة إنهم لم يهتموا بأمرهم كما يقول «بول جونسون» Paul Johnson عن مارتين لوتر: كان تفكير لوتر محصوراً فى آفاق قومية بل ومحلية فقط، ونادراً ما كان يفكر فى الآفاق القارية، دعك من الآفاق العالمية فقد قال مرة:

«إن ديانة اليهود والترك والكاثوليك كلها شيء واحد» (*)

واجبهم ربح البعيدين للمسيح

ومع ذلك فإنه أثناء عصر الاستكشاف والاستعمار وحتى فى أوائل ظهوره، كان هناك وعى بأن على المسيحيين واجباً أن يربحوا النفوس للمسيح حيثما ذهبوا. فى سنة ١٦٢٢ وجه «جون دون» John Donne أسقف كنيسة القديس بولس بلندن،

(*) Johnson, op. Cit., p. 401

الرسالة التالية لجماعة من التجار المسافرين للاستيطان فى العالم الجديد (أمريكا).

«اعملوا بموجب سفر أعمال الرسل: كونوا نوراً للأمم الجالسين فى الظلمة... الله علمنا أن نبنى السفن، ليس لننقل أنفسنا وأمتعتنا، بل لننقله «هو» «المسيح»... كونوا كلكم مرسلين ... فتجعلون من هذه الجزيرة (المجلترا) التى ما هى إلا ضاحية من ضواحي «العالم القديم»، جسراً ودهليزاً إلى «الجديد»، لتضموا الجميع إلى ذلك «العالم» الذى لن تصيبه الشيخوخة أبداً، ألا وهو ملكوت السموات» (*)

ضمير الكنيسة يستوقف

لما نما الوعي بأن هناك أراضى شاسعة وحشوداً من الناس وراء حدود أوروبا وبعد أن تحركت القلوب والعقول بفعل الرسائل الملهمة فى الصحوة الكبرى، ثار فى الكنيسة ضمير قوى بأنه لم يعد هناك وقت يضيع سدى، إذ يجب أن يسمع رسالة المسيح كل إنسان على وجه الأرض وبأسرع ما يمكن وخلال الجزء الأكبر من مدة قرنين، صبت كنائس كثيرة وقتئذ الجزء الرئيسى من مواردها فى هذا المسعى. وبالرغم من الأخطار العديدة فى توجيه حركة الإرسالية الحديثة، فإن النتيجة واضحة أمام النقاد والأصدقاء على السواء. وهى أن الكنيسة المسيحية تعيش فى أمة بعد أمة، حيث لم يكن لها وجود على الإطلاق من قبل.

الانتشار العالمى للمسيحية

يقول ستيفن نيل Stephen Neill «والواقع أن هذه الصيغة (الشرقية) للدين، أى (المسيحية) المختومة بعلامات مصدرها فى شرق البحر الأبيض المتوسط، قد وجدت موطناً لها فى كل قطر فى العالم تقريباً، ولها مريدوها وسط كل أجناس البشر من أعظم المثقفين الغربيين إلى سكان الصحارى الأصليين فى استراليا. ولا توجد ديانة

(*) Ibid,p.399

بعد فى العالم، لم يهتد عدد معين من أتباعها إلى المسيحية. (*)

أشار «وليم تمبل William Temple (١٨١١-١٩٤٤) فى عام ١٩٤٢ إلى هذا الوجود العالمى العظيم للمسيحية بأنه «الحقيقة العظمى الجديدة لعصرنا الحاضر. (**) إنه لمن الخطأ- وليس من الإنصاف- القول بأن الكنيسة قد أهملت الأمر الإلهى بالإرسالية من عصر الكنيسة الأول حتى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ونحتاج أن نسجل باختصار عمل المرسلين والإرساليات أثناء الأزمنة المتداخلة.

الكنيسة الأولى تقوم بالعمل المرسل

يحدثنا سفر أعمال الرسل عن قصة الكنيسة الأولى المعروفة وعن نشاطها المرسل. وهناك أيضاً حكايات عن الرسول توما الذى ذهب إلى الهند (انظر الجزء الثانى صفحة ٢٦) أو عن جريجورى المنير، الرسول إلى الأرمن (جزء ٢ ص ٢٠)، وعن «فرومنتيوس Frumentius وأخيه «إديسيوس Edesius» المرسلين إلى إثيوبيا (جزء ٢ صفحة ٢٤). وفى الجزء الثالث صفحة ١٤٦ توجد قصة ألفيلاس Ufilas الذى هدى «القوط الوثنيين وترجم الكتاب المقدس إلى لغتهم.

أولاً: الكنيسة تقوم بالعمل المرسل قبل القرن الثامن عشر

(أ) الإرساليات الأولى إلى الجزر البريطانية وأوروبا

باتريك الإيرلندى

فى سنة ٤٣٢ أسر شاب مسيحى اسمه باتريك Patrick فى غارة هجومية، وأخذ أسيراً إلى إيرلندا. لكنه هرب بعد ست سنوات وعاد إلى بلده. بيد أنه لم يستطع أن ينسى إيرلندا، قال إنه رأى فى حلم وهو نائم «رجلاً قادماً من إيرلندا ومعه رسائل تفوق الحصر. قرأت إحداها التى بدأت بالقول «صوت الإيرالنديين» وبمتابعتى القراءة، حسبت أنى أسمع صوتهم يقول نطلب منك أيها الولد المقدس أن تأتى

(*) Stephen Neill, A History of Christian Missions, Penguin Books, Middlesex, Engiand, 1964, p. 14, 15.

(**) Ibid, p. 44

وتجول بيننا مرة أخرى(*)». وتقبل باتريك هذا الحلم كدعوة من الله، ورجع إلى إيرلندا كمرسل. يعتبر باتريك القديس الحارس لإيرلندا.

كولومبا الاسكتلندي Columba

دخل الإنجيل إلى اسكتلندا عالم ٥٦٣ م عن طريق كولومبا Columba، الذي كان ابن حفيد الملك الذي حكم إيرلندا عندما أخذ باتريك أسيراً وقد شعر كولومبا الراهب وقتئذ في إيرلندا بدعوة من الله أن يرحل إلى اسكتلندا مع عدد من الرفاق. فذهبوا وأسسوا هناك كثيراً من الأديرة التي خرج منها مرسلون بشروا بالإنجيل في إنجلترا.

كلوفيس Clovis ملك الفرنجة

في الإقليم الذي أصبح فيما بعد فرنسا تأسست المسيحية بتأثير ملكة مسيحية على زوجها. في سنة ٤٩٦، دأبت القديسة كلوتلدا Clotilda زوجة كلوفيس ملك الفرنجة على تذكير زوجها باستمرار أنه يجب أن يتخلى عن أصنامهم ويعبد الإله الحقيقي. وأخيراً أقنعت أنه يسمح لطفليهما أن يتعمدا. وفي وقت لاحق (مثل قسطنطين) نسب كلوفيس انتصاره في إحدى المعارك الحربية إلى مساعدة إله المسيحيين، وبعد ذلك قبل أن يتعمد مع ٤٠٠٠ من جنوده.

أغسطينوس من كانتربيري

وأصبحت إنجلترا مسيحية بطريقة مشابهة. فقد أرسل البابا جريجوري الكبير سنة ٥٩٠ راهبا اسمه أغسطينوس (ليس أغسطينوس أسقف هيبو) مع فريق من رهبان آخرين ليبشروا الإنجليز Angles بالإنجيل (التي منها اشتقت كلمة إنجلترا) في مقاطعة «كنت» Kent وتصادف أن كان ايثلبرت Ethelbert ملك «الإنجليز» متزوجا من مسيحية، وهي الملكة برتا Bertha. ومثل أم جدتها «كلوتلدا ملكة الفرنجة» شجعت «برتا» زوجها على الترحيب بالمرسلين. في بادئ الأمر تردد الملك «ايثلبرت كثيرا»، لكنه أخيرا "أعطاهم مكانا" يقيمون فيه في كانتربيري. لاقت

(*) John Foster, Church History 2, Setback and Recovery, TEF Study Guide 8)
S.p.C.K., London, 1974, p.23

كرازتهم نجاحاً منقطع النظير، حتى تمكن أغسطينوس فى عيد الميلاد سنة ٥٩٧ من أن يقدم بياناً للبابا جريجورى بأن عدداً يبلغ ١.٠٠٠ ر. من «الإنجليز» تعمّدوا مرة واحدة.

أدوين ملك يورك Edwin

تكررت القصة بعد سنوات قليلة (سنة ٦٢٧) فى مقاطعة «يورك» «الشمالية، حيث عاش راهب اسمه، بولينوس Paulinus الذي استطاع بمساعدة الملكة المسيحية «إيثلبرجا Ethelberga (ابنة برتا ملكة كنت) أن يقنع الملك «أدوين» بأن يعتنق المسيحية. وكان الطريق معداً فى خطاب من البابا بونيفاس Boniface إلى الملك أدوين هذا نصه:-

«... هذا الإيمان معترف به فى الشرق والغرب والله فى رحمته

بدأ يدفعىء القلوب الباردة فى أطراف العالم... أنت تعلم

هذا بواسطة ملكتكم. انبذ الأصنام، وعبادتها، هياكلها، وكهنتها واقبل الله الآب القدير، ويسوع المسيح، ابنه، والروح القدس، والحياة الأبدية لأن الأصنام لا حول لها ولا قوة، إنها فانية ومن صنع الإنسان. اقبل الصليب، علامة فداء الإنسان... آمن واعتمد حتى تحيا مع الله فى المجد.» (*)

عندئذ استشار الملك الشيوخ أعضاء مجلسه. فقال أحدهم شيئاً يعتبر حكمة بليغة:

«هكذا تبدو لى أيها الملك، حياة الإنسان هنا على الأرض. عندما تجلس للغذاء مع شرفائك فى الشتاء حول المدفأة يأتى عصفور فيدخل من نافذة ويخرج من أخرى. ولحظة وجوده فى الداخل يكون آمناً من ربح الشتاء. لكن ما أقصر لحظة شعوره بالسلام .. إنها تختفى لحظة، من شتاء إلى شتاء يعود ثانية بعيداً عن الأنظار. هكذا حياة الإنسان إنها تظهر لفترة أما ما مضى قبلاً، سيأتى بعد، فمن

(*) Ibid,p.30

الذى يعرف حقيقته، فإذا كان هذا التعليم الجديد يأتينا بشيء أكثر تأكيداً فإنه يبدو جديراً بالاتباع». (★)

اقتنع الملك أدوين وشيد كنيسة واعتمد هو وكل النبلاء فى سنة ٦٢٧. ويقال إن المرسل «بولينوس» كان يعمل من الصباح إلى المساء لمدة ٣٦ يوماً ليعمد جماهير شعب يورك الذين أقرروا واعترفوا بإيمانهم.

ويلى بورد من هولندا Willebord

انتشر الإنجيل فى هولندا بواسطة مرسلين من الكنائس المؤسسة حديثاً فى إنجلترا وإيرلندا. ففي سنة ٦٩٠ أبحر راهب اسمه «ويلى بورد» مع أحد عشر آخرين إلى هولندا وأسسوا الكنيسة هناك.

بونيفاس من ألمانيا Boniface

قصة بونيفاس الرسول إلى القبائل الجرمانية (حوالى سنة ٧٢٥) وصلت إلى قمتها بحادث درامى مثير. كان الشعب الألمانى يتعبد حول شجرة عظمى تسمى «بلوطة إله الرعد Thor». وبشجاعة عظيمة أخذ بونيفاس فأساً وضرب الشجرة. وبدلاً من أن يسحقه وميض البرق كما توقع الشعب، سقطت الشجرة إلى الأرض هكذا تحطمت «بلوطة إله الرعد». ومن أخشابها المكسورة بنى بونيفاس الكنيسة المسيحية الأولى فى المنطقة. واستمر يسافر ويكرز مؤسساً الكنائس والأديرة فى كل الأقاليم الألمانية حتى استشهد (حوالى سنة ٧٥٥)

الإيمان المسيحى فى أوروبا

نشرنا هنا بعض القصص القليلة عن انتشار المسيحية فى كل أوروبا، لكن قرونًا عديدة مرت قبل أن تتأسس الكنيسة على قواعد راسخة. إذ ظلت بقايا المعتقدات الوثنية وممارساتها سائدة بين عامة الناس. كانت التحولات بالجملة إلى المسيحية بأمر الملوك حديثى الإيمان تعنى أن أغلبية الناس قلما فهموا الإيمان الجديد. كانت الأمية (ومعظم الملوك كانوا أميين) وتعدد لغات القبائل معوقات أخرى.

(★) Ibid p. 30

لكن البذرة زرعت، والأساس قد وضع، وعلى هذا الأساس صار الإيمان المسيحى آمناً فى كل أوروبا.

(ب) الإرساليات المسيحية الأولى إلى الشرق

١- الأقاليم السلافية Slavic

قسطنطين وميثوديوس إلى مورافيا Constantine and Methodius

فى مناطق أوروبا الشرقية، وهى ما يطلق عليها بلغاريا ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا كانت الثقافة السائدة فى القرن التاسع هى (السلافية) Slavic وتحسباً لغزو الغرب اللاتينى طلب) اميرمورافيا وتشيكوسلوفاكيا) أن يرسل له الإمبراطور فى القسطنطينية مرسلين يتكلمون اليونانية. فاختير للذهاب الأخوان قسطنطين (الذي عرف باسم كيرلس فيما بعد) وميثوديوس وكانا يتكلمان اللغة السلافية. فقطعا مسافة طويلة حتى وصلا إلى البحر الكاشيى Caspian Sea وعلى أيديهما اهتدى إلى الإيمان . . ٣ شخص.

الكتاب المقدس باللغة السلافية

اتخذ قسطنطين وميثوديوس مبدأ أنه يجب ألا تكون لغة الوعظ والعبادة فى هذه الكنائس الجديدة يونانية أو لاتينية، بل سلافية. واخترعا حروف «الجلاجولتك» The Glagolitic » وهى أساس كل اللغات السلافية إلى يومنا الحاضر. وترجما أجزاء من الكتاب المقدس وخدمة القداس إلى اللغة السلافية. وقبلت روما فى البداية إدخال السلافية كلغة دينية، إلا أن الاعتراض عليها قد زاد عندما أصر رجال الكنيسة الغربيون على أن اللغة اللاتينية هى اللغة الوحيدة للعبادة (وحتى القرن الثامن عشر كانت اللاتينية هى اللغة الوحيدة للتعليم والثقافة فى أوروبا). وقد كانت الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية (البيزنطية) أكثر تسامحاً فى استعمال اللغات المحلية. ولما تغيرت القيادة فى روما . وبعد موت قسطنطين وميثوديوس . حرم استخدام اللغة السلافية فى المناطق التى يشرف عليها الفاتيكان.

المسيحية فى روسيا

على أى حال، استمرت الكنيسة تحيا فى المناطق السلافية وأصبحت اللغة السلافية لغة العبادة، وامتدت الأقاليم السلافية وثقافتها شرقاً نحو روسيا. بحلول سنة ٩٥٠ كان فى روسيا الجنوبية عدد من المسيحيين. وذهبت أولجا OLGA ملكة كييف Kiey إلى القسطنطينية لتعتمد، لكن عند عودتها وجدت نبلاءها معارضين للإيمان المسيحى. كما أن حفيدها، الأمير فلاديمير Vladimir عبد آلهة الأوثان القديمة، لكنه كان لديه حب استطلاع بالنسبة للديانات الأخرى فأرسل مندوبين إلى بلاد عديدة ليستعلم. ومن بين التقارير التى وصلتته تقرير يقول: «رأينا الألمان يمارسون عبادتهم اللاتينية ولا جمال فيها وصحبنا اليونانيون إلى كنيستهم، ولم نعلم إذا كنا فى السماء أو على الأرض! امن المستحيل أن نجد على الأرض جلالاً أعظم من هذا، ومن العبث أن نحاول وصفه. ولن نستطيع قط أن ننسى جمالاً بهذه العظمة. إننا نعرف فقط أن هناك إلهاً يسكن بين الناس» (*)

حينئذ اقتنع فلاديمير باختيار الأرثوذكسية اليونانية ديانة لروسيا. وكان قد تزوج أميرة يونانية، ثم تعمد فى سنة ٩٨٨ وطلب كهنة من كنيسة الشرق لتأسيس المسيحية فى روسيا. والجدير بالذكر أنه فى سنة ١٩٨٨ انضم المسيحيون من كل أنحاء العالم إلى الكنيسة الأرثوذكسية الروسية فى الاحتفال بمرور ١٠٠٠ سنة على دخول المسيحية فى روسيا.

٢- المسيحية فى الصين

النسطوريون فى الصين فى القرن السابع

دخلت المسيحية الصين فى موعد مبكر أكثر مما يعرفه معظم الناس. وكان ذلك عن طريق المرسلين من كنيسة سوريا (النسطورية) فى القرن السابع، الذين كانوا أول من بشروا بالإنجيل هناك، نعرف هذا من الكتابات الصينية المنقوشة على قطعة أثرية اكتشفت فى القرن السابع عشر. وثمة دليل آخر، وجد بعد ذلك فى مخطوط فى دير بوذى. مسجلاً "عليه تسبحة للثالوث وال «جلوريا» (المجد لله فى الأعالي).

(*) Ibid, p.70

الإمبراطور يرحب بالمرسل

تحكى اللوحة الأثرية قصة مرسل ظهر فى بلاط عائلة الإمبراطور «تانج العظيم» T'ang وهو يشرح «الديانة المضيئة من سوريا». تأثر الإمبراطور كثيراً حتى أنه أعطى الأمر ببناء دير. وفى السنوات التالية، طبقاً للنقوش، «انتشرت الديانة فى المقاطعات. كانت هناك أديرة فى مدن كثيرة. وازدهرت العائلات فى نعمة المسيحية (*)» وفى أماكن أخرى تتحدث النقوش عن «الكتاب المقدس» وعمل المسيح وطبيعته الإلهية الإنسانية فتقول:

«أقتوم واحد من (ثالثنا الواحد) حجب جلاله الحقيقى وأتى إلى العالم كإنسان. وأعلن ملاك رسالة الفرح. عذراء حملت فى سوريا. نجم لامع كان البشير المناسب. رأى الفرس (المجوس) بهاءه وأتوا يقدمون العطايا. (**)»

المسيحية تخرج من الصين

لا نعلم إلى أى حد انتشرت المسيحية فى الصين. فلسوء الحظ تقلد الحكم إمبراطور سنة ٨٤٥ كان معارضاً للرهبنة (البوذية والمسيحية على حد سواء). أمر أن يعود كل الرهبان إلى الحياة الدنيوية، وبعد سنة ٩٠٠ لم تعد توجد إشارة إلى المسيحية. وفى سنة ٩٨٧ عاد فريق من الرهبان الذين أرسلوا لرعاية الكنيسة فى الصين، يقولون بأنهم لم يجدوا أثراً للكنيسة هناك.

(ج) الإرساليات المسيحية فى أواخر العصر الوسيط من سنة

١٠٠٠ - سنة ١٤٠٠

فرنسيس الأسيسى ورامون لول فى الشرق الاوسط

Francis of Assisi and Ramon Lull

هذه الفترة من التاريخ المسيحى تسودها الحروب الصليبية وهى الحملات

(*) Ibid,p.44

(**) Ibid,p.42

العسكرية التى نظمته الكنيسة لتحرير الأرض المقدسة من الحكم الإسلامى. كانت الحروب الصليبية محاولة مخجلة ومجلبة للمصائب ولم تأت بأى فخر للكنيسة على أى حال، لكن كانت هناك جماعتان من داخل الكنيسة صممتا على العودة إلى الشرق الأوسط حاملتين الصليب بدلاً من السيف، جماعة الفرنسيسكان بقيادة القديس فرانسيس الأسيسى الذى زار مصر فى سنة ١٢١٩. استقبله السلطان الذى عبر عن تقديره لشخص جاء باسم «أمير السلام».

لكن أشهر المرسلين كان «رامون لول» Ramon Lull «من إسبانيا الذى كان مهتماً جداً بالشرق الأوسط وشجع تدريس اللغة العربية فى جامعات أوروبا، زار تونس والجزائر مرات عديدة خلال الفترة (١٢٩١-١٣١٥) لكن مواعظه لم تجد قبولاً حسناً واستشهد على أيدى الدهماء فى سن الثمانين.

الدومينيكان فى أوكرانيا Ukraine

كانت جماعة الدومينيكان فريقاً رهبانياً آخر انتظموا كشركة أخوة يسكنون فى جهات أجنبية مكرسين حياتهم من أجل المسيح، (*) بعثوا بمرسلين إلى أوكرانيا Ukraine (جزء من روسيا الآن) فى سنة ١٢٢١، حيث استطاعوا أن يؤسسوا أسقفية. لكن يبدو أن نتائج عملهم تلاشت على أيدى المغيرين المغول.

الفريد جون Friar John وسط المغول

لما أصبح واضحاً فى القرن الثالث عشر أن المغول بقيادة «خان الأكبر كانوا قوة كبرى فى آسيا، أرسل البابا جملة مرسلين ليوطدو العلاقات معهم. وكان أشهر هؤلاء الفريد جون الفرنسيسكانى الذى لما سمح له بمقابلة الخان العظيم، حثه جون على «أن يعترف بيسوع المسيح، ابن الله الوحيد، ويتعبد لاسمه المجيد بممارسة الدين المسيحى». (**) فى البداية لقى المرسل التشجيع بسبب استقبال خان الودى وبسبب وجود عدد من المسيحيين (النسطوريين) فى بلاط «خان» لكن آماله خابت. فقد رفض «خان» فكرة المعمودية وبدلاً من ذلك طالب البابا أن يخضع له قائلاً:

(*) Neill, op. Cit. p. 117

(**) Ibid, p. 121

«والآن عليك أن تقول بقلب مخلص، «سأمتثل لك وأخدمك» أنت نفسك على رأس كل الأمراء، تعال فوراً واخدم وقم على خدمتنا... وإذا لم تحترم أمر الله، وإذا تجاهلت أمرى، فسأعتبرك عدواً لى، وسأردك إلى صوابك. وإذا خالفت فإله يعلم ما أعلمه.»(*)

(د) الإرساليات أثناء عصر الاكتشاف سنة ١٥٠٠ - ١٧٠٠

١- أمريكا الجنوبية

كما يتضح من القسم السابق. فإن الجهود المرسلية فى العصور الوسطى لم تصادف نجاحاً كبيراً، فأنحصرت المسيحية فى قارة أوروبا والمجتمعات المسيحية الصغيرة فى الشرق الأوسط، التى قل عددها إلى حد كبير فى ذلك الحين بسبب هيمنة الإسلام.

اسبانيا والبرتغال فى الأمريكتين

انبثق فجر عصر مرسلى جديد للكنيسة فيما يسمى بعصر الاكتشاف فى أواخر القرن الخامس عشر. وفى سنة ١٤٩٢ اكتشف كرسطوفر كولبس Christopher Columbus القارة الأمريكية، وفى سنة ١٤٩٧ أبحر فاسكوداجاما Vasco de Gama حول أفريقيا واكتشف الهند. حينئذ بدأ السباق بين دول أوروبا-خصوصاً إسبانيا والبرتغال-لامتلاك هذه الأقطار الجديدة. واشتركت الكنيسة أيضاً فى هذه المغامرات بأمل ربح شعوب جديدة للإيمان المسيحى. وشارك الفاتيكان فعلياً فى تسوية نزاع بين سبانيا والبرتغال على حق استعمار البلاد الجديدة، وفى سنة ١٤٩٣ وضع البابا إسكندر السادس خطاً فى المحيط الاطلانطى معلناً أن كل الأراضى الواقعة شرقى هذا الخط تخص البرتغال، وكل الأراضى الواقعة غربيه تكون من نصيب إسبانيا. وكان قصد البابا «أن يجلب للإيمان المسيحى الشعوب التى تقطن

(*) Ibid, p. 122

هذه الجزر، والمناطق الرئيسية... ولكي يرسل إلى هذه الجزر والبر الرئيسي رجالاً حكماء، مستقيمين، وأفاضل مؤهلين لتعريف السكان من أهل البلاد الأصليين بحسن الأخلاق والإيمان الكاثوليكي». (*)

قسوة المستكشفين

عندما دخل المستكشفون هذه الأراضي العذراء كانت دوافعهم الأولى هي الاستغلال والامتلاك واكتشاف الثروات «فقد سأل (كورتيز) Cortez القائد الإسباني ملك الأزتيك Aztecs (في المكسيك) عن الذهب قائلاً، «الأسبان منزعجون بسبب مرض القلب، والذهب هو دواؤهم الوحيد» (**). لكن كورتيز هذا كان شخصاً متديناً جداً حاملاً معه صورة السيدة العذراء مريم. وقد آمن أن «الهدف الأول لحملته هو خدمة الله ونشر الإيمان المسيحي». «وكان اهتداء الوطنيين عنصراً جوهرياً لانتصار المستكشفين. ولكنهم كانوا في منتهى القسوة في قهر هؤلاء الناس. قتلاً واغتصاباً وأخذهم عبيداً، وسرعان ما بدأ المرسلون الفرنسيون والدومينيكان في الوصول (حتى وصل عددهم إلى ٦٠٠ تقريباً في المكسيك وحدها)، فلما رأوا قسوة الجنود مع أهل البلاد طالبوا بالرحمة. في سنة ١٥١١ انبرى راهب دومنيكاني متحدياً أعمال العنف من المستكشفين قائلاً: «بأي حق أو عدالة تحتجزون هؤلاء الهنود في هذه العبودية المريعة. أليس هؤلاء الناس بشراً، أليس لهؤلاء أرواح عاقلة؟ ألستم ملتزمين أن تحبهم كما تحبون أنفسكم؟» (***)

دي لاس كاساس Delas Casas يدافع عن الوطنيين

وثمة بطل قومي هو الأسقف برتلوميو دي لاس كاساس (١٤٧٤-١٥٦٦) Bartolomes de las Casas الذي جادل في سنة ١٥١٤ ضد تعسف المستعمرين قائلاً:

Alan Thomson, Church History 3, New Movements, TEF Study Guide, No. 14, S.P.C.K, London, 1976, p. 81

(**) Ibid, p. 84

(***) Johnson, op.cit., p. 402

« لا توجد أمة مهما كان أهلها جلفاً أو جهلاء أو برابرة أو متوحشين يصعب استمالتهم وترويضهم على اتباع أساليب سوية للحياة بحيث يكونون لطفاء طائعين، بشرط أن بعضهم تستخدم معهم الطرق السليمة ومعاملتهم كأدميين، أي، بالمحبة واللطف والشفقة (*)، وسبب تأثير «دي لاس كاساس» تغيرت بعض القوانين لصالح الهنود. لكن التأثير الفعلى كان ضئيلاً» وبسبب الاستغلال المستمر وجبروت المستعمرين، انحسر عدد سكان المكسيك الأصليين من ١١.٠.٠.٠.٠ في سنة ١٥١٩ إلى ٢٥.٠.٠.٠.٠ عند نهاية القرن. وهكذا كان الحال أيضاً في أقطار أخرى في أمريكا الجنوبية. فقد استولى المستعمرون على هذه البلاد وأنقصوا عدد سكانها إلى أن صاروا أقليات مستعبدة، وهكذا جاءت المسيحية إلى أمريكا الجنوبية لكن بثمان إنسانى فادح ومريع.

٢-آسيا

زافيه اليسوعى Xavier فى الهند

أسس اجناتىوس لويولا Ignatius Loyola طائفة الجزويت، كان لدى الجزويت غرض أساسى هو استعادة هداية الهراطقة (أى البروتستانت) وهداية الوثنيين إلى الإيمان الكاثوليكي. وكان «فرانسيس زافيه (١٥٠٦-١٥٥٢) أشهر المرسلين الجزويت. ففي سنة ١٥٤٢ ذهب زافيه إلى جاوه Goa على الساحل الغربى للهند حيث كان عدد من الأوروبيين. ركز زافيه جهوده على الصيادين البسطاء القاطنين فى القرى المجاورة. هؤلاء الناس سبق أن تعمّدوا معاً في احتفال جماعى، لكنهم لم يعرفوا شيئاً عن عقيدتهم، فترجم زافيه الصلاة الربانية، وقانون الإيمان والوصايا العشر إلى اللغة المحلية. وفى البداية علم الشباب الذين تشجعوا بدورهم ليعلموا المسنين. ويمكن القول إنه فى سنوات قليلة وجدت كنيسة مسيحية صحيحة مستقلة بين هؤلاء الصيادين البسطاء.

زافيه يبشر اليابان بالإنجيل

فى سنة ١٥٤٩ عندما سمع زافيه تقارير مشجعة عن اليابانيين شد رحاله إلي

(*) Thomson, op. Cit., p. 86

اليابان. وكافح ليتعلم اللغة اليابانية وجعل نفسه مقبولا لدى الشعب. ولم يمض وقت طويل حتى جمع حوله فريقا صغيرا من المؤمنين. وتحقق أيضاً أن هناك عناصر صالحة في الثقافة والتقليد الياباني مما يمكن الحفاظ عليه بدون تناقض مع الدين الجديد. مكث زافيه ٢٧ شهراً فقط في اليابان، لكن البذرة التي زرعها غذاها مرسلون جزويت آخرون. يقال إنه في منطقة واحدة فقط وبحلول سنة ١٥٧٥ كان هناك ٥.٠٠٠ مسيحي، وفي سنة ١٥٩٣ افتتحت مدرسة لاهوت عدد تلاميذها ٨٧، لكن إلى سنة ١٦٠١ لم يكن قد ارتسم منهم للخدمة الدينية الا اثنان من اليابانيين فحسب.

المسيحيون يضطهدون في اليابان

تولى السلطة في اليابان عام ١٥٩٠ حاكم جديد، وبدأ ينظر إلى المرسلين بارتياب باعتبارهم يمثلون قوات استعمارية، وفي سنة ١٦١٤ أصدر مرسوماً هذا نصه:

«جاءت عصابة المسيحيين إلى اليابان، ولم يرسلوا سفنهم التجارية لتبادل البضائع فقط بل هم أيضاً يتوقون لنشر قانون شرير ليهدموا العقيدة السليمة حتى يتمكنوا من تغيير حكومة البلاد والاستيلاء على الأرض وهذه بذرة كارثة عظيمة ويجب سحقها» (*) .

وغادر البلاد كثير من المرسلين والذين بقوا منهم عذبوهم. وإذا رفضوا إنكار إيمانهم كانوا يقتلونهم حرقاً بالنار. أما اليابانيون المسيحيون فقد صلبوا (مثل بطرس) منكسى الرؤوس. ويقدر جملة عدد الشهداء بـ ٣١٢٥ من بينهم ٧١ شهيداً أوروبياً. وبحلول سنة ١٦٣٠، انعدمت المسيحية تماماً تقريباً في اليابان ولكن، في وقت لاحق، عُلِمَ أن جماعة صغيرة من المؤمنين اليابانيين عاشوا مختبئين بعيداً عن عيون المضطهدين.

ريتشي في الصين Ricci

يلي فرانسس زافيه «ماثيو ريتشي Matthew Ricci (١٥٥٢-١٦١٠) وهو

(*) Ncill,op.cit.,p.160

أشهر المرسلين فى زمانه. وأثناء انتظاره تصريحاً لدخول الصين، أتقن اللغة الصينية ودرس الثقافة الصينية. أحضر معه ساعتين من ساعات الحائط كهدية للإمبراطور فى بكين Beijing وأسعد الصينيين بتشغيل الساعتين بدقة. كان ريكى موهوباً فى تطويع اللغة الصينية وطريقة التفكير الصينية وتقليدها، مع التعليم المسيحى، ولو أن ذلك جلب عليه الانتقاد من رؤسائه الجزويت فى إسبانيا. وشيئاً فشيئاً اكتسب استحسان النبلاء الصينيين. وقد بلغ عدد المهتمين فى وقت وفاة ريتشى حوالى ٢٠٠٠ شخص. وكان هناك بعض الاضطهاد لكنه لم يكن قاسياً كما كان فى اليابان، واستطاعت مجموعة صغيرة من المسيحيين أن تبقى عاملة إلى حلول الحقبة الحديثة للجهد المرسل.

دى نوبيلى فى الهند *de nobili*

خدم جزويتى آخر يدعى دى نوبيلى (١٥٧٧-١٦٥٦) فى الهند. وقد استطاع أن يكون مع الناس كواحد منهم فى كلامه وملبسه. وأخيراً قبلوه كأحد البراهمة وهم أعلى مستوى فى نظام الطبقة الهندية، كتب ترانيم مسيحية بألحان هندية وحاول أن يوفق العقيدة المسيحية مع الحكمة الهندية، من أجل هذا انتقده رؤساؤه بشدة لأن هذا يعرض الإيمان المسيحى للتضارب. فمن الجائز جداً أن يكون دى نوبيلى قد عتم الفروق بين أصول المسيحية ومعتقدات الهندوس، فكيف يستطيع المؤمنون الجدد أن يعرفوا ما يميزهم كمسيحيين؟ على أى حال فإن جهود «دى نوبيلى» أدت إلى تجديد عدد من طبقة البراهمة العليا وبضعة آلاف من الطبقات الأدنى، لكن القليل جداً من المرسلين الآخرين كانوا يرغبون فى الذهاب إلى ما وصل إليه دى نوبيلى فى دمج عادات الوطنيين وممارساتهم.

الفلبين

جدير بالملاحظة أن الدولة الأسبوية الوحيدة التى صارت أغليبتها مسيحية كانت جزر الفلبين. حدث هذا عن طريق الاحتلال الإسبانى ومجىء الرهبان الأغسطينوسيين فى سنة ١٥٦٥. كان الأهالى بدائيون ولم يجدوا صعوبة فى قبول الرسالة المسيحية. وبما أن مرسلين آخرين وصلوا (الفرنسيسكان والدومنيكان) فلقد تمت الكنائس بسرعة إلى أن عين البابا أول مطران فى سنة ١٥٨١. أصبحت

الفيلبين أمة كاثوليكية واستمرت كذلك بأغلبية ٨٤٪ في سنة ١٩٨٠.

بروباجندا Propaganda

كانت إحدى المشاكل الكبرى في الجهود المرسلية في تلك السنوات، المنافسة بين الأنظمة الكنسية المختلفة. ولكي يوضع حد للمشاجرات، ولكي ينسق الجهد المرسلي تحت إدارة واحدة، كَوّن البابا جريجوري الخامس عشر في سنة ١٦٢٢ المجمع المقدس لنشر الإيمان، الذي عرف باسم آخر هو «نشر الدعوة Propaganda». وقد عملت (*) هذه المؤسسة بسرعة كي توحد العمل في كل مجال، ولإرسال المزيد من المرسلين، ولتكوين أبرشيات جديدة وإلحاقها أيضاً بروما مباشرة.

وقد شجعت (البروباجندا) عملية تدريب ورسمات أساقفة وطنيين، وكافحت (وإن لم يصادفها النجاح دائماً) لفصل العمل المرسلي عن القوى الاستعمارية. وفيما يلي عينة من التوجيه الصادر إلى المرسلين في سنة ١٦٥٩.

«لا تحسبه فرضاً عليك، ولا تستخدم أى ضغط لإرغام الناس على تغيير سلوكياتهم وعاداتهم وممارساتهم إلا إذا كانت مضادة للدين والخلق السليم. ما أسخفه من عمل أن ننقل عادات فرنسا، وإسبانيا، وإيطاليا وبلاد أوروبية أخرى إلى الصين! لا تنقلوا هذا كله إليهم لكن فقط الإيمان الذي لا يحقر ولا يهدم الأساليب والعادات لأي شعب، الإيمان الذي يفترض دائماً أنهم ليسوا أشراراً، بل هو بالأحرى يريد أن يراهم مصونين آمنين. لا تثر تناقضات تهيج البغضاء والنفور بين عادات الوطنيين والأوروبيين. ابذل أقصى جهدك لتتأقلم معهم» (**)

ثانياً: الجهود البروتستانتية المرسلية المبكرة في القرنين الـ ١٧، ١٨

الكاثوليك ينتقدون البروتستانت

كما ذكرنا من قبل لم يهتم المصلحون بالإرساليات لأسباب مختلفة. والواقع أن

(*) هذه جذور الكلمة المستخدمة الآن بمعنى عام في لغات عديدة.

(**) Neill, op. cit. p. 179

الكاثوليك وجهوا اللوم إلى البروتستانت لفشلهم في هذا المجال. كتب «روبرت بيلارمين Robert Bellarmine وهو كاثوليكي في القرن الـ ١٦ يقول: «لم نسمع قط عن الهرطقة (أي البروتستانت) أنهم نُصروا وثنيين أو يهودا. لكنهم فقط أضلوا المسيحيين.» (★)

البروتستانت يدافعون عن أنفسهم

ودفاعاً عن أنفسهم ابتكر البروتستانت عدداً من الحجج، بعضها يستند إلى الكتاب المقدس: فقالوا إنه من أولويات الكنيسة أن تجدد الكاثوليك حيث أن الوقت الباقي قصير قبل مجيء الرب. فإذا كان للرب مختارون في أرض الوثن، فسوف يجد وسيلة لاسترجاعهم، وأن موارد الكنيسة محدودة وحاجتنا إليها ماسة. أما الإرساليات للوثنيين فغير عملية بسبب جهلهم وانخفاض مستواهم ومقاومتهم. كان من رأى ألماني يدعى «جوهان جيرهارد Johann Gerhard أن أمر المسيح بالكراسة بالإنجيل إلى العالم كله، قد انتهى بانتهاء عصر الرسل. ففي أيامهم قدمت هبة الخلاص لكل الشعوب، ولم تعد الحاجة إلى تقديم العطية مرة ثانية لأولئك الذين سبق أن رفضوها.

لكن على كل حال، كان هناك مَنْ سَلِمُوا بأن هناك مناطق جديدة شاسعة من العالم مفتوحة للاكتشاف والاستكشاف، كما كانت هناك دعوة واضحة للكنيسة أن تحمل الرسالة المسيحية إلى هناك.

الهولنديون في اندونيسيا

أقدم المرسلين البروتستانت إلى الشرق الأقصى دخلوا إلى اندونيسيا مع المستعمرين الهولنديين في سنة ١٦٣٥. وبحلول آخر القرن الـ ١٧ ادعوا بأنهم ربحوا . . . ر. ١٤ نفس للإيمان المسيحي. وتم ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة المالوية Malay Language في سنة ١٦٨٨. وكثفت الإرسالية الهولندية جهودها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

(★) Ibid, p. 221

تبشير أمريكا بالإنجيل

من أقدم الحقول المرسلية التي اعترفت بها الكنيسة الانجليكانية حقل «العالم الجديد في أمريكا». عندما منح الملك شارل الأول الوثيقة لمستعمرة «مساوشوستس Massachusetts» أضاف بياناً جاء به أنه يجوز للمستعمرين أن يكتسبوا أهل البلد ويدعوهم إلى معرفة الإله الحقيقي الوحيد ومخلص الجنس البشري، وإلى الدين المسيحي^(*). والواقع أن معظم المستعمرين كانوا مرسلين ضعفاء. كان اهتمامهم يتركز على مصالحهم الشخصية، وكانوا يناصرون الهنود الأمريكيين العداء كما كان هؤلاء يقابلونهم بالمثل. ولأن الأجانب امتلكوا أسلحة نارية، كانوا غالباً قادرين على تشتيت الهنود، وقلما اهتموا بهم بعد ذلك.

جون إليوت مرسل إلى الهنود الأمريكيين John Eliot

لكن، كان هناك خادم مشيخي رأى أن من واجبه أن يبشر الهنود-ذلك هو جون إليوت (١٦٠٤-١٦٩٠) الذي تعلم إحدى اللغات الهندية. والذي قام في سنة ١٦٥١ ولأول مرة بمراسم العماد وأوجد مستوطنات منفصلة يعيش فيها المعمدون الجدد، كما كان هناك عدد من الشبان الذين يدرسون على الخدمة المسيحية. وفي سنة ١٦٧١ أمكن إحصاء حوالي ٣٦٠ هندي مسيحي، وأعد جون إليوت، قمشياً مع العادات الهندية، للاتفاق على أنه: «بمعونة نعمة الله لنا عزمنا أن نقدم أنفسنا وأبناءنا لله، لنصبح شعبه وهو يسود علينا في كل أحوالنا، ليس فقط في أمور ديننا وشئون الكنيسة، بل أيضاً في كل أشغالنا ومساائلنا الدنيوية». (**)

إليوت يترجم الكتاب المقدس

كان أعظم إنجاز لجون إليوت هو ترجمة الكتاب المقدس إلى اللهجة الموهيكية الهندية Mohican Indian Dialect. ولسوء الحظ لم يعد أحد باقياً على قيد الحياة يستطيع أن يقرأ ذلك الكتاب المقدس، لأن القبيلة الموهيكية تلاشت نتيجة الحروب بين الهنود والإنجليز، ولم تكن هذه المرة الأولى التي تصطدم فيها الكنيسة مع

(*) Ibid,p.225

(**) Ibid,p.225

أهداف القوى الاستعمارية.

الإرساليات الدفارية في الهند.

كان اللوثريون الدفاريون بين أول الكنائس البروتستانتية التي أظهرت اهتماماً بالإرساليات الخارجية حيث أرسلوا إلى الهند سنة ١٧٠٦. شاباً اسمه بارثولوميو زيغنبالج Bartholomew Ziegenbalg (١٦٨٢-١٧١٩). بدأ عمله بين «التاميل Tamils في ساحل جنوب الهند حيث سبق أن بشرهم أولاً» «زافيه» في القرن السادس عشر، وكانت أعظم مشكلة واجهت «زيغنبالج» هي العداء الذي واجهه من كل جانب، من الكاثوليك وطبقة البراهمة العليا، وكذلك من المجتمع الدفاري الاستعماري. وبالرغم من هذه المعارضات فلقد أدى عملاً ممتازاً ووضع معايير جديدة لاستراتيجية العمل المرسل، فأكد على أهمية تعليم القراءة والكتابة وأهمية سير الكنيسة والمدرسة كلاهما جنباً إلى جنب. ولهذه الغاية ترجم العهد الجديد إلى لغة التاميل الصعبة سنة ١٧١٤. ودرس زيغنبالج بدقة ثقافة الشعب وعقليته، حتى يمكن توصيل رسائله التبشيرية بصيغة يفهمونها. وأخيراً جاهد لتكوين كنيسة وطنية مستقلة براعيها وإدارتها المحلية. هكذا بدأت الكنيسة اللوثرية في جنوبى الهند.

رسائل زيغنبالج Ziegenbalg

من أعظم ما ساهم به «زيغنبالج» هو تدفق رسائله إلى الكنائس الأوروبية معبراً عن الاحتياجات والفرص في الهند. وكان لرسائله تأثير كبير في خلق الحماس المرسل في إنجلترا.

شوارتز في الهند

ربما كان أشهر المرسلين البروتستانت في القرن الثامن عشر هو «كرستيان فريدريك شوارتز Christian Friedrich Schwartz (١٧٢٤-١٧٩٨) الذي مع كونه ألمانياً إلا أنه كان مؤيداً من «الجمعية الإنجليكانية (الإنجليزية) لنشر الإنجيل في البلدان الأجنبية والتي (تأسست في سنة ١٧٠١). The Anglican Society for the Propagation of the Gospel in Foreign parts وخدم شوارتز لمدة ٤٨ سنة. وبسبب

أخلاقه المسيحية البارزة اكتسب احترام كل طبقات الشعب. وفى «تanjore بجنوبي الهند Tanjore» كَوْنُ كنيسة وطنية تضم ٢٠٠٠ شخص لكن بسبب انحسار الاهتمام فى الكنائس الأوروبية ضاع الكثير من عمل شوارتز فى السنوات التالية.

هانز ايجيد فى جرينلاند Hans Egede in Greenland

لكون الدانمرك دولة شمالية اهتم الدانمركيون بتأسيس عمل فى جرينلاند، إحدى أكثر الأماكن برودة على الأرض. سافر هانز ايجيد وزوجته وأطفاله إلى هناك فى سنة ١٧٢٢ ليعمل بين الاسكيمو. لكن ايجيد «شعر بإحباط تام لعدم تمكنه من الإلمام بلغة الاسكيمو الصعبة، ولذلك لم يصادف ايجيد وأسرته إلا نجاحاً ضئيلاً فى هداية الاسكيمو إلى المسيح، لكنهم عززوا مكانتهم عند هؤلاء الناس من أهل الشمال البسطاء بمواساتهم وخدماتهم للشعب دون أنانية أثناء وباء الجدري هناك. ماتت زوجة «ايجيد» نتيجة لجهودها الشاقة. وتقديراً من أهل جرينلاند لهذه العائلة عبروا عن امتنانهم فى هذه الرسالة البليغة:

«كنتم أكثر عطفاً علينا من عطفنا نحن بعضنا على بعض، أطعمتمونا عندما كدنا نهلك جوعاً، دفنتم موتانا الذين لولاكم لصاروا فريسة تنهشها الكلاب والثعالب والغربان، وأنتم... أخبرتمونا عن الله وكيف نصبح مباركين، حتى صار فى إمكاننا الآن أن نموت فرحين انتظاراً لحياة أخرى أفضل فى المستقبل.» (*)

الكتاب المقدس بلغة الاسكيمو

عاد بول ابن «ايجيد» الذى كان قد عرف لغتهم بعد بضع سنوات، فترجم الكتاب المقدس إلى لغة الإسكيمو وقوى الكنيسة الوطنية. أخيراً استمر العمل فى جرينلاند بواسطة المورافيين الألمان.

نجاح ضئيل فى القرن الـ ١٨

ما ذكرناه آنفاً هو أمثلة للجهود البروتستانتية للعمل المرسل فى القرن الـ ١٨، ويلاحظ أن هذه المحاولات كانت مشتتة ولم تكن أبداً منسقة. ولم يكن هناك

(*) Ibid, p. 236

حماس عظيم للإرساليات في معظم الكنائس الأم، وكثيراً ما لاقت معارضة علنية من الحكومات ومن المستعمرين. ويتعجب الإنسان كيف يمكن أن يتحقق أى نجاح على الإطلاق عندما نفكر في الجهل العام والإعداد الهزيل لمعظم المرسلين الذين بعثوا بهم. فكثيراً ما أرسل أشخاص دون أى تدريب لاهوتى سوى الفهم البسيط للكتاب المقدس. ويروى أن حملة من المرسلين سافرت إلى جزيرة «تاهيتى» بالمحيط الباسيفيكي سنة ١٧٩٦، وكانت مكونة من أربعة قسوس وستة من النجارين واثنين اسكافيين، واثنين من البنائين، واثنين من النساجين واثنين من الخياطين، وسروجى، وجناينى، وطبيب جراح، وحداد، وجزار الخ... وفى هذا المجال، كان الجزويت بثقافتهم المنظمة أفضل استعداداً من معظم البروتستانت للخدمة كمرسلين بين أناس ينتمون إلى ثقافات وحضارات غريبة.

موقف سلبي نحو أهل البلاد

وهناك كان قصور آخر في هذه الإرساليات المبكرة وهو التصرف السلبي النمطى تجاه سكان البلاد الأصليين إذ رأوهم أناساً جهلاء وفاسدين عاجزين عن التقدم نحو مستويات المدنية الأوروبية التى كانت مثالية في رأيهم، كتب «شارل جرانت Charles Grant» أحد المرسلين في سنة ١٧٩٧ يقول!

«لا نستطيع تفادى التسليم بأن في شعب الهند جنساً من البشر منحطاً دينياً يرثى له، لا يعرف عن الالتزام الأخلاقى إلا القليل، ومع ذلك فهم معاندون لا يكثرثون بما يعرفون أنه الصواب، ويسيطر عليهم الحقد والشهوات الفاسدة... ذوو مفاسد أخلاقية عامة، وغارقون في التعاسة برذائلهم» (*)

الاعتماد على المرسل

ويسبب هذا الموقف من جانب معظم المرسلين فإن الكنائس الوطنية كانت بطيئة جداً في النمو والتقدم، واعتقد المرسلون أنه كان من المستحيل أن يجدوا أناساً مؤهلين للخدمة المسيحية....

(*) Johnson, op. cit., p. 242

ولعدم وجود خدام مثقفين، وجدت الكنائس المستقلة حديثاً نفسها معتمدة على المرسل، وبسبب انعدام القيادة الوطنية وهنت عزائمهم عند موت المرسل أو انتقاله إلى حقول أخرى.

ثالثاً: القرن التاسع عشر (لغاية ١٩١٠)

العصر العظيم للإرساليات البروتستانتية

(أ) مقدمة

١- أسباب الزيادة فى النشاط المرسل

قوة البخار وتزايد الاستكشاف

هناك عدد من العوامل الخارجية التى سهلت وأنعشت النشاط المرسل فى هذه الحقبة، فكننتيجة للثورة الصناعية واختراع قوة البخار، استطاع المرسلون أن يسافروا إلى مسافات أبعد وفى وقت أسرع من أى وقت مضى. (كانت الرحلة من إنجلترا للهند بالبحر تستغرق ستة أشهر على الأقل إذا كانت الرياح موالية، أيضاً لما اندفع المستكشفون والمستعمرون إلى مسافات أبعد وأبعد فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، وجزر الباسيفيكى، أصبحت هذه الأراضى مفتوحة أكثر للتواجد الأجنبي. والأمم الأوروبية التى جاءت إلى هذه القارات إنما جاءت لتستقر وتدعم سيطرتها هناك. ولم تتباطأ الكنيسة عن ملاحقة الأحداث.

إلغاء تجارة العبيد

من الملاحظ أنه بإلغاء تجارة العبيد فى أفريقيا (فى أوائل القرن التاسع عشر) كان الأجنبى يلقى ترحيباً حذراً إذا استطاع أن يوضح أنه لم يعد يأتى ليخطف الناس.

إلهام النهضة الإنجيلية

أكثر من أى شىء آخر، أيقظت النهضة الإنجيلية الكنيسة فى القرن الـ ١٨ لتدرك الحاجة إلى انتشار الكرازة بالإنجيل فى كل أنحاء العالم، ذلك أن زينزندورف Zinzendorf والمورافيين الألمان، جون وسلى وأتباعه وآخرون كثيرون وفروا الخوافز

اللازمة لإرسال المزيد من المرسلين إلى البلاد الأجنبية.

جمعيات جديدة للإرساليات

أدى هذا الحماس الجديد إلى تكوين جمعيات لتجنيد، وتدريب، ودعم العاملين للخدمة الإرسالية. فتأسست « الجمعية المعمدانية الإنجليزانية » The English Baptist Society سنة ١٧٩٢. وفي سنة ١٧٩٥ تكونت «جمعية لندن الإرسالية» The London Missionary Society. وفي سنة ١٧٩٩ تكونت «جمعية الكنيسة الإرسالية» وفي أمريكا تأسس «مجلس الوكلاء الأمريكي» The American Board of Commissioners for Foreign Missions للإرساليات الأجنبية « سنة ١٨١٠، وفي سنة ١٨١٥ «إرسالية باسيل السويسرية» The basel Mission of Switzerland

ولقد ذكرنا هنا القليل فقط من أبرز المؤسسات التي أتت إلى الوجود لغرض واحد وهو دعم الإرساليات الأجنبية .

٢- تحسينات في استراتيجية العمل المرسل

التأكيد على التعليم والطب والتعريض

فيما ظل التركيز الأساسي لهذا المجهود الجديد منصباً على الكرازة ببشارة يسوع المسيح، طور المرسلون في ذاك الوقت برامج أكثر اتساعاً إذ أدركوا الأهمية العظمى للتعليم ليس فقط على المستوى البسيط للقراءة والكتابة، لكن على المستويات الأكاديمية الأعلى. وقد نبئت من بين هذه الاهتمامات أخيراً بعض الكليات والجامعات العظمى في العالم. كان تعليم البنات مشروعاً مرسلين رائداً في الكثير من الدول التي كانت تعتقد أن النساء لسن مستحقات ولا قدرات على التعلم. وظهر المرسل الطبيب أولاً استجابة لاحتياجات صحية حرجية. وسرعان ما تبع ذلك إنشاء المستوصفات والمستشفيات ومدارس تدريب الممرضات وكليات الطب. ثم ظهرت كليات للزراعة والتجارة والطباعة الصحفية. الخ. ونادراً ما كان يخلو مجال نشاط إنساني من إشراكه في خدمة الإنجيل.

النساء ومرسلات

من الجدير بالملاحظة أن زوجات المرسلين أصبحن الآن لأول مرة تعين مساعداً مع أزواجهن، كما تم تعيين غير المتزوجات أيضاً مرسلات، رغم كثرة المعارضة في بادئ الأمر إذ اعتقدوا أن هذا إهدار للمال حيث أن معظم الفتيات غالباً يتزوجن وتفقدن الخدمة)، لكن وجود نساء مرسلات الآن فتح فرصاً عديدة للخدمة بين النساء في الدول التي أرسلن إليها.

الحاجة إلى كنائس وطنية

كانت هناك أيضاً جهود أكثر جدية لتكوين كنائس مستقلة مكتفية ذاتياً. لم تكن المشكلة جديدة، بل وإلى هذا اليوم يلزم إيجاد حل شامل لها. فقد وجد أنه حتى بعد استقرار العمل بين أهل البلاد، كان من العسير جداً إعفاء معظم المرسلين من الخدمة حتى يمكن أن تصبح كنيسة، تلك التي كانت يوماً إرسالية. هذا المثل الأعلى وُضع أمام «جمعية الكنيسة الإرسالية» سنة ١٨٥٤ بواسطة «هنري فين Henry venn» الذي أعلن أن هدف كل إرسالية يجب أن يكون خلق كنيسة تحكم نفسها بمجلسها وتعتمد على نفسها في تنمية أعضائها ذاتياً. وعلى ذلك لا تكون بعد ثمة حاجة إلى وجود إرسالية أجنبية. وقد لقي هذا المبدأ القيادي قبولاً من المرسلين حول العالم. لكنه نفذ بصعوبة.

(ب) من سنة ١٧٩٢-سنة ١٨٥٨

بسبب اتساع النشاط المرسلّي اتساعاً عظيماً والأعداد الكبيرة للعاملين في هذا المجال، يجب أن يقتصر هذا الجزء من الدراسة على مناطق هامة معينة وعلى القليلين من أبرز الشخصيات.

١- الهند

وليم كاري يذهب إلى الهند William Carey

كان «وليم كاري» (١٧٦١-١٨٣٤) الرجل الذي يدعو «أبو الإرساليات الحديثة» معمداني، خدم كراع وإسكافي في قرية إنجليزية صغيرة. لكن لما قرأ كتابه المقدس ودرس تقارير المستكشفين عن دول أخرى في العالم، تولد فيه حماس عظيم

للإرساليات. وكتب «كارى» المسمى» بحث عن التزام المسيحيين باستخدام وسائل للإتيان بالأمم الوثنية إلى الإيمان» (١٧٩٢) كان حجة لاهوتية تاريخية، جغرافية تهيب بالكنيسة أن تعلن ملكوت المسيح فى قوته إلى أقصى الأرض، وكانت النتيجة أن تأسست الجمعية الإرسالية المعمدانية، وأبحر «كارى» إلى الهند سنة ١٧٩٣، وكثيراً ما اقتبس المرسلون شعار كارى الشهير. «جرب أشياء عظيمة لأجل الله، انتظر أشياء عظيمة من الله».

كان يلقى معارضة ويترجم الكتاب المقدس

واجه كارى صعوبات عديدة. فقد كانت «شركة الهند الشرقية الإنجليزية The English East India Company تقاوم المرسلين بسبب خوفها من أن تثير كرازتهم اضطرابات تعود بالضرر على أعمالهم، كما أصيبت زوجة كارى بمرض نفسى لازمها حتى الموت. وبدد أحد رفاق كارى معظم أموال الإرسالية بحماقة فى مشروعات لا ضرورة لها. وأخيراً اضطر كارى أن يشغل وظيفة مدير (مصبغة). على أن هذا العمل أعطاه فرصة أن يتعلم اللغة البنغالية لكن محاولته الأولى لترجمة العهد الجديد لهذه اللغة لم تصادف نجاحاً إذ لم تكن ترجمته مفهومة. لذلك عاود الكرة من الأول حتى أصبحت اللغة مقبولة من الشعب البنغالي.

استراتيجية كارى للعمل المرسل

بحلول سنة ١٧٩٩ وصل مرسلان آخران أقنعا كارى أن ينضم إليهما فى «سيرامبور Scrampore (الآن سيرامبور بالقرب من كلكتا شرق الهند) حيث كانت المعارضة أقل وهكذا بدأت شركة شهيرة لكارى مع «يشوع مارشمان» Joshua Marchman المدرس، و «وليم وارد William Ward مطبعجى، ووضع هؤلاء الثلاثة معاً (تحت رئاسة كارى) خمسة أهداف رئيسية للعمل المرسل:

- ١- الكرازة بالإنجيل بكل وسيلة وعلى أوسع نطاق.
- ٢- توزيع الكتاب المقدس باللغات المحلية.
- ٣- تأسيس كنيسة واستقرارها بأسرع ما يمكن.
- ٤- دراسة متعمقة فى خافية وفكر الشعوب غير المسيحية.

٥ - التدريب المبكر لخدام الدين من الوطنيين.

نجاح استراتيجية كاري

نفذت هذه الأهداف بنجاح كبير حيث تم التبشير بالإنجيل في المنطقة بأكملها بل وَجُمِلَ بعيداً حتى بورما. وخلال السنوات الثلاثين التالية طبعت ترجمات الكتاب المقدس في ست لغات. وتأسست كنيسة محلية بمعرفة المرسلين حيث أمكن أن يعمدوا فيها المهتدين الجدد. وأصدر كاري كتاب قواعد اللغة «السنسكريتية» Sanskrit (الهندية الفصحى)، وترجم وطبع الشعر بالهندية، ووضع كتاباً آخر من تأليفه عن أخلاق وعادات الهندوس. وتأسست سنة ١٨١٩ كلية سيرامبور (التثقيف الشباب الأسوي المسيحي وآخرين في الآداب والعلوم الأوروبية).

كاري، المرسل الرائد

مات وليم كاري في سنة ١٨٣٤، وكان لا يزال أمامه الكثير ليعمله، لكن جهوده الريادية عينت اتجاهات جديدة في الإرسالية، ليس فقط في الهند، لكن في حقول أخرى عديدة أيضاً.

هنري مارتن Henry Martyn

كان أشهر المرسلين في الموجة الجديدة بعد وليم كاري هو (هنري مارتن) (١٧٨١-١٨١٢) الذي إذ كان لا يزال طالباً في جامعة كامبردج، اجتاز اختباراً عميقاً، قرر بعده أن يصبح مرسلًا. وصل إلى الهند في سنة ١٨٠٦ معلناً اقتناعه الراسخ في قوله، «الآن دعوني أحترق في سبيل الله». وهذا في الحقيقة ما فعله إذ نقلًا أسلوب حياته عن الناسك «فرنسيس زافيه». ناكراً على نفسه حق التسلية والراحة المحتاج إليها، على حساب صحته. كان علامة في اللغات حتى أنه في أقل من سبع سنوات ترجم ونشر العهد الجديد باللغة الأردية Urdu، وهي الترجمة التي مازالت تستخدم حتى اليوم. كما أنه سافر أيضاً إلى بلاد فارس (إيران)، حيث عكف على ترجمات الكتاب المقدس إلى الفارسية والعربية ومات في سن الحادية والثلاثين، في رحلة عودته إلى إنجلترا محترقاً على حد تعبيره السابق.

أول مدرسة لاهوت هندية

تأسست أول مدرسة لاهوت فى الهند سنة ١٨٢٠ لتدريب الشبان للخدمة المسيحية بواسطة أول أسقف فى كلكتا، «وليم ف. ميدلتون William F. Middleton»

الكسندر دف مبعوث المشيخين الاسكتلنديين Alexander duff

بعث المشيخيون الاسكتلنديون فى سنة ١٨٣٠ بمرسى إلى الهند اسمه «الكسندر دف». وجه دف جهوده التبشيرية والتعليمية إلى الطبقة العليا فى المجتمع الهندى معتقداً بأن اهتمامهم إلى الإيمان، يكون له تأثير أوسع وأبقى على الآخرين. وقد تعمد أربعة شبان من المدرسة التى أسسها سنة ١٨٣٣. وعلى مدى ١٨ سنة، بلغ مجموع الذين قبلوا الإيمان المسيحى ثلاث وثلاثين بمجهود دف. لكنهم جميعاً كانوا شباناً ذوى مقدرة فائقة وأصبحوا مؤسسين لبعض أشهر العائلات الهندية والقادة فى الكنيسة والمجتمع، وعلى مثال دف تأسست معاهد أخرى فى أنحاء الهند.

جمعيات جديدة ترسل مرسلين

بحلول سنة ١٨٣٣ كانت بعض الكنائس من دول أخرى تبعث بمرسى إلى الهند. فتكفلت الكنيسة المصلحة فى أمريكا بجون اسكادر Johh Scudder ومن سلالته فى القرن العشرين، الدكتورة ادا اسكادر Dr. Ida Scudder التى أسست المركز الطبى التدريبى الشهير للنساء فى «فيلور Vellore». وبدأ المشيخيون الأمريكان العمل فى البنجاب فى نفس الوقت. وخدم هناك «شارل فورمان Charles W. Ferman» مدة أربعين سنة. وأعطى اسمه للكلية العظيمة فى لاهور Lahore (الآن فى باكستان) وتكفلت إرسالية Basel باسيل فى سويسرا بمرسى يدعى «صموئيل هيبك» Samuel Hebich. ومع أن هيبك كان قليل الإلمام باللغة الإنجليزية، فقد صادف نجاحاً مرموقاً وهو يركز للجنود الإنجليز الذين كان عددهم كبيراً فى الهند فى ذلك الوقت.

وبحلول سنة ١٨٥١ كان عدد المرسلين هناك يقدر بحوالى ٦٠٠ فى كل الهند، ولو أن معظمهم فى المناطق الساحلية. وكان المسيحيون الهنود حوالى ٩١٠٠٠ كان منهم ١٤٠٠ فقط هم الذين يتناولون العشاء الربانى.

تمرد الجيش الهندي

حدث تمرد جنود «سيبوي Sepoy» في الجيش الهندي سنة ١٨٥٧ إذ بدأ بإشاعة مفادها أن لدى القوة الاستعمارية خططاً لتحويل كل الهند عنوة إلى المسيحية. وقد أخمد التمرد ولو أنه تم فقدان أرواح كثيرة من بينهم ٣٨ مرسلًا. وفيما تفكك عمل الكنيسة بعض الوقت، إلا أنها استطاعت بسرعة أن تعاود نشاطها حتى حققت نجاحاً أعظم.

٢- الصين

الصين محظورة على الأجانب

كانت الصين في القرن التاسع عشر دولة يكاد يكون من المستحيل على الاجنبي دخولها. فقد رفضت الكاثوليكية الرومانية، ولم تفتح أبوابها للبروتستانت حتى اللغة الصينية كان محظور تعليمها للأجنبي. إلا أنه كان مسموحاً للأجانب أن يقيموا في مدينة «كانتون» Canton (الآن «جانب زهو» Guangzhou على ألا يسافروا إلى داخل البلاد.

روبرت موريسون Robert Morrison

لذلك كان أول مرسل أمريكي بروتستانتي هو روبرت موريسون (١٧٨٢-١٨٣٤) الذي وصل إلى كانتون سنة ١٨٠٧، قال له صاحب السفينة التي أقبل عليها، «هل حقيقة تتوقع يامستر موريسون أن تضع بصمة على وثنية الإمبراطورية الصينية العظيمة؟» أجاب موريسون «لا ياسيدي، لكنني اتوقع أن الله يفعل ذلك.» (*) وفي الصين لم يغادر موريسون مدينة كانتون، وعلى أي حال كان موريسون عالم لغات من الدرجة الأولى، وكرس نفسه ليتعلم اللغة الصينية.

(*) Kenneth Scott Latourette, A History of the Expansion of Christianity, Vol. Vi, the Great century, A.d. 1800-1914, Harper and Brothers, New york & London, 1944,p.297

وبحلول سنة ١٨١٣ كان قد ترجم العهد الجديد، وفي سنة ١٨١٩، العهد القديم. كما أصدر قاموس اللغة الصينية. وكانت هذه النجاحات جديرة بالاعتبار بالنظر إلى شدة صعوبة اللغة الصينية. وقد كتب أحد زملاء موريسون في وقت لاحق، «اكتساب اللغة الصينية عمل يحتاج إلى رجال ذوي أجسام من نحاس ورئات من صلب، ورؤوس من سندان، وعيون النسر وقلوب الرسل، وذاكرة الملائكة، وحياة متوشالح». (*)

أول كلية مسيحية للصينيين

ورغم أن موريسون لم يعمد أكثر من عشرة أشخاص أثناء خدمته، إلا أنه استطاع أن يؤثر تأثيراً بالغاً في صينيين آخرين يعيشون خارج بلدهم في أجزاء مختلفة من آسيا. وفي سنة ١٨١٨ أسس موريسون كلية «ملقا الإنجليزيتية-الصينية The Anglo-Chinese College of Malacca وملقا (جزيرة في المحيط الهندي شمال سومطرة).

معاهدة نانكين Nanking وفرص جديدة

نشبت الحرب بين الصين وإنجلترا في سنة ١٨٣٩ وانتهت سنة ١٨٤٢ بمعاهدة نانكين التي سمحت بمعاملة أكثر كرمًا للأجانب والإذن لهم بالإقامة في أربع مدن أخرى في الصين.. وأسرع المرسلون لاغتنام هذه الفرص الجديدة.

إيليا بريد جمان Elijah C. Bridgman

بدأ هناك حينئذ النشاط المرسل الرافع المستوى. أرسل الميثوديون والمعمدان يون وفودهم، وكذلك المشيخيون الأمريكيان. وبناء على طلب موريسون أرسل مجلس الوكلاء الأمريكي للإرساليات الأجنبية، إيليا بريد جمان (١٨٠١-١٨٦١)، الذي وصل إلى كانتون في سنة ١٨٣٠ وافتتح بريد جمان مدرسة للأولاد وأصدر مجلة «المستودع الصيني» The Chinese Repository التي قدمت للكنائس الأم الأخبار عن تاريخ الصين وثقافتها وكذلك عن نجاح العمل المرسل.

(*) Neill, op. cit., p. 281

صعوبة ترجمة الكتاب المقدس

لم تجد جمعيات الطوائف المتنوعة العاملة في الصين صعوبة تذكر في تعاونها معاً. لقد كان هناك عمل يكفيهم جميعاً ويزيد. كان الاتفاق على ترجمة الكتاب المقدس من أعقد المشاكل، لأن اللغة الصينية فيها كلمات كثيرة للمعنى الواحد ومعان عديدة لكل كلمة، فالكلمتان «الله» و «الروح» كان الاتفاق على ترجمتهما مستحيلاً تقريباً. والكلمة «يعمد» كانت في الصينية تعنى فقط «التغطيس» الذى اغتبط له المعمدانىون دون غيرهم. أخيراً اتفقوا على وجوب أن توجد ترجمتان إحداهما لأصحاب الثقافة العالية من الصينيين، والأخرى لمن هم أقل منهم علماً.

كارل جوتزلاف Karl F.A.Gutzlaff

وضع كارل جوتزلاف (١٨٠٣-١٨٥١) التابع للإرسالية الهولندية خطة تبشير داخلية لبلاد الصين، بعيداً عن المدن المركزية. فوجد فريقاً كبير العدد من رجال الصين وأعطاهم إرشادات أولية في المعرفة الكتابية واللاهوتية، وبسرعة رجعوا بتقارير عن رحلاتهم إلى كل المقاطعات الصينية. قالوا إنهم وزعوا الكتب المقدسة ورتبوا أمكنة للاجتماع. لكن سرعان ما اتضح أن «جوتزلاف» كان ضحية الخدعة- فقد كان معظم عماله «المؤمنين» إما مجرمين أو مدمنى مخدرات. وكانت تقاريرهم ملفقة. قليلون جداً منهم سافروا أبعد من هونج كونج، وبدلاً من ذلك استولوا على نقود جوتزلاف وأنفقوها على أنفسهم. أخذوا الكتب المقدسة التى كان قد أعطاها لهم جوتزلاف وأعادوا بيعها للمطابع التى بدورها باعتها مرة أخرى لجوتزلاف. لكن من الناحية الأخرى كان بعض عماله أمناء. وغرست البذرة حيث لم تتواجد الكنيسة قط من قبل وفتحت مناطق الصين الداخلية أمام العمل المرسل. وقد قال هدرسون تايلور (Hudson Taylor)- المرسل العظيم فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر إن جوتزلاف هو صاحب الفضل فى وضع الأساس للعمل اللاحق لإرسالية داخل الصين . The China Inland Mission

تمرد ال تاى بى إنج The Ta'i Ping Rebellion

كان تمرد ال «تاى بى. إنج» «حدثاً غريباً آخر فى تاريخ الإرساليات المسيحية فى الصين، فبعد أن قرأ شخص يدعى «هانج سوشوان hung hsiu-Chu'an شيئا" من

الأدب المسيحي، نظم جمعية تسمى «عابدو الله الحقيقيون» The True Worshippers of God حافظت هذه الجمعية على بعض الممارسات المسيحية مثل «العماد وحفظ السبت ماعدا العشاء الرباني». إلا أن ما لديها من معرفة الإيمان المسيحي كان ناقصاً ومشوشاً. في وقت ما بين سنة ١٨٤٦-١٨٥٣ حولت الجمعية نفسها إلى حركة تحريرية هدفها الإطاحة بحكم (مانشو Manchu) الفاسد. كان لديهم أهداف مثالية لإبادة الفساد وعبادة الأوثان وتجارة المخدرات. وبعد حرب دامية أطاحوا بمانشو وأتباعه وأقاموا سلالة ملكية جديدة، عائلة (تاي. بي. إنج) (ومعناها السلام) في نانكين. وكان «هانج Hung» ملكهم.

هل كانت حركة «تاي بي إنج» فرصة للإرسالية؟

اهتم المرسلون اهتماماً كبيراً بهذه الحركة الجديدة، وبالرغم من تجاوزاتها اعتقدوا أنها تحتوي على بذرة حقيقية للإنجيل. كتب أحد الأعضاء في جمعية لندن للمرسلين في سنة ١٨٦٠، يقول:

«ان حركة (تاي بي إنج) خلقت فراغاً، ليس فقط في المعابد لكن أيضاً في قلوب الناس، فراغاً يجب أن يملأ.. وأنا أعتقد تماماً أن الله سيقبض عبادة الأوثان من هذه الأرض عن طريق الثائرين، وأنه بواسطتهم وبالتحالف مع المرسل الأجنيبي، سوف يغرسون المسيحية في مكانها». (*)

سقوط تاي بي إنج

على أي حال، انحل نظام «تاي بي إنج» ولم يستطع البقاء واستردت جماعات الـ «مانشو» قواها تحت قيادة الضابط شارل جورج جوردن وأطاحت بمملكة «السلام العظيم» عام ١٨٦٢. إلا أن ثمة من يدعون أن حركة تاي بي إنج كانت فرصة ذهبية للإرسالية، إلا أنها للأسف لم تُستغل. إلا أن الرأي السليم يتفق مع فكر المؤرخ «لاتوريت» الذي قال: «كانت حركة تاي بي إنج، أولاً وأخيراً صينية النزعة، تباغت ببعض النتائج النافعة نتيجة اتصالها بالمسيحية. لكنها استمدت معظم

(*) Ibid, p. 287

معتقداتها وخصائصها من البيئة الصينية والنزعة الشاذة لقارتها.. ثم إن سوء الفهم التام لرسالة العهد الجديد هو وحده الذى أدى بهذه الحركة إلى تقديم تعاليم المسيح بهذه الصورة بالغة التشويه.

٣- بورما

دولة بورما

تقع دولة بورما شرقى الهند مباشرة بجوار تايلاند. وهى دولة ذات جبال ووديان وأحراش عديدة. وبينما معظم سكانها بوذيون إلا أن هناك أيضاً قبائل بدائية عديدة لها لغاتها وثقافتها الخاصة.

أدونيرام جلدسون Adoniram Judson يصل إلى بورما

أدونيرام جلدسون (١٧٨٨-١٨٥٠) هو أول مرسل بروتستنتى وصل إلى بورما سنة ١٨١٣. أرسله مجلس الوكلاء الأمريكى للأرساليات الأجنبية «الذى كان أغلب أعضائه من الطوائف المستقلة Congregational». وأثناء الرحلة البحرية وعن طريق دراسته للكتاب المقدس اقتنع جلدسون بموقف الكنيسة المعمدانية بالنسبة لسر المعمودية. فاستقال من مجلس الوكلاء الأمريكى، وعند وصوله مع زوجته إلى كلكتا عمدهما «وليم وارد William Ward زميل وليم كارى».

جلدسون يكرز فى بورما

عند وصوله فيما بعد إلى «رانجون Rangoon» فى بورما، كرس جلدسون نفسه لدراسة اللغة البورماوية. وأقام «كشك» فى أحد الشوارع فى رانجون كعادة المعلمين فى بورما وبشر عابرى الطريق. لم يصادف إلا تجاوباً قليلاً جداً. فقد قضى خمس سنوات قبل أن يعمد شخصاً واحداً. فى نفس الوقت كان جلدسون يعمل فى ترجمة العهد الجديد.

جلدسون فى السجن

فى سنة ١٨٢٤ انتقل جلدسون إلى مدينة «آفا Ava العاصمة، إلا أنه حدثت نكسة خطيرة لعمله بسبب الحرب بين الإنجليز والبورماويين وكأجنبى أشتبه فى أن

يكون جاسوساً وألقى به فى السجن، حيث أمضى ٢١ شهراً فى ظروف تعسة، ولولا عناية زوجته التى سمح لها أن تزوره لما مات جديسون. إلا أنه بما يؤسف له أن زوجته فارقت الحياة بعد إطلاق سراحه بوقت قصير.

جديسون يترجم الكتاب المقدس

لكن جديسون استمر فى عمله بأمانة بالرغم من ضعف صحته. وفى سنة ١٨٣٤ استكمل ترجمة الكتاب المقدس كله. ولما مات فى سنة ١٨٥٠، ترك مجموعة من كتب الأدب المسيحى وقاموساً للغة البورماوية. ومع أن أعضاء الكنيسة فى أيام جديسون كانوا قليلين جداً، فإن قصة كفاحه البطولى فعلت الكثير لتشجيع الاهتمام بالإرساليات خصوصاً بين المعمدانين.

جورج دانا بوردمان George Dana Boardman

تستمر قصة الإرسالية إلى بورما مع وصول معمدانى أمريكى آخر هو «جورج دانا بوردمان» (١٨٠١-١٨٣١). ركز بوردمان خدمته على «الكارنيين The Karens». وهم قبيلة بدائية تعيش فى التلال. كان الكارنيين أكثر تقبلاً للإلهجيل من أهل بورما الآخرين إذ أن بعض المعتقدات الخاصة بهم أعدتهم لسماع الرسالة المسيحية. فقد كانوا يعتقدون بأن الجنس البشرى سبق أن سقط من رعاية الله بسبب «خطية أصلية». كما اعتقدوا أيضاً أنهم فى يوم ما، منحوا كتاباً مقدساً وفقدوه بسبب إهمال أجدادهم. لذلك لما جاءهم بوردمان مبشراً بإياهم من كتاب مقدس ومقدمات غفران الخطايا بدم المسيح، رحب كثيرون منهم بالرسالة تحقيقاً لتقليدهم الخاص.

كوتا بايو مرسل إلى مواطنيه Kotha Byu

عاش بوردمان خمسة أعوام فقط بعد وصوله عند «الكارنيين» فى بورما. لكنه أنجز عملاً عظيماً عندما ربح مواطناً إلى الإيمان المسيحى كان اسمه «كوتا بايو» الذى ذهب إلى كل مكان وسط شعبه، منادياً بالبشارة المسيحية. وكان يبشر بقوة وحماسة جعلت المئات والألوف يهرعون لسماعه. فتدرب القادة وانتظمت الجماعات

للعبيادة. وبحلول سنة ١٨٥٦ بلغ عدد الأعضاء فى الكنيسة الفتية ١١٨٧٨ ر ١١ عضواً، ويمكن القول إن كنيسة «كارين» كانت الأولى فى كل آسيا التى أصبحت مستقلة تماماً.

٤- جنوب الباسفيك

كوك يكتشف جزر الباسفيك Cook

اكتشف جزر الباسفيك واستكشفها الكابتن «جيمس كوك» James Cook (١٧٢٨-١٧٧٩) فى أواخر القرن الثامن عشر. هناك جزر صغيرة كثيرة تغطى مساحات شاسعة. اكتشف كوك ورفاقه أن الشعب هناك كان يتميز بالمرح والكرم. لكن مجتمعهم لم يخل من الفساد والعنف والحروب المستمرة. وفى معظم الأحيان كانت القبيلة تحتفل بالنصر فى المعركة بوليمة يأكلون فيها لحم أجساد المهزومين. وقد علق أحد الكتاب على ذلك قائلاً:

هناك ارتفعت عملية أكل لحوم البشر إلى درجة الطقوس الدينية والعادات فالرجل الذى التهم أكبر عدد من الكائنات البشرية كان كبير قومه فى النظام الاجتماعى، واعتادوا أن يضعوا علامات لهذه الإنجازات الصغيرة السارة، بأحجار تذكارية. كان لرئيسهم الأعظم راندروندر «Ra Undreundre» ٨٧٢ من هذه الأحجار أقيمت للدلالة على بسالته. (*)

إرساليات إلى «تاهيتى وتونجا» Tahiti and Tonga

أرسلت «جمعية لندن الإرسالية» أوائل المرسلين إلى جزر تاهيتى وتونجا فى سنة ١٧٩٦، ولقد قتل ثلاثة من هذا الفريق على الفور، وهرب الباقون إلى استراليا. لكن مرسلين غيرهم جاءوا ليحلوا محلهم. ومع أن ملك تاهيتى لم يضطهد المرسلين، إلا أنه قاوم الرسالة المسيحية تماماً، أما ابن الملك، «بومير Pomare» بعد موت أبيه سنة ١٨١٢، وعلى عكس المنتظر، طوَّح بأصنامهم، وطلب أن يعمد ويصير مسيحياً. وأمر هذا الملك ببناء كنيسة كبرى وعلى مثاله سار معظم أفراد شعبه وتعمدوا. وفى سنة ١٨٣٨ صدر الكتاب المقدس كاملاً فى اللغة

(*) Ibid, p. 296

«التاهيتية».

جون وليمز John Williams

أشهر المرسلين الرواد إلى جنوب الباسفيك كان «جون وليمز» (١٧٩٦-١٨٣٩) الذى بدأ عمله فى «جزر الجمعية» "the Society Islands". لكنه سرعان ما بدأ يزور أماكن أخرى كثيرة فى المنطقة، وتمكن فى سنة ١٨٣٤ من أن يرسل تقريراً بأنه لم يترك مجموعة من الجزر فى مساحة نصف قطرها ٢٠٠٠ ميل دون أن يقوم بزيارتها، وكان وليمز من أبعد الناس نظراً إذ تبين له أن التبشير للتغيير إلى الإيمان المسيحى لا يمكن إنجازه بالعدد القليل من المرسلين الإنجليز والأمريكيين الموجودين معه. لذلك شرع فى إعداد مبشرين وطنيين لهذه المهمة. كان وليمز يعين هؤلاء المبشرين فى الجزر البعيدة ويتركهم ليكرزوا وقيموا كنائس، مدعومين بصلوات أصدقائهم وقوة الروح القدس. وبالرغم من الصعوبات العظيمة، وضعت البذرة ونمت الكنائس حتى أن المسيحية اليوم وطيدة الأركان فى جزر عديدة فى جنوب الباسفيك.

جزيرة ساموا تصبح مسيحية Samoa

دخل جون وليمز جزيرة «ساموا» فى سنة ١٨٣٠ ومعه ثمانية مدرسين من «تاهيتى». وكان نجاحهم سريعاً، وفى مدى جيل واحد صار معظم سكان «ساموا» مسيحيين. وهؤلاء بدورهم بعثوا بمرسلين إلى جزائر أخرى عديدة فى جنوب الباسفيك. وقد كتب اللاهوتى «بت فان دوسن Pit Van Dusen يقول: «من العسير أن نجد شعباً آخر على سطح الأرض بالنسبة إلى عدد أفرادهم، قدم كل هؤلاء المرسلين إلى الكنيسة أو دفع مثله ثمناً غالياً فى التضحية والاستشهاد. إنهم فى وطنهم لم يكتفوا فقط بتشديد وصيانة كنائسهم ومدارسهم ومعاهدهم الأخرى، لكنهم تحملوا أيضاً إعالة المرسلين الضيوف، وبانتظام كانوا يدعمون عمل كنائسهم المنتشرة فى العالم» (*).

(*) Ibid, p. 299

استشهاد جون وليمز.

جاء ختام العمل العظيم لجون وليمز قبل الأوان فى سنة ١٨٣٩ وأثناء زيارته لـ «ايرومانجا» Erromanga إحدى جزر سليمان، ضُرب هو ورفيقه بالهراوات وطُعِنوا بالسهام والرماح حتى الموت وأكلت لحومهم بعدئذ فى وليمة غداء كما مات ثلاثة مرسلين آخرين فى وقت لاحق بنفس الطريقة، وهذا أيضاً ما حدث لبعض المدرسين الوطنيين. ولم تتحول الجزيرة إلى المسيحية إلا فى القرن العشرين.

نهضة فى جزر فيجى Fiji

كانت جزر «فيجى» من أكثر جزر جنوب الباسيفيك تقدماً. إلا أن شعبها ظل لسنوات عديدة يقاوم الإيمان المسيحى، وفجأة فى سنة ١٨٤٥ اندلعت نهضة عظيمة وتحول كثيرون إلى الإيمان المسيحى. وسرعان ما قبل الملك «تاكومباو» Tha-koumbau الإنجيل، مما أدى إلى أن يصبح كثيرون آخرون من أفراد الشعب، مسيحيين.

أسباب قبول المسيحية

وأسباب هذا التغيير القلبي القومى يلخصها «ك» لاتوريت K.S. Latourette على النحو التالى:-

«عزز انتصار المسيحيين فى الحرب عملية تغيير الإيمان، لأن نتيجة المعركة أثبتت أن الإله المسيحى، أقوى من الآلهة القديمة.. وقد اعتنق أحد رؤساء القبائل الدين المسيحى لأن صلوات الكهنة غير المسيحيين فى وقت الجفاف فشلت فى أن تأتى بالفرج، لكن المطر هطل بغزارة أثناء العبادة المسيحية يوم الأحد. وحالات شفاء المرضى على أيدي المرسلين والمدرسين المسيحيين ربحت بعضاً منهم كما نسب أحد الكهنة القدامى تحوله إلى المسيحية، إلى حلم رأى فيه إلهه الوثنى راکعاً على الأرض أمام إله المسيحيين، يبدو أن بعض أهل جزيرة «فيجى» اقتنعوا بإخلاص أن حياتهم الماضية كانت شريرة وأنهم كانوا فى حاجة إلى التوبة والخلاص».(*)

(*) Latourette, op. Cit., Vol. V, P. 223

تغييرات فى مجتمع «الفيجيين» Fijian Society

جرت التغييرات فى المجتمع «الفيجى» بطريقة درامية فقد انحسرت حروب القبائل، وانتهت عادات أكل لحوم البشر، وألغى تعدد الزوجات، وتوقفت عادة قتل الزوجات عند موت أزواجهن، وتمت ترجمة الكتاب المقدس، وأنشئت المدارس، وأخيراً أقيمت مدرسة اللاهوت، وعلى مثال جزيرة «ساموا، سارع الفيجيون بإرسال مرسلين إلى جزر أخرى.

٥- أفريقيا

القارة المظلمة

حتى منتصف القرن التاسع عشر كانت أفريقيا معروفة بالقارة المظلمة. لقد رسمت خرائط لسواحلها وأقيمت هناك مستعمرات، لكن داخلها كان لغزاً غامضاً. وعندما حرمت تجارة العبيد فى سنة ١٨٠٦، قام الأسطول البريطانى بحراسة الساحل لمنع مثل هذا النشاط. ومع الأسطول جاءت أيضاً بواخر تجارية سعباً وراء فرصة لأعمال تجارية مشروعة. وبهذه الطريقة بدأت القارة السوداء تنفتح أمام المرسلين الكنسيين

اهتمام الجمعيات المرسلية بأفريقيا

بالرغم من المخاطر والصعاب العديدة، كان الاهتمام عظيماً من ناحية الجمعيات المرسلية. وفى سنة ١٨٠٤ بعثت «جمعية الكنيسة المرسلية»-The Church Missionary Society إلى سيراليون "Siera Leone" وتبعهم المعمدانىون فى سنة ١٨١١. وفى الأيام السابقة كان الموت بأمراض المناطق الحارة يحصد الكثيرين. فخلال السنوات العشرين الأولى، فقدت «جمعية الكنيسة المرسلية» C.M.S. أكثر من خمسين رجلاً وامرأة. وفى سنة ١٨٢٨ بدأت مرسلية باسيل The basel Mission (بسويسرا)، لكن ثمانية من تسعة مرسلين ماتوا بحمى الملاريا فى خلال ١٢ سنة.

توماس بيرش فريمان Thomas Birch Freeman

من بين أنجح المرسلين، كان الميثودىست توماس برش فريمان الذى استطاع أن

يبقى على قيد الحياة فى غانا Ghana بينما كان آخرون قد ماتوا، وكان ابناً لأب من غرب الهند وأم إنجليزية. اشتهر بنشاطه ومقدرته على اكتساب ثقة الأفريقيين. وبين سنوات ١٨٣٤، ١٨٤٤ تمت الكنيسة التى أسسها بسرعة وذلك لاستخدامها مبشرين علمانيين أفريقيين.

صموئيل أدجاي كروثر Samuel Adjai Crowther

أحد أكثر المرسلين الأفريقيين تأثيراً كان صموئيل أدجاي كروثر (١٨٠٦-١٨٩١) وفى طفولته أنقذ كروثر من سفينة للعبيد وأخذ إلى إنجلترا ليتعلم هناك ثم أرسل أولاً كمرسل إلى «سيراليون»، لكنه فى سنة ١٨٤٤ ذهب إلى نيجيريا حيث أمكنه أن يعمد أمه وأخواته اللواتى انفصل عنهن لمدة ثلاثين سنة. ثم شرع فى إعداد كتاب قواعد اللغة «اليوروبية The Yoruba Language» وترجم جزءاً من الكتاب المقدس إلى تلك اللغة. وبعد فترة رُسم أسقفًا للنيجر Ni-ger، حيث أسس كنيسة قام بخدمتها بالكامل أكليروس من الأفريقيين.

جورج شميدت George Schmidt

فى جنوب أفريقيا كانت قد جرت محاولة سابقة للتبشير بالإنجيل وريح النفوس بواسطة المورافيين بين سنوات ١٧٣٧، ١٧٤٤. وقد عمل جورج شميدت (١٧٠٩-١٧٨٥) بين «الهوتنتوت» "the Hottentots"، وريح قليلين للمسيح إلا أنه أرغم على مغادرة البلاد لأن رجال الاكليروس التابعين للكنيسة الهولندية المصلحة التى أسست مستعمرة رفضوا الاعتراف برسامته. لكن بعد خمسين سنة عاد المورافيون وذهلوا لما اكتشفوا أن إحدى السيدات الهوتنتوت التى سبق أن عمدها شميدت كانت مازالت تحمل كتاب «العهد الجديد» الذى أعطاه لها شميدت.

جون تيودور فاندركمب John Theodore Vanderkemp

فى سنة ١٧٩٩ أرسلت «جمعية لندن المرسلية» طبيباً هولندياً، هو جون تيودور فاندركمب (١٧٤٧-١٨١١). ليعمل هو ورفاقه بين قبائل «البيجميين The Pyg-mys والهوتنتوت» Hottentots «والبانتوس» Bantus وإذ وجد أن الهوتنتوت هم

الأكثر تقبلاً ومعنوياتهم محطمة بسبب الضغط من الاستعماريين البيض، ركز جهده عليهم.

فأقام لهم مدينة يلجأون إليها على بعد نحو ٤٠٠ ميل من مدينة كيب تاون Capetown . وأتى كثيرون من الأفارقة ليعيشوا ويعملوا هناك. ومات «فاندر كامب» سنة ١٨١١، بعد أن وضع أساساً صالحاً استطاع مرسلون آخرون أن يبنوا عليه.

جون فيليب John Philip

فى سنة ١٨٢٠ أرسلت جمعية لندن المرسلية «جون فيليب» (١٧٧٥-١٨٥١) الأسكتلندى الذى دعم العديد من الفرق الإرسالية بقيادة بارزة على مدى ثلاثين عاماً. أعظم ما اشتهر به هو عمله البطولى دفاعاً عن حقوق السود ضد الاستعماريين الإنجليز والهولنديين. فقد أصدر كتاباً هاماً شرح فيه مظالم البيض ضد السود. وكان فيليب مغرماً بالقول إن السود مساوون للبيض، ولو سنحت لهم الفرصة للتعليم لأتجزوا مقدار ما ألحزة البيض. وبسبب طرقه المعلنه كرهه الاستعماريون لكنه استمر لآخر حياته فى جهاده من أجل العدالة

روبرت موفات Robert Moffat

فى نفس الوقت تقريباً جاء أسكتلندى آخر هو روبرت موفات (١٧٩٥-١٨٨٣) واستقر وسط قبيلة «بيشوانا Bechuana» ومكث هناك مدة ٤٨ سنة. كان من قبل بستانياً (جنابى) فى إنجلترا، لذلك سارع فوراً فى إنشاء قناة لرى الصحراء وعلم الأهالى الشىء الكثير عن تحسين زراعتهم. كان مبشراً مكرساً لكن تبين له أنه لن ينجز إلا قليلاً ما لم يتعلم لغة البلاد، وهنا واجهته صعوبة لأن لغة الـ (بيشوانا) لم يسبق أن كان كلامها مكتوباً. فكان عليه أن يلتقط الأصوات أولاً ويخترع الرموز للأصوات، ويضع لها القواعد. ثم يجد كلمات بيشوانية ملائمة للغة الدينية، وقد اعتقد أن هؤلاء الناس ليس لديهم كلمة عن اسم (الله)، مع أن آخرين فيما بعد اكتشفوا أن مثل هذه الكلمة كانت موجودة على أى حال، فإنه بمجرد أن تعلم استخدام اللغة استخداماً صحيحاً، رأى موفات أن سلوك الناس قد تغير تماماً، إذ بدأوا يفهمون المعنى الحقيقى لرسالة الإنجيل، وحدثت نهضة وامت أول معمودية سنة

١٨٢٩. وعندما تقاعد موفاة سنة ١٨٧٠، كانت قد تكونت كنائس أفريقية عديدة، وكان يقوم بالخدمة فيها قسوس أفريقيون مدربون.

دافيد ليفنجستون David Livingstone

دُعِيَ دافيد ليفنجستون (١٨١٣-١٨٧٣) «أحد أعظم المرسلين وأكثرهم تأثيراً في تاريخ الجنس البشري».^(*) وقد اكتسب شهرة عالمية واسعة ليس فقط كمرسل بل أيضاً ككاتب، وشاعر، وعالم في اللغات، وأستاذ في العلوم، وطبيب، وجغرافي. جاء ليفنجستون من أسرة فقيرة في «بلانتير» "Blantyre" بإسكتلندا. وقد اشتغل في طفولته عاملاً في مصنع نسيج من السادسة صباحاً إلى الثامنة مساءً، لكنه كان متلهفاً على طلب العلم بحيث كان يأخذ كتاباً إلى المصنع ويسنده أمامه على آلة النسيج أثناء ساعات العمل. وفي سن السابعة عشر كان قد حصل على اختبار ديني عميق وقد وجهه روبرت موفاة للذهاب إلى أفريقيا سنة ١٨٤٠ (وكان من نصيبه فيما بعد أن يتزوج من ابنة موفاة).

ليفنجستون المستكشف

اشتغل ليفنجستون بعض الوقت في محطة «كورومان "Kuruman" التي أسسها موفاة. لكن سرعان ما شده خياله إلى «منظر الدخان الصاعد من آلاف القرى التي لم تسمع أبداً عن الإنجيل». فقام برحلتين عبر صحراء «كالاهاري "Kalahari" المقفرة مات خلالها أحد أطفاله. ومرة ثانية عجل برحلته إلى نهر «زمبيزي "Zambesi" واكتشف الشلالات العظيمة التي أطلق عليها اسم الملكة فكتوريا. وفي أثناء هذه الرحلة عبر القارة من الغرب إلى الشرق مستكشفاً مناطق لم تقع عليها عين رجل أبيض من قبل فكتب للجمعية المرسلية في لندن يقول، «ألا تستطيع محبة المسيح أن تحمل المرسل إلى حيث تحمل تجارة العبيد تاجر العبيد؟».

ليفنجستون المبشر بالإنجيل

كان لدى ليفنجستون عدة اهتمامات فقد احتفظ بمذكرات علمية دقيقة عن كل رحلاته. وكانت له موهبة خارقة في فهم الشعب الأفريقي. وكان يهتم بمصالحهم

(*) Latourette, op. Cit., V o l., P. 345

اهتماماً كبيراً، لكن مشغوليته الكبرى كانت الإنجيل، وكان أمله العظيم في أنه عن طريق الإنجيل يمكن أن يتحول الشعب الأفريقى إلى الإيمان بالمسيح. وقد عبّر ليفنجستون عن إيمانه بهذا الأسلوب الجميل.

«لا قيمة عندى، لا لشيء أمتلكه أو قد أمتلكه إلا بقدر صلته بملكوت المسيح. فلو أن شيئاً ما ينمى مصالح الملكوت فإنى أهبه أو أبقى عليه حسبما يؤدى الأمر إلى تعظيم وتمجيد ذاك الذى أدين له بكل آمالى فى الدنيا والآخرة».^(*)

ليفنجستون يُكرس لأفريقيا

لأن ليفنجستون اشتهر بأنه الرجل الذى فتح قلب القارة المظلمة علمياً وروحياً، فلقد غمروه بالتكريم والتقدير. وعندما وقف أمام جامعة كامبردج فى سنة ١٨٥٧ قال:

«أرجو أن أوجه انتباهكم إلى أفريقيا. أعلم أنى بعد سنوات قليلة سأقضى نحبى فى تلك البلاد المفتوحة حالياً والتى أرجو ألا تدعوها تغلق مرة أخرى، أنا عائد لأفريقيا لأحاول شق طريق مفتوح للتجارة والمسيحية. فهل تواصلون العمل الذى بدأتاه؟ أترك هذا لكم».^(**)

ليفنجستون وستانلى

عاد ليفنجستون إلى أفريقيا ليستمر فى استكشافاته وفى جهاده اللانهائى ضد تجارة العبيد. إرادته التى لا تقهر جعلته يمضى فى جهاده بالرغم من المرض وفقدانه زوجته الحبيبة. ولفترة ما، اعتقد الناس أنه مفقود، فأرسلوا صحفياً من إحدى صحف نيويورك يدعى هنرى م. ستانلى Henry M. Stanley ليجث عنه الأمر الذى نفذه مع كلمات التحية المألوفة، «أحسب أنك الدكتور ليفنجستون». وقد عملت تقارير ستانلى الكثير لانتشار شهرة ليفنجستون فى أمريكا وأثارت اهتماماً أعظم بالإرساليات الأفريقية. ونتيجة لذلك بعثت كل طائفة كبرى والعديد من الطوائف الصغيرة الأخرى. بمرسليها، وأسست مدارسها. فأضفت بذلك نوراً على

(*) Neill, op. cit., p. 315

(**) Ibid

القارة المظلمة.

وفاة ليفنجستون

مات ليفنجستون سنة ١٨٧٣ أثناء سعيه الجاد فى البحث عن روافد النيل ودفن خدامه الافريقيون الأوفياء قلبه فى قلب الأرض الأفريقية لكن جثمانه نقل إلى إنجلترا حيث يرقد الآن فى وستمنستر آبى Westminster Abbey (مدافن العظماء).

دافيد جونز فى مدغشقر David Jones in madagascar

تقع جزيرة مدغشقر الكبيرة الحجم على الشاطئ الشرقى لأفريقيا، فى سنة ١٨٢٠ أرسلت جمعية لندن المرسلية «دافيد جونز» لبدأ العمل هناك. ومع أن طفله وزوجته ماتا بسبب أمراض المناطق الحارة إلا أنه واصل الجهد فى عمله. رحب به الملك «راداما Radama» الذى لم يكن مهتماً بالدين المسيحى. لكنه اعتقد أن المرسل ربما يجلب من الغرب بعض المنافع المادية. فى هذا المناخ الذى ساهى التسامح استطاع جونز أن يربح نفوساً للمسيح حيث عمد ثمانية وعشرين شخصاً سنة ١٨٣١.

الملكة تضطهد المسيحيين

لكن الأمور انقلبت ضد الإرسالية فى سنة ١٨٣٥، حين بدأت الملكة «رانا فالونا Queen Ranavalone» حملة اضطهاد ضد المسيحيين المستجدين. فأمرت جنودها قائلة «اقبضوا على كل مسيحى تجدون، ويدون محاكمة قيدهم فى الأيدى والأقدام، واحفروا حفرة فوراً. ثم صبوا عليهم ماء يغلى وأدقنهم» (*) ويقدر عدد المسيحيين الذين قُتلوا بطرق متعددة بمائتى شخص، ألقى البعض من فوق الجبل، وآخرون أشعلت فيهم النيران حتى الموت. وهذا بيان من شاهد عيان يصف طريقة الإحراق: «استمر المذبذبون يصلون طالما بقيت فيهم أنفاس الحياة. ثم ماتوا فى وداعة وهدوء.. حقاً، لقد انطلقوا من هذه الحياة الدنيا فى سلام، وسط ذهول ودهشة كل من كان حولهم ممن شاهدوا عملية إحراقهم.» (**)

(*) Neill, op. cit., p. 318

(**) Ibid

الكنيسة تبقى حية بعد الاضطهاد

استمر الاضطهاد حتى سنة ١٨٦١ حيث ماتت الملكة. عندئذ حدث شيء عجيب. ذلك أنه من وسط الغابات والجبال حيث كان قد اختبأ المسيحيون، خرج الذين بقوا منهم على قيد الحياة. لقد قاسوا الكثير من الجوع والمرض. وكثيرون ضربوا وعذبوا إلا أنهم عادوا فظهروا كأنهم قد قاموا من الأموات. وعندما رحب بهم القليلون الذين هربوا من الاضطهاد بطريقة ما رغبوا جميعاً ترنيمة المصاعد: «عندما رد الرب سبى صهيون، صرنا مثل الحالمين» (مزمور ١٢٦: ١). واتضح أن إجمالي عدد المسيحيين صار أربعة أضعاف ما كان قبل الاضطهاد والسبب الرئيسي لهذه المعجزة أن المسيحيين كان في حوزتهم كتاب «العهد الجديد» بحسب لغتهم الخاصة. وعن طريق «كلمة الله» التي في أيديهم، تلقت أرواحهم التعزية واستمر التبشير بالإنجيل.

(ج) النصف الثاني من القرن التاسع عشر

١٨٥٨-١٩١٠

١- مقدمة

لقد تحدثنا عن النجاح المبكر للإرساليات في القرن التاسع عشر إلا أنه في النصف الثاني من ذلك القرن اكتسبت الحركة قوة دفعها العظمى. وفي حقيقة الأمر كانت مرات الفشل أكثر من مرات النجاح أثناء أيام الرواد الأوائل، لكن ضيق المساحة استلزم أن نركز على فرص النجاح، أما في النصف الثاني من القرن فقد استجدت الفرص وأتيحت في كل قارة تقريباً، وعلى الأخص بسبب الامتداد والتوسع في الاستعمار فقد اتخذت الصحوة الكبرى الثانية في إنجلترا وأمريكا الإرساليات الخارجية كمحور إشعاع مركزي، وكان لظهور أمثلة بارزة وضعها رجال مثل ليفنجستون تأثير سحري على شباب الكنيسة.

٢- علاقة الإرساليات بالاستعمار

التنسيق بين الإرساليات والاستعمار

كما أشرنا من قبل كانت هناك صلة بين الاستعمار والمجهود المرسل. فبعض المسيحيين فى تلك الحقبة لم يروا تناقضاً بين أغراض الفئتين، فكروا فى التاجر والجندي، والمرسل، كجزء من جهد عظيم لخير الإنسانية يعود بالنفع على الجميع. من المرسلين من كان يفكر بمنطق الاستعمار، وأحياناً كان المستعمر جندياً أو رجل أعمال يفكر بلغة المرسل، ودونها كاتب على النحو التالى:

«لقد أعطيت لنا المناطق البعيدة ليس لمجرد تحصيل مغانم سنوية منها، لكن لكى ننشر بين أهلها... النور والتأثير الحميد للحق، وبركة المجتمع الجيد التنظيم، وتقدم ورفاهية الصناعات النشطة... وفى كل خطوة تقدمية لهذا العمل، سوف نخدم أيضاً الخطة الأصلية التى جئنا بها إلى الهند، تلك الخطة ذات الأهمية الكبرى لهذه الأمة ألا وهى امتداد تجارتنا.» (*)

إعانة الحكومة للمدارس المسيحية

فى سنة ١٨٥٤ عندما اقترح أن تدعم الحكومة المدارس المسيحية فى الهند مالياً كان الغرض الذى أعلن هو:

أن ذلك سيقوى امبراطوريتنا... ولكن، حتى انتهى الأمر بأن نفقد تلك الإمبراطورية، فإنه يبدو لى أن هذه البلاد سوف تحتل فى تاريخ العالم مركزاً أفضل جداً وأعلى مقاماً، إذا تأسست -عن طريقنا- إمبراطورية هندية متمدينة ومسيحية، وهذا أفضل مما لو بقينا نحكم شعباً يذله الجهل وتخط من قيمته الخرافات.» (**)

وكأنما كانت هذه الكلمات نبوءة غير مقصوده، لأنه من المدارس والكليات التى أسسها المرسلون خرجت قيادات المستقبل للهند (غاندى، نهرو وغيرهما، اللذان قدر

(*) Johnson, op. cit. p. 446

(**) Ibid

لهما أن ينتهى الحكم البريطانى فى الهند على أيديهما ذات يوم.

ليفنجستون والمستعمرات الأفريقية

يستطيع المرء أن يقرأ هذا الموضوع فى فكر ليفنجستون، فلقد أرسل خطاباً سرياً إلى أحد أصدقائه يخبره عن مشروعاته المتعددة:

«كان لكل هذه التدبيرات والتحركات غايتها الظاهرية وهى أن تنمى التجارة الأفريقية وترقى بالمدينة، لكننى - إذ أثق فيك، لا أخفى عليك أننى آمل أن تسفر هذه التحركات عن مستعمرة إنجليزية فى المرتفعات الصحية لأفريقيا الوسطى» (*)

ومن بين أحلام ليفنجستون جاءت دولة روديسيا التى يسكنها . . . ر. ٢٥ من البيض وخمسة ملايين من السود، تحت حكم البيض، وبعد صراع طويل حصل السود على حقوقهم السياسية وأتت إلى الوجود دولة زمبابوى "Zimbabwe" سنة ١٩٨٠.

التجارة والإنجيل معاً

فى سنة ١٨٤٠ أثناء اجتماع متميز «لجمعية الكنيسة المرسلية» طالب الأسقف «ولبرفورس Wilberforce» بالآتى:

«يجب على كل سفينة محملة بالتجارة أن تحمل أيضاً منحة الحياة الأبدية، ولا يجوز فى أى مكان فى الأرض أن يتلقوا ويأخذوا فقط، بدون أن يعطوا فى مقابل ذهب الغرب وتوابل وعطور الشرق، الثروة الأعلى والأنفس-البخور المبارك لرائحة سيدهم المسيح» (**)

العنف فى كالا بار Calabar

فى بعض الأحيان أدت محاولة «تهذيب المواطنين» إلى العنف. فى سنة ١٨٤٩ حدث أن أحد المرسلين فى كالا بار (غرب أفريقيا) عندما صدمته عادات الأفريقيين الذين اعتبرهم شعباً وثنياً منحطاً، أن هاجم معبداً من مقدساتهم الدينية. فلما قام

(*) Ibid,

(**) Ibid, p. 448

المواطنون بمظاهرة ضد ما اعتبروه انتهاكاً لحرمة معابدهم، أقنع المرسل البحرية البريطانية أن تقصف البلدة بالقنابل قائلاً «إنى أعتبر الأمر تدخلاً من الله لصالح أفريقيا» وبسرعة استطاع المرسلون بمعاونة السلطات البريطانية، أن يفرضوا (تقديس) يوم الأحد بدقة على كل المنطقة.

الكاثوليك الفرنسيون فى شمال أفريقيا

بالمثل كان الكاثوليك أيضاً متأثرين بالتصرفات الاستعمارية. فقد اختبر «شارل لافيجيرى "Charles Lavigerie" (١٨٢٥-١٨٩٢) الأسقف الفرنسى رئيساً لأساقفة الجزائر، والمندوب البابوى لمنطقة الصحراء الكبرى Sahara الذى تمسك بشدة بالاعتقاد أن لفرنسا والكنسية دوراً هناك، وهو القائل:

«لقد اختار الله فرنسا ليجعل من الجزائر مهداً لأمة مسيحية عظيمة.. إن دولتنا تراقب... وأعين كل الكنيسة مركزة علينا» (*).

لافيجيرى بطريك قرطاجنة Lavigerie

رأى لافيجيرى نفسه فى دور بطريك قسطنطينى ينظم صرحاً إكليريكياً فى إمبراطورية أفريقية جديدة.

فبنى فى قرطاجنة كاتدرائية كبرى، وأقام فيها ضريحاً فخماً أعده ليوم وفاته، وعن طريق لافيجيرى نشأ نظام الرهبنة «للآباء البيض "The White Fathers" الذين كان غرضهم التبشير، لكن لما صادفوا نجاحاً قليلاً فى شمال أفريقيا أنتقلوا فيما بعد إلى داخل جنوب الصحراء الكبرى، والكاثوليكية فى شمال أفريقيا لا توجد فى الغالب إلا بين السكان الأوروبيين.

الاستعمار والرسالة المسيحية لا يتفقان

تبين بعض المرسلين عدم التوافق المتأصل بين الاستعمار والرسالة المسيحية. وفى فجر القرن العشرين بذلت جهود أكثر تصميماً لفصل الكنيسة عن التأثير السياسى، خاصة بواسطة الأمريكين الذين لم تكن لهم إمبراطورية استعمارية

(*) Ibid, p. 451

يدافعون عنها. ويجب أن يقال أيضاً إن سكان البلاد الأصليين غالباً أدركوا بأنفسهم أن أهداف المرسلين الخيرية الإنسانية منفصلة، إن لم تكن معارضة لأهداف السياسيين والتجار، وسنقدم المزيد عن هذا الموضوع فى فصل لاحق.

٣- اليابان

اليابان مفتوحة للأجانب

منذ أن طُرد أو أُعدم آخر المرسلين الكاثوليك فى القرن السادس عشر، توقف النشاط المسيحى فى اليابان، ولم يقدر له الانتعاش حتى أواسط القرن التاسع عشر بعد زيارة الضابط البحرى الأمريكى «ماثيو بيرى "Matthew Perry" حين تم توقيع معاهدات جديدة فى سنة ١٨٥٣ سمحت للأجانب من ذلك الوقت أن يقيموا فى اليابان. كما أتاح أيضاً حرية دينية محدودة لليابانيين أنفسهم.

عودة الكاثوليك

عندما وصل المرسلون الكاثوليك الأوائل إلى «ناجازاكي "Nagasaki" اندهشوا لما اكتشفوا وجود يابانيين مسيحيين قالوا بأنهم سلالة المهتدين الأوائل الذين ربحهم الجزويت فى أيام فرنسيس زافيه. ولسوء الحظ لما علمت الحكومة خبر وجود هذا المجتمع الصغير، قامت موجة جديدة من الاضطهاد بالرغم من احتجاجات القوى الأجنبية واستمر هذا الاضطهاد حتى سنة ١٨٧٣.

وطبقاً للقانون اليابانى فى ذلك الحين، كان الموت عقاباً للتحويل إلى المسيحية. ومع أن القانون لم يطبق دائماً بدقة، فإن إعلان الدستور الجديد بأن حرية العقيدة الدينية أصبحت قانونية لم يتم إلا سنة ١٨٨٩.

مرسل روسى أرثوذكسى

كان أحد أوائل المرسلين فى هذه الحقبة الجديدة كاهناً روسياً اسمه «نيكولاى "Nicolai"» والذي وصل فى سنة ١٨٦١ إلا أن الحرب الروسية-اليابانية فى سنة ١٩٠٤-١٩٠٥ عرقلت العمل، لكن فى سنة ١٩١٢ استطاع «نيكولاى أن يعلن عن مجتمع روسى أرثوذكسى عدده . . . ٣. شخص فى كل اليابان.

ج. س هيبيرن مشيخى J.C. Hepburn

أول المرسلين الأمريكيين إلى اليابان كان ج. س. هيبيرن، المشيخى (١٨١٥-١٩١١) الذى ألف قاموساً (إنجليزى- يابانى) وأتم معظم الاستعدادات اللازمة لترجمة الكتاب المقدس. وفتحت زوجته أول مدرسة للبنات فى اليابان، وأسس هيبيرن نفسه مدرسة فى طوكيو للشبان حيث قام بتدريس العلوم والطب.

ه. ف. فيريك المربى H.F. Verbeck

المربى

أحد أبرز المرسلين الجدد كان هيرمان فريدولين فيريك Herman Fredolin Verbeck (١٨٣٠-١٨٩٨)، الذى كفلته «الكنيسة المصلحة فى أمريكا The Reformed Church in America». كان فيريك رائداً فى التربية والتعليم، مؤسساً للمدرسة التى نمت فيما بعد وصارت «الجامعة الإمبراطورية "The Imperial University"» وأصبح مستشاراً موثقاً به لكبار موظفى الحكومة. ولما تقاعد قلده الإمبراطور وساماً.

التحول للمسيحية فى «سابورو Sapporo

فى سنة ١٨٧٦ دعت الحكومة اليابانية أمريكياً هو الدكتور و. س. كلارك Dr. W. S. Clark لكى يفتتح معهداً زراعياً فى «سابورو». وبالإضافة إلى كونه خبيراً زراعياً كان كلارك أيضاً مسيحياً ملتزماً. كان تأثيره مثمراً حتى أنه فى غضون السنة الأولى، طلب كل تلاميذ السنة الأولى أن يتعمدوا، وهؤلاء بدورهم أثروا على الفرقة التى جاءت بعدهم، وبعد ثمانى سنوات انطلقت عاصفة انتعاشية فى مدرسة «دوشيشا "The doshisha School in Kyoto"» فى «كيوتو» وتعمد ما لا يقل عن مائتى طالب، وحدث هياج تعطلت بسببه الدراسة بعض الوقت. وكانت هذه ظاهرة غير عادية فى اليابان حيث لم يكن الشعب بطبيعته يميل إلى التظاهر والإضراب.

نيشيما مرسل يابانى Neeshima

إنه أمر غير مألوف أن شخصاً يصبح مرسلأ لأهل جنسه فى وطنه. هذه كانت

الحالة مع «يوزورو نيشيما "Yuzuru Necshima" (١٨٤٣ - ١٨٩٠) الذي تصادف أنه قرأ في شبابه كتاباً مسيحياً، وفى تلهفه لمعرفة المزيد عن هذا الإيمان الجديد، هرب من اليابان، مع أن هذا كان محظوراً، وشد الرحال إلى أمريكا حيث تلقى التعليم الجامعى واللاهوتى وعاد إلى اليابان ١٨٧٤ بهدف تأسيس جامعة مسيحية. وبمساعدة الأصدقاء ووصول معونات مالية من الكنيسة الأمريكية أسس مدرسة «دوشيشا» المذكورة آنفاً، ومع أنه وجد بين أساتذتها بعض المرسلين، فقد تميزت «دوشيشا» بكونها مدرسة يابانية تحت قيادة «نيشيما». وتطورت فيما بعد لتصبح من أبرز الجامعات المسيحية فى اليابان.

يوشيمورا وحركة العبادة بدون كنيسة

ثانى قائد شهير للكنيسة اليابانية كان يوشيمورا Kanzo Uchimura فى القرن التاسع عشر (١٨٦١-١٩٣٠) وقد صار مسيحياً فى «سابورو»، تحت تأثير دكتور كلارك. وكان يعارض بشدة وجود الهيئات الكنسية الرسمية. لذلك نظم حركة الـ «موكى يوكاى The Mukyokai أو حركة (اللاكنيسة). وكما قال:

«الهيكل المسيحى الحقيقى، أرضيته تربة الله وسقفه قبة سمواته، مذبحة فى قلب المؤمن، ناموسه كلمة الله وروحه القدوس راعيه الوحيد.»^(*)

وإذا أظهر أى فريق من أتباع يوشيمورا اهتماماً بتنظيم كنيسة، كان يفض زمرتهم ويرفض السماح لهم بأن يجتمعوا.

يوشيمورا مدرسا للكتاب المقدس

اشتهر يوشيمورا كأستاذ عظيم لتدريس الكتاب المقدس حيث يبلغ عدد الحاضرين لسماع محاضراته ألف مستمع فى طوكيو. وأعظم تراث له كان اثنين وعشرين مجلداً تفسيرياً للكتاب المقدس باللغة اليابانية.

يومورا والكنيسة المتحدة Uemura

كانت تنمية القيادة اليابانية وتأسيس كنيسة يابانية هى أهداف «ماساكيزا

(*) Neill, op. Cit., p. 329

يمورا "Masakisa Uemura" . وقد أدت جهوده إلى تجميع كل المشيخيين تحت مظلة كنيسة المسيح المتحدة في اليابان The United church of Christ in Japan وبطريقة مماثلة انضمت الكنائس الأسقفية في الكنيسة الكاثوليكية المقدسة في اليابان.

ازدياد عضوية الكنيسة

تميزت ثمانينات القرن التاسع عشر بأنها فترة شهدت أعظم تقدم للكنيسة البروتستانتية في اليابان. في سنة ١٨٨٢ بلغ عدد الكنائس ٩٣ وأقل من ٥٠٠ عضو زادت في سنة ١٨٨٨ إلى ٢٤٩ كنيسة وأكثر من ٢٥٠٠ عضو، بالإضافة إلى ١٤ مدرسة لاهوتية و ١٠١ من مدارس أخرى، وزاد عدد المرسلين من ١٤٥ إلى ٤٥١.

قدّرت نسبة المسيحيين من سكان اليابان بأقل من نصف الواحد في المائة من تعداد السكان. لكن كان للمسيحيين تأثير ونفوذ أبعد كثيراً من نسبتهم العددية، وعلى الأخص بين قيادات الأمة. وفي عام ١٩١٢ اعتمدت المسيحية رسمياً كإحدى ديانات اليابان مع «الشنتوية والبوذية والكونفوشية Shintoism and Confucianism and Buddhism

٤- الصين

حرية المرسلين في الصين

حتى سنة ١٨٦٠ كان ممنوعاً على الأجانب أن يعيشوا ويعملوا في الصين سوى في مدن الموانئ ومع ذلك فقد سمح للمرسلين أن يمارسوا نشاطهم، وللصينيين أن يستمعوا ويستجيّبوا لبشارة الإنجيل. ومع ذلك فحتى سنة ١٨٦٥ لم يدخل المرسلون إلا إلى سبع مقاطعات فقط من مقاطعات الصين الـ ١٨.

هدسون تايلور Hudson Taylor

وإرسالية الصين الداخلية

تغير هذا كله بصورة مثيرة مع مجيء هدسون تايلور (١٨٣٢-١٩٠٥)، وإرسالية الصين الداخلية. وصل تايلور إلى الصين أول مرة سنة ١٨٥٣ تدعّمه

جمعية مرسلية بريطانية صغيرة، إلا أنه تبين أن هذه الجمعية عاجزة ومسرقة حتى أن تايلور استقال ورجع إلى إنجلترا وبدأ ينظم الحصول على الدعم من مختلف الطوائف والمذاهب.

مبادئ إرسالية الصين الداخلية

كان الأمل العظيم عند تايلور أن يصل إلى كل مقاطعات إمبراطورية الصين العظيمة حاملاً رسالة الإنجيل. ولكي يحقق هذا الأمل وضع بعض المبادئ الأساسية لإرسالية الصين الداخلية الجديدة: (١) يجب أن يقابل العاملون في الحقل المرسل بالترحاب من أي طائفة ما داموا يتفقون على قانون إيمان بسيط محافظ (٢) قبول المرسلين بدون تدريب جامعي (٣) يكون مقر المركز الإداري للإرسالية في الصين وليس في إنجلترا (٤) يرتدى المرسلون الزي الصيني ويتعايشون مع الشعب (٥) الغرض الأساسي للإرسالية هو في المقام الأول التبشير بالإنجيل (٦) بناء الكنائس، وتدريب القادة يمكن أن يتم فيما بعد..

نجاح إرسالية الصين الداخلية

واجه تايلور صعوبات عديدة، أهمها معارضة الإرساليات الأسبق التي لم توافق على سياساته لكن الاستجابة لندائه كانت رائعة. حتى قدم الكثيرون من المتطوعين الجدد للخدمة طلبات للعمل لدرجه أنه اضطر إلى رفض الكثير منها، وتحملت الكنائس لإرسال مبالغ مالية، مع أن تايلور أصر على أن شعبه لم يطلب أبداً مساعدة مالية، بل كان يلجأ فقط للصلاة، في سنة ١٨٨٢، كان قد أمكن زيارة كل مقاطعات الصين، استقر المرسلون في معظمها، كما تخلّى سبعة من العلماء البارزين في جامعة كمبردج عن مراكزهم ودخلهم المرتفعة لينضموا إلى إرسالية الصين الداخلية. في المدافن الأمريكية بمصر القديمة يرقد شاب اسمه «بوردين Bord-en من جامعة ييل Yale الذي مات هنا وهو في طريقه إلى الصين.» (*) وبحلول سنة

(*) الكلمات المنقوشة على الشاهد الحجري فوق قبره تقول «لا يوجد تفسير لمثل هذه الحياة إلا الإيمان بالمسيح.»

١٨٩٥ كان عدد المرسلين التابعين لإرسالية الصين الداخلية قد بلغ ٦٤١ أى أكثر من نصف المجموع الكلى للمرسلين فى كل الصين، وكان يوجد ٤٦٢ مساعداً صينياً و ٢٦٠ مركز مرسل.

الراعى «هوسى ينقل مدمنى المخدرات Hsi

بما أن إرسالية الصين الداخلية كانت بالأكثر معنية بالتوسع الجغرافى، فمن العسير أن نعرف كم من الوقت دامت نتائجها. ومع ذلك هناك قصص كثيرة عن حياة أناس تأثروا وتغيروا منهم عالم كونفوشيوسى يدعى «هوسى Hsi» فقد كل أمل فى الحياة وأصبح مدمناً للأفيون، اهتدى إلى الإيمان المسيحى على يد مرسل ميثوديسى، وشفى من إدمانه وبدأ يعمل فى إرسالية الصين الداخلية (C.I.M.) وكرّس حياته لينقل آخرين من مدمنى الأفيون، حيث أقام بيوتاً يأوى إليها المدمنون للعلاج، وحرم الراعى هوسى وزوجته نفسيهما من كل متعة فى الحياة فى سبيل الاهتمام بالعمل، مازالت الترانيم التى وضعها الراعى «هوسى» منتشرة فى الكنيسة الصينية

جمعية الشبان المسيحية تأتى إلى الصين

بدأت هيئات مرسلية أخرى فى الإسراع بالمجيء حيث كانت إرسالية الصين الداخلية قد سبقت وتقدمت الطريق ووضعت البذرة. بدأت جمعية الشبان المسيحية Y.M.C.A. بمركزها الرئيسى فى أمريكا وتحت قيادة «دوايت مودى» Dwight Moody "وجون موط John Mott (الذى سالتقى به مرة أخرى)، فى إرسال مرسلين إلى أبعد ما أمكن الوصول إليه فى الصين وبسبب تأكيد جمعية الشبان المسيحية-ليس فقط على الأوجه الدينية، بل أيضاً على جوانب الحياة الاجتماعية والرياضية والثقافية- انجذب إليها الكثيرون من الشبان البارزين وأنشئت المراكز وعُقدت المؤتمرات التى تحدث فيها أشهر الخطباء من أمريكا وإنجلترا وبعض الشبان الذين تأثروا ببرامج جمعية الشبان المسيحية شقوا فيما بعد طريقهم إلى المراكز القيادية فى البلاد.

تيموثى رتشارد Timothy Richard والطبقات العليا

على عكس برامج هدرسون تايلور الواسعة المدى، اهتم مرسلون آخرون بوضع

برامج أكثر تركيزاً لتدريب قيادات الأمة، واتباع هذه السياسة «تيموثى رتشارد» المعمدانى (١٨٤٥-١٩١٩). الذى عمل أولاً فى مشروع إسعاف ضحايا الجوع فى (شانتونج) Shantung (١٨٧٠) لكنه فى وقت لاحق حوّل انتباهه إلى الثقافة الصينية ولغتها، ومثل سلفه المشهور فى القرن السادس عشر «ماتيو ريكي» كان هدف رتشارد أن ينفذ إلى عقل الطبقة المثقفة الصاعدة بالمثل العليا المسيحية حتى يتغير فى النهاية المجتمع الصينى كله.

رتشارد يصدر مجلات أدبية

أصبح رتشارد مديراً لجمعية الأدب المسيحى Christian Literature Society التى أصدرت مجلتين تحتوى كل منهما على معلومات عامة وتعاليم مسيحية، وانتشرت هذه المجلات على نطاق واسع وأصبحت رائجة جداً بين الصينيين المثقفين. ولأن الصينيين فى هذه الحقبة كانوا قد عزلوا أنفسهم عن باقى العالم لعدة قرون، فقد نما عندهم جوع شديد إلى المعارف الغربية من كل الأنواع.

جامعات مسيحية فى الصين

وكان التعليم العالى حلاً آخر يراود رتشارد. اقترح على مجلس الإدارة الذى يدعمه أن تؤسس جامعة فى كل من المقاطعات الصينية الثمانية عشر ولما رفضوا أن يغامروا معه فى هذا المشروع المكلف استقال رتشارد ولجأ إلى المسئولين فى الحكومة الصينية للمساعدة، وتعاطفوا معه لكنهم أيضاً أعوزهم المال. وأخيراً وقرب نهاية مسيرته استطاع أن يفتتح جامعة فى مقاطعة «شانسى» "Shansi"، ثم انتقلت الفكرة عندئذ إلى جهات أخرى. فظهرت كلية أسقفية فى شنغهاى Shan-ghai وأخرى ميثودية فى نانكين Nanking وثالثة مشيخية فى كانتون Canton .

إستياء ضد المرسلين

عند نهاية القرن التاسع عشر كان مجموع عدد المرسلين الأجانب البروتستانت فى كل الصين حوالى ١٥٠٠. ووصل عدد الأعضاء المشتركين فى الكنائس الفتية إلى ٨٠٠٠٠. وكان المجتمع الكاثولىكى أكثر عدداً. وقد كان فى الصين أجانب آخرون، لكن المرسلين كانوا الأوسع انتشاراً. وعلى نطاق واسع اعتبروا رأس حربة للتسلل الأجنبى ومن ثم للسيادة الأجنبية ولسوء الحظ ساعد بعض المرسلين فى خلق

مشاعر سيئة ضدهم بتجاهلهم الثقافة والعادات الصينية فكانت الصفة الشائعة لأي إنسان ليس من أصل صيني أنه «شيطان أجنبي».

انتفاضة الملاكم The Boxer Uprising

من مثل هذه المشاعر وبتشجيع من الأمبراطورة العجوز خرجت الحركة المعروفة بـ «قبضات التناسق الصالحة» "The Righteous Harmony Fists"، وسميت فيما بعد «انتفاضة الملاكم»، وفي سنة ١٩٠٠ صدر مرسوم إمبراطوري من بكين يأمر بقتل جميع الأجانب فهرب كثيرون إلى خارج البلاد وحاول آخرون اللجوء إلى قنصلياتهم وسفاراتهم وحوصرت السفارات الأجنبية لمدة ٥٥ يوما. لكن المرسلين كانوا مشتتين في أنحاء المدن، محرومين من أي وسيلة لحماية أنفسهم. ومعروف أن ١٨٨ رجلاً وامرأة وطفلاً على الأقل من جماعات المرسلين ماتوا ولاقى مئات الصينيين المسيحيين الذين يفوقون الحصر نفس المصير، بعضهم عذبوا، أحد الرعاة الصينيين قطعوا حاجبيه وشفتيه وأذنيه، أما قلبه فانتزعوه وعرضوه على حشد من القوم الهاتفين الراقصين.

القوات الأجنبية تقمع انتفاضة الملاكمين

في خلال شهرين عبأت القوات الأجنبية من خارج الصين جيشاً أخمدت به «الملاكمين». وطلبت التعويضات عن فقد الأرواح والممتلكات، لكن مرسلين كثيرين خصوصاً التابعين لإرسالية الصين الداخلية رفضوا قبولها إثباتاً لتواضع المسيح ووداعته. وقد استخدم تيموثي رتشارد أموال التعويضات لبنى جامعته العظمى في «شانسي Shansi».

تجديد الصين بواسطة المسيحية

شهدت السنوات التي تلت «انتفاضة الملاكم» زيادة هائلة في النشاط المرسل وبنو الكنيسة، وبحلول سنة ١٩١٤ وصل عدد المرسلين البروتستانت وحدهم ٥٤٦٢،

ووصلت عضوية الكنيسة البروتستانتية إلى أكثر من ٢٥.٠٠٠ ر.، والكاثوليك أكثر من ١٤.٠٠٠ ر. لقد حدث انفتاح جديد للرسالة المسيحية. جاء في أحد التقارير أن كل الطلبة في المدارس المسيحية يطلبون أن يتعمدوا، وكان الناس يبحثون عن طريق جديد لأنفسهم ووطنهم». أين يمكن أن توجد القوة الروحية لتضع حياة جديدة في جسد الإمبراطورية القديمة الواسعة الأرجاء؟ (*) هنا حدث توافق في العمل على غير المعتاد بين القومية والحماس الديني. لم يكن السؤال الأساسي للإنسان الصيني «كيف أخلص»؟ بل بالأحرى «كيف يمكن أن تتجدد بلدي؟»

المثل المسيحية تلهم الثورة

أسفر تأثير الإرساليات المسيحية في الصين عن وجود أناس ذوي عقول راحجة وأخلاق رقيقة، وضمانات واعية اجتماعياً، ولديها استعداد للخدمة. ومع ذلك فإنهم لم يفقدوا شيئاً من ولائهم الوطني، فلما اندلعت ثورة ثانية بعد عشر سنوات، خلع الإمبراطور عن عرشه وأعلنت الجمهورية التي كان أول رئيس لها مسيحياً، هو سان يات سن "Sun-Yat Sen" والذي عندما سُئل «إلى أي شيء يعزو نجاح الثورة؟» قال:

«إلى المسيحية أكثر من أي سبب آخر. فبالإضافة إلى مثلها العليا للحرية الدينية، تأتينا المسيحية بمعرفة حرية الغرب السياسية، ومع هذه المعلومات تغرس في كل مكان تعليم المحبة والسلام. هذه المثل تتفق وطبيعة الصينيين وهي بالأكثر التي أحدثت الثورة وقررت طبيعتها السلمية». (**)

٥- كوريا Korea

لم نذكر كوريا سابقاً لأن المسيحية وصلت إلى هذه الدولة في وقت متأخر، والديانة الغالبة في كوريا هي «البوذية Buddhism» لكن يوجد أيضاً اعتقاد بدائي بوجود الأرواح الشريرة. واللغة الكورية فريدة في المنطقة، لكونها لا تشبه الصينية ولا اليابانية.

(*) Ibid, p. 341

(**) Ibid, p. 342

الكاثوليك أول المرسلين إلى كوريا

لم يبعد أى عدد من المغامرين الأوائل من الكاثوليك فى القرنين السادس عشر والثامن عشر حياً بعد الاضطهاد. وكانت هناك محاولة فى بداية القرن التاسع عشر، لكن هذه أيضاً قمعت باضطهاد عنيف، وبالرغم من ذلك، قدرت «البروياجندا» (*) أنه كان هناك فى سنة ١٨٤٠. ما يقرب من ٢٠٠٠ مسيحي كاثوليكي كورى .

كوريا مفتوحة للغرب

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بدأ الموقف يتحسن. ثم إن وجود قوات أجنبية فى المنطقة ومعاهدات شبيهة بتلك التى أبرمت مع اليابان والصين قد فتحت أبواب كوريا للغرب. وفى سنة ١٨٧٣ استطاع مشيخى اسكتلاندى اسمه «جون روس" John Ross أن يجرى اتصالات ويتعلم اللغة ويترجم العهد الجديد. وفى سنة ١٨٨٥ سُمح للمشيخين والميثوديين الأمريكين بالدخول. أسس أحد المشيخين المدعو هوراس أندروود Horace Underwood (١٨٥٩-١٩١٦) مستشفى وكلية كما ساعدت اتصالاته الودية مع الأسرة المالكة على تمهيد الطريق لمرسلين آخرين أن يقتفوا أثره.

جون نيفيوس John Nevius ومبادئ جديدة

جاء جون نيفيوس (١٨٢٩-١٨٩٣) الذى كان أولاً مرسلًا للصين، إلى كوريا سنة ١٨٩٠. وحث المرسلين أن يلتزموا ببعض المبادئ الأساسية من أجل خطة الإرسالية التى تتضمن الآتى:-

- ١- كل مسيحي جديد يجب أن يكون شاهداً بالحياة والكلمة ويكفل نفسه بنفسه.
- ٢- منظمة الكنيسة الكورية يجب أن تتطور بواسطة الكوريين فى نطاق إمكاناتهم وبدون تمويل خارجي.

(*) البروياجندا هنا معناها «مرسلة كاثوليكية»

٣- على الكنيسة أن تستخدم أشخاصاً مؤهلين للخدمة، وتدفع المرتبات من مالية الكنيسة.

٤- يجب أن تشيد مباني الكنيسة على الطراز الكورى وبموارد كورية.

فكر الكنيسة الكورية

تأسيساً على هذه المبادئ، ظلت الكنيسة الكورية قوية ومستقلة وحدث نمو سريع فى العقد الأول للقرن العشرين. وبحلول سنة ١٩١٠ بلغت عضوية البروتستانت ٣.٠٠٠ والكاثوليك ٧٧.٠٠٠ عضو.

دور المسيحية الإيجابى فى كوريا

عانت كوريا الشيء الكثير سياسياً لأن الصينيين والروس قاموا بغزوها كما احتلها اليابانيون. لكن الإرساليات الأجنبية كانت دائماً سنداً للوطنيين، وإن كان فى ذلك غالباً مخاطرة كبيرة لهم. من أجل ذلك كان الكوريون ينظرون إلى المسيحية، كقوة إيجابية وطنية .

٦- سومطره Sumatra

الكنيسة المصلحة الهولندية فى إندونيسيا

سومطره أكبر جزيرة فى جزر الهند الغربية أو إندونيسيا كما تسمى المنطقة الآن. وقد كان للكنيسة المصلحة الهولندية عمل ناجح فى معظم أنحاء المنطقة، لكن نجاحها كان قليلاً بين «الباتاك» "The Bataks" فى سومطره.

نومنينس والباتاك Nommensen

فى سنة ١٨٦١ عينت «جمعية إرسالية الدين فى ألمانيا» "The Rhenish mission Society" لودفيج انجويرنومنينسين Lodwig Ingwer Nommensen (١٨٣٤-١٩١٨) ليبدأ العمل بين قبائل الباتاك. وبعد بداية بطيئة بدأت

الإرسالية تريح المهتدين تدريجياً. لكن لأن أى شخص كان يهتدى للمسيحية يطرد من مجتمع الباتاك. وحلاً لهذه المشكلة أقام نومينسين قرى مسيحية خاصة.

الباتاك يتحولون إلى المسيحية

تغير الموقف فجأة عندما قرر عدد من رؤساء قبائل الباتاك التحول للمسيحية، فلما حدث هذا كانت النتيجة أن عدداً هائلاً من أفراد شعبهم حذوا حذوهم، وأصبح نومينسين ومرسلون آخرون غارقين فى زحام المهتدين الجدد. فى سنة ١٨٧٦ كان عدد المسيحيين ٢٠٠٠، وفى سنة ١٨٨١ أصبحوا ٧٥٠٠ وفى سنة ١٩١١ وصل عددهم إلى ١٠٣٥٢٥.

كنائس مسيحية للباتاك

واجه نومينسين الأزمة بكل حكمة. قرر أن يتجمع المهتدون فى كنائس خاصة بالباتاك. ويقدر الإمكان تستمر المحافظة على عادات وتقاليد الوطنيين. وتم تدريب ورسامة خدام من «الباتاك»، وأعطى لهم حق ممارسة الأسرار المقدسة على قدم المساواة مع المرسلين. كذلك صار التأكيد على تدريب قيادة علمانية.

أبوّة المرسلين Paternalism of the Missionaries

ومع ذلك، كان النظام بصفة عامة أبوياً وتركزت السلطة الأساسية فى يد نومينسين والمرسلين الآخرين. كان المرسل معلماً، وطبيباً، ومسالماً فى المنازعات، وضابطاً للنظام، ووزيراً للمالية. وأى مركز له نفوذ وسلطة فى الكنيسة كان قاصراً على المرسلين وحدهم.

«يبدو أن نومينسين وزملاءه لم يتخيلوا أبداً أن هذه الكنائس التى اعتنوا بها، يمكن فى يوم ما أن توجد وتبقى بدون مرسلين»^(*)

(*) Neill, op. cit., p. 351

ولم تصبح كنيسة (الباتاك) مستقلة حقاً إلا عندما أنهت الحرب العالمية الثانية الوجود الألماني في سومطره .

٧- الهند

النجاح في الهند

كانت دولة الهند الواسعة الأرجاء محكومة أثناء هذه الحقبة بالاستعماريين الإنجليز. وتمتعت الدولة -بطرق مختلفة -بمقدار غير عادي من الوحدة والتقدم. وتقدم التعليم على كل مستويات المجتمع بدرجة كبرى، خصوصاً في مدارس الإرسالية. فتعليم النساء، والملاجيء، والخدمات الطبية، كل هذه المساعي الرائدة لاقت التشجيع من الحكومة ونظر إليها معظم الهنود بالرضى والاستحسان.

التحول الحضارة الغرب خطر على الهند

في نفس الوقت أثارت الأسئلة حول تأثير هذا التحول نحو لغرب، إذ شعر الهندوس والمسلمون بصفة خاصة أن التسرب المسيحي إلى المجتمع الهندي شكل تهديداً لكل طريقتهم في الحياة ولتقاليد الهند العريقة . فأنشئت بعض المعاهد الهندية لتحد من تأثير البرامج المسيحية وتسترد من خسرتهم من الهنود الذين انجذبوا إليها.

التأثير المسيحي خلال المؤسسات

اتخذ بعض المرسلين هذا النقد مأخذ الجد، وجنحوا إلى العدول عن التبشير العلني لربح النفوس بينما شدد آخرون على اقتراب غير مباشر عن طريق المؤسسات. واعتقد هؤلاء أن الطالب في مدرسة إرسالية لعدة سنوات يتشرب من المثالية المسيحية بما يكفي لجعله متعاطفاً نهائياً مع الفكر المسيحي إن لم يصبح هو نفسه مسيحياً.

اعتناق المسيحية عن طريق الكتاب المقدس

يمكن أن نذكر أمثلة قليلة عن تأثير المسيحية على الأفراد. فهناك من اكتشفوا

المسيح بمجرد قراءة شخصية للكتاب المقدس، فلقد أصبح أحد علماء الأديان الأخرى البارزين مسيحياً بهذه الطريقة. كتب في مفكرته هذه الملاحظة:

«ليت نعمة ربنا يسوع المسيح تحمل على العالم أجمع. لقد صار كاتب هذه السطور مسيحياً يوم ٢٩ إبريل سنة ١٨٦٦ من أجل غرض وحيد وهو نوال الخلاص». (*)

براهمي يصبح مسيحياً

كان «نارايمان فامان تيلاك» Narayan Vaman Tilak (١٨٦١-١٩١٩) أحد براهمة الطبقة العليا. وكان يعتقد أن المسيحية تشكل خطراً على مصالح الهند، وفي يوم ما، كان معه في القطار شخص أجنبي أعطاه نسخة من «العهد الجديد»، وبدأ يقرأ من إنجيل متى ولما وصل إلى العظة على الجبل، تحقق أن تلك كانت رسالة الله من أجله وسرعان ما طلب «تيلاك» أن يتعمد، وفي وقت لاحق أصبح قائداً له تأثيره في كنيسة الهند المشيخية. ولم يلزم نفسه بطائفة معينة، بل بالأحرى بذل نشاطه في خلق كنيسة هندية مستقلة.

راما باي Ramabai

كانت «راماباي» (١٨٥٨-١٩٢٢) ابنة لأحد البراهمة الذي حرص على أن تتلقى ابنته تعليماً جيداً، وخلافاً لمعظم نساء الهند في ذلك الوقت، تحولت إلى المسيحية أثناء زيارة لها في إنجلترا. وبعد ذلك وبعد أن أصبحت أرملة جاهدت لإسعاد الأراامل الهندوس اللواتي كثيراً ما أرغمن على الانتحار عند موت أزواجهن، أو على الأقل كان محظوراً عليهن أن يتزوجن مرة ثانية. أسست راما باي «ملاجيء ومراكز تدريب للنساء» وأرشدت بنفسها الكثيرات منهن إلى المسيح، واعتبرت إحدى قديسات الكنيسة الهندية.

حركات تحول جماعية بين القبائل

حدثت في مناطق عديدة بالهند حركات جماعية بين القبائل المنعزلة وكان أحد

(*) Ibid, p. 359

المرسلين المدعو «جون كلوف» John Clough "مديراً لإرسالية فى منطقة «تيلوجا Teluga". ولم يكن عمله الفردى ناجحاً، لكن يوماً ما جاء رجل إلى بيته من قرية بعيدة يطلب أن يعمده، بعد ذلك أخذ هذا الرجل كلوف المرسل إلى قريته حيث تجمع للعماد ٢٠٠ من سكانها الذين سبق أن سمعوا الرسالة من هذا الرجل الوحيد الذى كان قد سمعها هو نفسه مرة واحدة من المرسل.

وسرعان ما اتضح أن هناك المئات من هذه القبيلة أرادوا أن يتعمدوا. وفى سنة ١٨٧٨ عمد كلوف وزملاؤه ٨٦٩١ فرداً وبحلول سنة ١٨٨٢ وصلت العضوية فى هذه القبيلة إلى أكثر من ٢٠٠٠٠.

ديت السيكالكوتى Ditt of Sialkot

وبطريقة مماثلة فى إقليم «سيالكوت Sialkot طلب واحد من طبقة المنبوذين اسمه ديت Ditt مرسلًا ليتعمد على يديه مع وعد منه بأن يعود ويبشر أهل قريته بالإنجيل. كان المرسل متردداً جداً، لكن ديت (بالرغم من الاضطهاد) وفى بوعده. وفى مدى ٣٠ سنة كان هذا الرجل الفرد مسئولاً عن ربح معظم مجتمعه إلى المسيح.

فوالكنيسة فى الهند

كثيراً ما كانت تُسمع قصص كهذه فى كل الهند. وفى آخر القرن التاسع عشر، ضاعفت الكنائس البروتستانتية نفسها عشر مرات. ومع ذلك ظل العدد صغيراً بالنسبة لعدد سكان الهند الهائل، إلا أن الكنيسة كانت مع ذلك وطيدة الأركان وكان تأثيرها محسوساً فى كل مستويات المجتمع الهندى.

٨- أفريقيا

أسفر النصف الثانى من القرن التاسع عشر عن نشاط مرسلى أعظم فى إفريقيا، وأنجب أيضاً كنائس أفريقية وقيادة أفريقية. ولقد ذكرنا آنفاً «صموئيل كروثر» «مرسلًا إلى مواطنيه.

كاما من بيتشوانالاند Khama of Bechuanaland

فى سنة ١٨٦٢ عمّد المرسلون اللوثريون ابناً لرئيس قبيلة «بيتشوانا» واسم الابن «كاما» الذى لما رفض أن يراعى بعض تقاليد القبيلة الدينية، طرده أبوه وانتظر كاما صابراً حتى سنة ١٨٧٢ حين أمكنه أن يخلف أباه بعد وفاته فى رئاسة القبيلة، وعلى الفور بدأ فى إلغاء عادات القبيلة الوثنية مثل تعدد الزوجات وعبادة الأسلاف. وكما لاحظنا من قبل عندما يغير رئيس القبيلة ديانته، كذلك يفعل أفراد شعبه، هكذا كانت الحالة فى بيتشوانالاند حيث أن معظم أفراد الشعب انضموا إلى كاما فى الإيمان المسيحى.

كاما قائداً مسيحياً. وقائداً قبلياً

حكم كاما لمدة خمسين سنة، وكان مسيحياً راسخ الإيمان، لكنه كان أيضاً قائداً لشعبه، وعندما حاول «سيسل رودز Cecil Rhodes» أحد بناء الإمبراطورية المشهورين، أن يضم فى سنة ١٨٩٥ بيتشوانالاند إلى دولة جنوب أفريقيا، لجأ كاما إلى الملكة فكتوريا مباشرة. وتأثرت الملكة بأخلاق كاما المسيحية لدرجة أنها منعت رودز من تنفيذ خطته.

كتب سكرتير جمعية لندن المرسلية هذا التقييم تقديراً لكاما، فقال:

«إنه حقاً إنسان ثاقب الفكر، ومع أن أحداً لا يشك فى إخلاصه لإيمانه المسيحى والتصاقه بالكنيسة، فإن الاعتبار الغالب هو تقوية مركز قبيلته. وفى اعتقاده أنه ليس ثمة شك فى أنه كان يريد خلق منافسة بين كل من المجتمع والحكومة والتجار، لما يعتقد أنه لصالح القبيلة.»^(*)

تهشير القبائل بالإنجيل على نهر الكونغو

كلفنا آخر منطقة عظمى فى أفريقيا الوسطى التى لم يستطع أحد الوصول إليها هى حوض نهر الكونغو، حيث آلاف الأميال من الغابات الاستوائية الممطرة، تقطنها

(*) Quoted by Neill, op. cit., p. 376

قبائل عديدة، معظمهم لا يحبون الأجانب. وقد عملت هناك إرساليات مختلفة، حيث أسست المراكز واحداً فواحداً بطول النهر. كان المشيخيون أعظمهم نشاطاً وأكثرهم نجاحاً، وسرعان ما تحققوا أن العمل يأتي بثمر قليل إذا اعتمد على الأجانب وحدهم. لذلك دربوا مبشرين من المواطنين وأعادوهم مرسلين إلى أبناء جنسهم، ففي قبيلة «بالوبا Baluba» كان يعمل أربعون مبشراً أفريقياً في وقت واحد. وبين سنة ١٩٠٤ و ١٩١١ زادت عضوية الكنيسة من ٣٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ عضو.

ميسيدى رئيس قبيلة كاتانجا Misidi of Katanga

كانت إحدى الطرق التي يمكن أن تتقبل بها القبيلة المرسلين هي كسب صداقة رئيس القبيلة. وفي كاتانجا انتهز رئيسها ميسيدى فرصة رغبة المرسلين في أن يكونوا عوناً للقبيلة فسيطر عليهم تماماً، وأثناء مرور زائر في كاتانجا عام ١٨٩ كتب الملاحظة التالية:

«يعامل المرسلون ميسيدى كأنه ملك عظيم. لا يفعلون شيئاً بدون أن يطلبوا الإذن منه أولاً، وهم رهن إشارته وتحت طلبه كانوا تقريباً عبيده، يطلبهم باستمرار لأتفه الأسباب وباتضاع يذعنون. لم يتجاسروا على الحضور لرؤيتي لعدة أيام عند وصولي لأن ميسيدى أمرهم بذلك. وعاش المرسلون كالأهالي، على الحنطة والعصيدة وأحياناً اللحم الفاسد.» (*)

قيادة الإرسالية لقبيلة كاتانجا

في النهاية كوفى المرسلون على صبرهم وروح خدمتهم إذ انتهى طغيان ميسيدى بموته في معركة مع القوات البريطانية. وارتبك شعب كاتانجا بدون رئيس، ولجأوا إلى المرسلين طلباً للمشورة والقيادة. كتب دان كراوفورد: Dan Crawford الأخ البليموسى الذى سبق أن جاء سنة ١٨٩٠ يقول: «لقد شاعت الفكرة الخبيثة والحمقاء التي تقول إنه منذ موت ميسيدى أصبحنا نحن رؤساء البلاد». (**) ومع أن كراوفورد كان متردداً في اتخاذ هذا الدور الجديد، فإنه أيضاً رأى أنها فرصة

(*) Ibid, p. 381

(**) Ibid, p. 382

أعطاه الله. فأمكنه أن يقود هؤلاء الناس إلى حياة أفضل بتأسيس مدينة مسيحية يتناسون فيها الفوارق القبلية ولا يوجد بعد طغاة.

استانلى وأوغندا Stanley and Uganda

هـ. م. استانلى الرجل الذى فتش عن ليفنجستون يجب أن يذكر له فضل فتح دولة أوغندا فى سنة ١٨٧٥ للعمل المرسلى حين تصادق مع الرئيس موتيسا Mute- sa. وكتب مقالة لإحدى صحف لندن أثارت اهتماماً كبيراً فى إنجلترا وأمريكا. وبحلول سنة ١٨٧٧ كان قد وصل عدد من المرسلين إلى أوغندا.

الرئيس موتيسا والكسندر ماكاي Mutesa and Alexander Mackay

كان موتيسا متعاطفاً مع المسيحية، لكنه بقى متشبثاً بالممارسات الوثنية. كانت له مئات الزوجات وكان قاسياً فى أحكامه، يأمر بإعدام كل من لا يرضيه. لكن موتيسا كان أيضاً ودوداً مع المرسل الاسكتلندى الكسندر ماكاي الذى عمده شبان فى سنة ١٨٨٢، وفى سنة ١٨٨٥ كان قد أكمل ترجمة إنجيل مرقس.

موانجا يضطهد المسيحيين Mwanga

ثم مات موتيسا وخلفه ابنه موانجا الذى كان يكره جميع الأجانب سواء كانوا مرسلين أو جنوداً أو تجاراً. فأمر بقتل أسقف الإنجليكانى كان قد وصل لتوه إلى أوغندا لبدأ العمل. ثم انقلب على أبناء وطنه فأحرق ٣٥ شاباً مسيحياً من بوجاندا Buganda أحياء، ويستطيع المرء أن يشاهد صليباً مقاماً للذكرى الشهداء غير بعيد من مدينة كامبالا Kampala

حرب أهلية فى أوغندا

مأساة ثانية حلت بعمل الإرسالية فى أوغندا عندما اندلع التنافس العنيف بين الكاثوليك الناطقين بالفرنسية والإنجليكان الناطقين بالإنجليزية. الأمر الذى أسفر أخيراً عن حرب أهلية مريرة داخل أوغندا نفسها لم تنته إلا فى سنة ١٨٩٥ عندما

أعلنت أوغندا محمية بريطانية. عندئذ انقسمت الدولة إلى منطقتين بروتستانتية وكاثوليكية (مثل ألمانيا وفرنسا في عصر الإصلاح) كما تم نفي الرئيس موانجا أيضاً.

الأسقف الفريد طوكر Bishop Alfred R. Tucker

عندئذ بدأ عصر جديد، وبدأ الناس يدخلون الكنيسة بالآلاف. وبفضل بعد النظر والعمل الدؤوب الذي قام به الأسقف الفريد طوكر (١٨٤٩-١٩١٤) نُظمت الكنيسة على خطوط قومية وشغل المواطنون الأفريقيون مراكز قيادية. وفي سنة ١٩٠٨ وصلت العضوية إلى ٦٣.٠٠٠. وتوسع العمل في مجال التعليم والعلاج الطبى وشُيدت مئات البيوت للعبادة بما فيها كاتدرائية عظمى في كمبالا. وبسبب تدريبهم قام مسيحيو أوغندا بالعمل التبشيري وسط قبائل أخرى.

٩- أمريكا الجنوبية

أمريكا الجنوبية أغلبها كاثوليك

بسبب احتلال الاستعماريين البرتغال والأسبان في القرن السادس عشر، فإن غالبية أمريكا الجنوبية من الكاثوليك خصوصاً في المناطق الحضرية. وما زالت هناك أقاليم شاسعة في الجبال والغابات حيث يتبع الأهالي ديانات وثنية.

إرساليات بروتستانتية في القرن التاسع عشر

كان أهم تقدم في القرن التاسع عشر هو دخول الإرساليات البروتستانتية إلى كل دولة تقريباً. ونمت الكنائس البروتستانتية بسرعة. ويقدر عدد المسيحيين الإنجيليين بحوالى سبعة ملايين في كل أمريكا الجنوبية.

الخمسينيون

تأتى نسبة عالية من المرسلين القادمين إلى أمريكا الجنوبية من الكنائس الخمسينية. وكانت لهم جاذبية بالنسبة للفقراء المهملين من سكان العشش والأكواخ

.وبتركيز الخمسينيين على طهارة الحياة بصفة خاصة أنقذت هذه الإرساليات الكثيرين من إدمان المخدرات والمسكرات. وعندما يتخلى الشخص عن رذائله يمكنه الحصول على وظيفة أفضل ويتوفر لديه مال ينفقه على أبنائه. هكذا يسير الاهتمام براحة الجسد جنباً إلى جنب مع تجديد الروح. وأكثر من ذلك، فإن الروح الإنفعالي في الاجتماعات الخمسينية يناسب تماماً شخصية أهل أمريكا الجنوبية. إن نمو الكنيسة بين الخمسينيين كان أسرع من نموها في أي طائفة أخرى.

شهادة من كاثوليكي

كتب كاهن جزويتى فى سنة ١٨٦٣ يشهد لعمل الإنجيليين فى جنوب أمريكا فقال:

«نجحت الحركة الإنجيلية لأنها قوة روحية فعالة تحركها إلى الأمام حماسة شعبية أظهرت نفسها بتضحية مؤثرة ومحبة مخلصه لله ويسوع المسيح... إن تقدم الكنائس الإنجيلية ظاهرة تستحق الإعجاب.» (*)

استقلال الإنجيليين فى أمريكا الجنوبية

يصر الجنوبيون على تسميتهم بـ (الإنجيليين). إنهم لا يحبون اسم البروتستانت قائلين إنه يشير إلى تاريخ لا يمت لهم بصلة. ولا هم يريدون التطابق مع أمريكا التى منها جاء معظم المرسلين. إن اشتياقهم أن يكونوا مستقلين حقاً والإنجيليين بطريقة أمريكا الجنوبية أعطى لهذه الكنائس شخصية متميزة. كما يقول ستيفن نيل "Stephen Neill": "... من العسير أن نشترك فى حياة هذه الكنائس وعبادتها بدون أن ندرك أنه توجد هنا قوة كامنة تختلف عن أى شىء جاءت به الكنائس الأخرى فى أجزاء أخرى من العالم. إن أمريكا الجنوبية المعتبرة الآن قارة مختلفة، يمكن مع ذلك أن تكون قارة الأمل لكل كنيسة المسيح» (**)

(*) Neill, op. cit., p. 508

(**) Ibid, p. 509

١- الشرق الأوسط

عراقة الإرسالية فى الشرق الأوسط

ليس من قصد المؤلف أن يعالج بالتفصيل جهود الإرساليات المختلفة فى الشرق الأوسط. فما أنجز فى العمل المرسل منذ عصر الرسل إلى القرن العشرين ظاهر فى الكنائس والمعاهد الدينية الموجودة فى كل المنطقة وهو أمر معروف جيداً لجمهور المهتمين بقراءة هذا الكتاب. (*)

روح مسكونية جديدة

علاوة على ذلك، يريد الكاتب أن يتحاشى إثارة حساسيات بسرد تاريخ تدور من حوله خلاقات فى رأى. يكفى القول إن المشهد الكنائسى فى الشرق الأوسط يكشف حالياً عن طيف النور بألوانه الطائفية (***) للكنيسة فى كل فروعها، من الأرثوذكسية أقدمها إلى الخمسينية أحدثها. فبينما لا تعكس بعض أوجه العلاقات الماضية روحاً مسيحية مثالية، إلا أنه يمكننا بالتأكيد الادعاء بأنه يوجد فى الوقت الحاضر علامات مبشرة. إن ظهور «مجلس كنائس الشرق الأوسط The Middle East Council of Churches» كندوة مسكونية حقاً هو أبرز دليل على رغبة وإرادة الكنائس المختلفة أن تحترم كل منها وجود الأخرى. واستمرار الحوار اللاهوتى بين كليات اللاهوت، وكذلك ما بين القيادات الكنسية للطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية لهو دليل آخر على وجود روح مختلفة فى وقتنا الحاضر. ولنا ثقة أن توجد محتويات هذا الكتاب متفقة مع هذه الروح.

(*) لكل كنيسة تراث وفير من الكتب والمخطوطات الحافلة بتاريخها، مثلاً: كتاب «تاريخ الكنيسة الإنجيلية فى مصر تأليف الأستاذ أديب نجيب سلامة، وكتاب تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية للأديبة إيريس حبيب المصرى».

(**) الفكرة هنا تشبيه لطيف النور، ينعكس على «منشور فينحل إلى ألوانه المتعددة: البنفسجى والأزرق والنيلى والأخضر والأصفر والبرتقالى والأحمر، وكلها فى الأصل محزومة فى لون واحد هو نور الشمس الأبيض».

(د) التقييم بدءاً من سنة ١٩١٠ ، ومؤتمر إدنبره Edinburgh

إنجازات القرن العظيم

يتفق معظم المؤرخين على أن «مؤتمر إدنبره المرسل» "Edinburgh Missionary Conference" (لعام ١٩١٠ قبيل الحرب العالمية الأولى). كان علامة النهاية لحقبة القرن التاسع عشر، وإن إنجازات ذلك القرن العظيم كما يسميها «لاتوريت - latour ellec يمكن بيانها كالآتي:

- ١- باستثناءات نادرة مثل التبت وأفغانستان، كان للإرساليات المسيحية نقطة بداية (مهما تكن صغيرة) في كل دولة من دول العالم.
- ٢- انتهى ما نعرفه كعمل ريادي. فقد ترجم الكتاب المقدس أو أجزاء منه إلى كل لغة رئيسية في العالم.
- ٣- من كل دين اهتمى عدد (مهما يكن قليلاً) إلى الإيمان المسيحي، نتيجة للتبشير بالإنجيل.
- ٤- انحسرت مقاومة الوجود المرسل في بلاد مثل الصين واليابان وكوريا.
- ٥- ثبت أن الإنجيل المقترن بالتفسير الصحيح، مفهوم ومقبول لكل جنس ولغة وحضارة على الأرض.
- ٦- تأسست الكنائس الوطنية وتقدمت قيادات وطنية منها لمعاونة المرسل وأخيراً تسلمت المسؤولية منه.
- ٧- لمس تأثير الرسالة المسيحية الكثيرين الذين وإن لم يصيروا مسيحيين لكنهم اختيروا للقيام بدور الزعامة الوطنية (أشهرهم المهاتما غاندى) Mahatma . Ghandi

٨- كان الحماس فى أوروبا وأمريكا لعمل الإرساليات الأجنبية فى أعلى درجاته، فأسفر عن تدفق منتظم من المتطوعين للعمل المرسل^(*) من جهة ومصدر مضمون للتمويل من جهة أخرى.

جون موط وإدنبره John R. Mott and Edinburgh

انعقد مؤتمر إدنبره بسبب تزايد الوعى البروتستانتى بحتمية وجود معيار للتفاهم والتنسيق بين الجمعيات والكنائس الكثيرة الملتزمة بالعمل المرسل. وقد سبقت إدنبره مؤتمرات فى لفربول (١٨٦٠)، ولندن (١٨٨٥)، ونيويورك (١٨٩٣)، لكن لم يكن هناك قط مثل هذا الإعداد المتقن ولا مثل هذا التمثيل الشامل (١٣٥٥ مندوباً مرسلأ من كافة أنحاء العالم)^(**). وحفل برنامج العمل فى مؤتمر سنة ١٩١٠ عامراً بأهداف واستراتيجية الإرسالية.

ورئيس المؤتمر «جون موط (١٨٦٥-١٩٥٥) كان عظيماً فى قيادته مع أنه لم يكن قط مرسلأ. فهو الذى سبق أن دوى صوته بصرخة التجمع «لحركة الطالب المتطوع "The Student Volunteer Movement" معلناً «تبشير العالم بالإنجيل فى هذا الجيل».

تكوين مجلس المرسلين الدولى International Missionary Council

تعين جون موط رئيساً للجنة متابعة توصيات المؤتمر، التى أصبحت تحت رئاسته الإدارة الأولى الدائمة للتعاون المسيحى الدولى بين الكنائس البروتستانتية. وقد أسفر عمل هذه اللجنة عن تكوين مجلس المرسلين الدولى سنة ١٩٢١ برئاسة جون موط أيضاً. وبدوره أصبح هذا المجلس روحاً مؤثراً فى الحركة المسكونية للقرن العشرين.

مجالس إقليمية

فى مشوار عمل موط مع لجنة المتابعة كان هو الأداة فى تكوين مجالس إرسالية

(*) بلغ مجموع المرسلين البروتستانت فى حقول العمل فى عام ١٩١٠ ٤٥٠٠٠ مرسل ومرسلة

(**) لكن فقط ١٨ من القادة الوطنيين حضروا من «العالم الثالث».

إقليمية فى اليابان وكوريا والصين والهند. ولقد برهنت هذه المجالس على عظيم فائدتها فى توجيه العمل المرسلى التعاونى. ثم إنها أسفرت أخيراً عن مجالس كنسية إقليمية عندما نضجت الكنائس الناشئة وتسلمت مسئولية الإرسالية.

المجلس المسيحى للشرق الأدنى

هكذا كانت الحالة فى الشرق الأوسط. جاء المجلس المسيحى للشرق الأدنى إلى الوجود فى الثلاثينات من القرن العشرين، كهيئة من مجموعات إرسالية متعاونة وبعد الحرب العالمية الثانية، شمل المجلس تمثيلاً للكنائس البروتستانتية الوطنية من دول الشرق الأوسط، وحدث التحول النهائى فى السنوات العشرين الأخيرة بتكوين مجلس كنائس الشرق الأوسط ممثلاً كل الطوائف الرئيسية للشرق الأوسط، بما فى ذلك الأرثوذكس، ومن وقت قريب جداً جماعة الكاثوليك الوطنية.

هـ . المجال المحدود لهذه الدراسة

سوف يتضح للقارئ المتأمل أن تقديمنا هذا للحركة المرسلية الحديثة بعيد عن كونه كاملاً. فلقد ركزنا على التطورات الرئيسية، وحقل العمل الكبرى، والشخصيات البارزة، ولم نذكر كثيرين ممن يستحقون أن نذكرهم وإنجازات كثيرة ممتازة لم تنل تقديرها. وقلما جاء ذكر العمل المرسلى للكنيسة الكاثوليكية الذى يفرق فى مناطق عديدة عمل البروتستانت. كما أن اجتهادات أخرى مثل أسبقية الكنائس المصرية فى الوصول إلى شعوب أفريقيا نادراً ما تحدثنا عنها.

لكن الحقل عظيم الاتساع. إن لاتوريت K.S. Latourette يخصص المجلدات الخمس الأخيرة من كتابه التذكارى العظيم «تاريخ التوسع المسيحى»... "History of the Expansion of christianity" للحركة المرسلية الحديثة ونتائجها. أما هنا فيلزم أن نحصر أنفسنا فى موجز الاتجاهات والإنجازات الهامة، وفى القسم الختامى عندما نتحدث عن التحول من الإرسالية إلى الكنيسة أرجو أن يصبح واضحاً إلى أى مدى نجحت الحركة المرسلية الحديثة.

و- القرن العشرون وكنائس العالم الثالث الناشئة

١- تركة الأوضاع فى القرن التاسع عشر

كان القرن العشرون بحريه العالميتين، وثوراته القومية وتقدمه التكنولوجى السريع، فترة تغيير وحيرة للكنيسة وإرسالياتها.

عنصرية الغرب

لم يعد للعنصرية الظاهرة للغرب صوت صاحب كما كان الحال فى فترة ماضية. ففى سنة ١٨٨٥، استطاع «يوشيا سترونج Josiah Strong من الاتحاد الإنجيلى أن يعلن البيان الآتى بلا خجل:

«يبدو لى أن الله بحكمة ومهارة متناهية يقوم باعداد الجنس الأنجلو سكسونى من أجل ساعة آتية بالتأكيد فى مستقبل العالم... هى المنافسة النهائية بين الأجناس، التى من أجلها يجرى إعداد الأنجلو سكسون... هذا الجنس ذو النشاط الذى لا يبارى، بكل ضخامة إعداده وجبروت الثروة من ورائه. الممثل-كما نرجو- لأكبر قدر من الحرية، وأنقى تعاليم المسيحية، وأرفع درجات المدنية، سوف ينتشر ويبسط جناحه فوق الأرض. وهل يشك أحد فى أن نتيجة هذا التنافس بين الأجناس ستكون البقاء للأصلح.» (*)

أساقفة من الجنس الأبيض فقط

حتى سنة ١٩١٤ لم يكن للكنيسة الكاثوليكية أى أسقف من أصل غير أوروبى، سوى أربعة فى الهند. وعندما تساءل كاهن بلجيكى شاب عن السبب فى عدم إمكانية وجود أسقفية وطنية فى بلاد أخرى، كان الجواب:

«طالما كان الجنس الأبيض مقتدراً على الإمداد بعدد غير محدود من الأساقفة،

(*) Johnson, op. cit., p. 456

لم يكن يوجد رجل واحد من الصُّفر، أو الحمر أو السمر، أو السود مؤهلاً لحمل مسئولية الأسقفية». (*)

مثل هذه الآراء التى لا تتقبلها الأغلبية الكبرى من المسيحيين، ربما لا تزال موجودة فى قطاعات مختلفة فى الكنيسة. ومثالها المأسوى الأعظم هو جنوب أفريقيا. إنها عادة متفشية فى الفكر أن :

«الإنسان الغربى وحده هو إنسان بكل معنى الكلمة، إنه حكيم وطيب وهكذا أيضاً أفراد الأجناس الأخرى طالما تحولوا لحضارة الغرب. لكن الإنسان الغربى هو القائد وسيبقى كذلك زمناً طويلاً، وربما إلى الأبد.» (**)

ولم يعطل شىء تقدم قيادة الكنيسة الوطنية أكثر من هذا التفكير. قد نشعر بالامتنان لاختفاء مثل هذا الموقف من السياسة المرسلية فى أى شكل كان.

الأبوة Paternalism

يتصل بما ذكرنا آنفاً اتصالاً وثيقاً استمرارية موقف الأبوة.. فلم يكن أمراً سهلاً اتخاذ القرار بتحديد الوقت اللازم لتأهيل القيادة الوطنية لكى تتسلم مهام عمل المرسل، فكثيراً ما احتفظ المرسلون بالسلطة القيادية فى أيديهم، حرصاً على نجاح العمل. وفى حالات كثيرة، لم يُنظر إلى القادة الوطنيين المدربين على أنهم أكثر من مجرد مساعدين للمرسل، وفى أندونيسيا مثلاً، كان الراعى الأندونيسى يجهز المتقدمين للعماد. لكن عملية التعميد نفسها كان يلزم أن تنتظر مجيء المرسل. وفى خدمة المعمودية نفسها، كان امتيازاً للراعى الأندونيسى أن يحمل «سلطانية العمد» أثناء قيام المرسل بأداة العمد.

الامتكال

ولدت الأبوية كذلك شعور الامتكال من جانب الكنائس الوطنية حتى عندما كان

(*) Neill, op. cit., p. 259

(**) Ibid, (abapted)

المرسلون يحثون الوطنيين على حمل المسؤولية كانوا يظهرون الرفض شاعرين بأنهم أكثر أمناً تحت الإشراف الأجنبي، غير مستعدين أن يقفوا معتمدين على أنفسهم. كما كانوا يخشون مغادرة المرسلين البلاد الأمر الذي قد يسفر عنه تضائل الدعم المالى، وكثيراً ما تعطلت عملية نقل القيادة، حتى تفرضها أحداث خارجية (كاندلاع الحروب). ولحسن الحظ وفى أكثر من فرصة، اعتمد القادة الوطنيون على طاقاتهم الخاصة، فى التصدى للمشكلات وأثبتوا أنهم أحسن إعداداً مما كانوا يعتقدون.

وشهد القرن العشرون تزايد عدد الكنائس الوطنية المعتمدة على نفسها، وتضاءلت التأثيرات السلبية للاستعمار والعنصرية والأبوية والاعتماد على الغير. لكن الأوضاع مازالت تتجه لتطفو على السطح من جديد، ويبقى على الإرسالية الحديثة أن تتعايش مع بقايا هذه المشاكل.

٢- السياسة المتغيرة للإرسالية فى القرن العشرين

إعادة التفكير فى سياسة الإرسالية

بعد إدنبرة، والحرب العالمية الأولى، وظهور مجلس المرسلين الدولى، شرعت المؤسسات الإرسالية حول العالم، فى العمل على تقييم الماضى ووضع خطة من أجل المستقبل. فانعقد مؤتمر مرسلى ثان فى أورشليم سنة ١٩٢٨. وثالث فى «تامبرام» (مدراس- بالهند) سنة ١٩٣٨. وزعت جماعة من العلمانيين فى سنة ١٩٣٢ منشوراً مثيراً للجدل اسمه إعادة التفكير فى الإرساليات Re- Thinking Missions كان بصفة عامة نقداً للسياسة الإرسالية التقليدية. وثار الكثير من الجدل، لكن المناقشات اشتملت أيضاً على المزيد من الأفكار حيث اشترك فى المناقشة ممثلون للكنائس الناشئة، وفى مدراس سنة ١٩٣٨ كان تمثيل الأجانب والوطنيين متساوياً، وطرحت مجموعة من الأوراق القيمة لكن لم تكن إحداها أكثر فعالية من رسالة اللاهوتى الهولندى هندريك كرامى Hendrick Kraemer وموضوعها «الرسالة المسيحية فى عالم غير مسيحي» (١٨٨٨-١٩٦٥) "The Christian Message in a Non-Christian World"

تشجيع تقدم الكنيسة الوطنية

كان معظم التفكير فى هذه الحقبة مركزاً على تنمية الكنائس الوطنية، وقد عبّر «جويت موراي» "Jowett Murray" عن مفهوم الكنيسة الوطنية المثالية فى سنة ١٩١٩ فقال:

«مفهوم الكنيسة هذا، هو ببساطة شركة تلقائية طبيعية للمؤمنين الذين شكلهم الخارجى ونموهم الداخلى يحكمه على السواء حلول روح المسيح. إن واجبنا كمرسلين ليس لإنشاء مؤسسة، لكن تعليم أسلوب حياة- ليس مجرد حياة فردية- لكن حياة متحدة فى المسيح، مثل هذه الكنيسة ليس لها أسس مادية. إن الذى نبذره هو حياة ونحن نؤمن أنها سوف تنمو، لأننا نؤمن بعطية الروح القدس. أما الشكل الخارجى والتنظيمات فستكون حصيلة الحاجة الداخلية الروحية، وليس لمجرد أن هناك نظاماً كنسياً فى الغرب (*) يجب أن نسير على هديه.

تأثير النماذج الغربية على الكنائس الجديدة

هذا المثل الأعلى لم يتحقق قط من الناحية العملية فحيثما أنشئت كنائس جديدة اتجهت إلى اتباع النمط الذى تنادى به وتحافظ عليه الإرسالية، فى اللاهوت، والعبادة، والتسبيح وفن العمارة، والملابس، الخ. والمهتدى الجديد لا يميز بين الشكل والمضمون، حيث أن الديانة المسيحية تقدم له فى ثوب معين وكل شيء فيه جديد عليه من أجل ذلك فإن مظاهر هذا الدين الجديد وتعبيراته تبدو أمامه صحيحة كصحة مبادئها الأساسية. وعندما يزور رجل الكنيسة الغربى كنائس جديدة فى العالم الثالث، فإنه عادة يجد نفسه فى أوساط مألوفة. إنه باستثناء لغة العابدين يستطيع أن يتابع نظام عبادتهم بكل ارتياح. (***) والحق أن الكثير من الكنائس المصلحة الحديثة فى الشرق، أكثر إصلاحاً من الكنائس الغربية المصلحة التى أوجدتها.

(*) Quoted by Neill, op.cit, p.534

(**) الزائر المسيحى لكنيسة إنجيلية أثناء العبادة فى الشرق الأوسط، يستطيع خلال التسبيح أن «يدندن» مع معظم الألحان فى كتاب الترنيم. فهذا الكتاب هو «كتاب الترانيم التقليدي» المعتمد عند الإنجيليين فى كنائسهم (نظم الزامير)

سلامة الكنائس الوطنية

مهما يكن من أمر فيما ذكرنا، فإن تبني أشكال العبادة الغربية لا ينتقص بأي شكل من سلامة هذه الكنائس ولا من صلاحية حياتها الروحية، فهي كنائس حقيقية مستقلة، وعلى وعى تام بمكانتها ومقاصدها في بيئاتها القومية. فطالما نحن ننتظر تعبيراً وطنياً لإيمانهم يكون أكمل وأكثر حرية، والتحاماً لعملهم اللاهوتى مع أشكال فكرهم الوطنى، يمكن أن نتأكد من سلامة مسيرتهم.

٣- كنائس ما بعد الإرسالية

المشاركة فى العمل المرسل

كثيراً ما يتردد فى أوساط المرسلين شعار يقول: «الهدف الأخير للمرسل هو أن يعمل لإخلاء نفسه من عمله» وقد تحقق هذا الهدف فى منطقة بعد أخرى.. فعندما تتولى القيادة الوطنية زمام الأمر، ليس فقط فى الكنائس، لكن فى المدارس والمستشفيات التى أسسها المرسلون، يتضح أنه لم تعد هناك حاجة إلى قوة إرسالية كبرى. ومع خفض عدد المستخدمين تغيرت العلاقات، فاختفت العلاقة السابقة (علاقة الأم والابنة) وحلت مكانها علاقة مشاركة، وهناك عبارة مألوفة فى وقتنا الحاضر هي «التبادلية فى الإرسالية Mutuality in Mission» حيث تتقاسم الكنيستان موارد العمل فى مهمة الإرسالية. وتوضيحاً للموقف يستحسن أن نلقى نظرة سريعة على التقدم بين بعض الكنائس الناشئة منذ الحرب العالمية الثانية.

كنيسة اليابان تحت ضغط الحكومة

تحت ضغط الحكومة، فى اليابان، انضمت الطوائف البروتستانتية الرئيسية معاً فى كنيسة المسيح المتحدة The United Church of Christ فى عام ١٩٤٠ كما أن علم اللاهوت الأصلى طبقاً لـ «تويوهيكو كاجاوا Toyohiko Kagawa (١٨٨٨-١٩٦٠) يتلى فى بلاد كثيرة خارج اليابان. وأثناء الحرب العالمية الثانية توقفت الكنيسة ووضع المرسلون فى السجن.

نجاح الكنيسة فى اليابان منذ الحرب العالمية الثانية

لكن مع هزيمة قوات المحور(*) سنة ١٩٤٥ سرعان ما فتحت الأبواب مرة أخرى. وبلغ عدد المرسلين العاملين فى اليابان اليوم ٤٠٠٠ وعملهم الأساسى فى المدارس الكبرى والجامعات. وتستمر الكنائس فى النمو نتيجة لهداية الأفراد إلى الإيمان بالمسيح. وقد بلغ مجموع السكان المسيحيين (كاثوليك وبروتستانت) فى سنة ١٩٨٠، ٣٠٥٢٦٤٠٠ أو حوالى ٣٪ من مجموع السكان وهناك عدد من المسيحيين فى أماكن قيادية فى المجتمع اليابانى اليوم، فمثلاً هناك توجد سيدة يابانية بروتستانتية تدعى «تاكاكو دوى "Takako Doi" تشغل حالياً منصب زعيمة الحزب الاشتراكى السياسى.

صعوبات أمام الكنيسة فى الصين

أما الصين فكانت قصتها مختلفة تماماً. إذ سرعان ما تبددت الآمال العريضة التى ولدت مع إنشاء الجمهورية فى سنة ١٩١١. فقد غرقت البلاد فى الفوضى واستحال العمل المرسل، وقد تحسن الموقف فى فترة ما بعد سنة ١٩٣٠ أثناء رئاسة «شيانج كاي شيك» "Chiang kai-Shck"، الذى كان مسيحياً، فزادت عضوية الكنيسة، لكن الكارثة وقعت مرة أخرى فى سنة ١٩٣٧ مع الغزو اليابانى، فلم يعد فى الإمكان الحفاظ على عمل مسيحى كهذا، كما كان الحال من قبل إلا فى الأقاليم الغربية النائية.

الضغط تحت الحكم الشيوعى

بحلول سنة ١٩٤٩ وصل الشيوعيون إلى الحكم تحت قيادة «ماوتسى تونج Mao-Tse Tung وحاول المرسلون الاستمرار فى العمل لكن سرعان ما تبين لهم أن وجودهم يشكل خطراً على الصينيين المسيحيين. وفى سنة ١٩٥٣ تقلص حجم المرسلين من ٤٠٠٠ إلى الصفر وأغلقت الكنائس وانتزع كل النشاط التعليمى والطبى والاجتماعى من أيدي المسيحيين. وليس خافياً أن كثيرين أنكروا مسيحيتهم تحت وطأة الضغط السياسى.

(*) قوات المحرر وقتتذ هى المانيا وإيطاليا واليابان.

حرية جديدة للمسيحيين بعد سنة ١٩٧٩

كان مستحيلاً- لسنوات عديدة أن نعرف ماذا يحدث للكنيسة فى الصين، أو حتى ما إذا كان لها وجود على الإطلاق، وبعد موت «ماوتسى تونج» سنة ١٩٧٧ حدث تغيير مدهش فما أن حل عام ١٩٧٩ حتى كان قد أعيد فتح أبواب . . ١٢ كنيسة. وأعيدت مدارس اللاهوت إلى الإشراف المسيحى، وتزاحم الطلبة على الدخول. ومُنح الإذن لطبع الكتب المقدسة، واتضح أن أفراد من الشعب كانوا يعبدون الله بأمانة فى منازلهم، وأمكنة أخرى بعيداً عن الرقابة الرسمية.

والواقع أن العضوية زادت بكيفية مؤثرة فى غيبة المرسلين وبالرغم من الضغط الحكومى، وتتضارب التقارير وتختلف الأعداد ففى سنة ١٩٨٣ قدر The World China Christian Council Encyclopedia مجلس الصين المسيحى أن هناك مليونين من البروتستانت وثلاثة ملايين الكاثوليك. وتذكر الموسوعة المسيحية العالمية عدداً أقل من ذلك بكثير هو فى مجموعه . . . ١٨٠٠ (حتى سنة ١٩٨٠). وأيا كانت الأعداد، فالواضح أن الكنيسة الصينية حية وهى تحيا فقط بقوة الروح القدس. ومازالوا المسيحيون يراقبون عن كثب، خصوصاً أولئك الذين يعبدون الله فى كنائس غير رسمية «كنائس البيوت». ومع عدم استقرار الوضع السياسى فى الوقت الحاضر فإن المشقات والضغوط القديمة يحتمل فرضها من جديد.

خدمة الكنيسة الكورية فى أوقات الاضطراب

كابدت الكنيسة فى كوريا أيضاً فى القرن العشرين صعاباً جمة بسبب الحروب والاحتلال اليابانى.

فحتى سنة ١٩٥٣، مع نهاية الحرب الكورية والتقسيم النهائى إلى كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، كانت الكنيسة وكل المؤسسات المسيحية تعيش فى مشاكل. لكن على مدى هذا التاريخ المضطرب رأينا المسيحيين يمارسون دوراً إيجابياً: فى الصراع من أجل الاستقلال، وفى تعمير البلاد وفى تضاميد جراح الحرب.

النمو المذهل للكنيسة فى كوريا

كشفت السنوات الثلاثون الأخيرة فى كوريا الجنوبية عن أعظم نمو كنسى مثير فى آسيا. فالعضوية فى كل الكنائس تضاعفت كل عشر سنوات منذ سنة ١٩٤٠. فقد بلغ عدد المسيحيين بحسب إحصائية سنة ١٩٨٠، ٨٠.٩ر٤.١١ أى ٣٪ من مجموع السكان، وفى سيول عاصمة كوريا الجنوبية، توجد كنيسة واحدة تسمى «الكنيسة المركزية للإنجيل الكامل The Full Gospel Central Church». يقال إن فى عضويتها أكثر من ١٠٠.٠٠٠ شخص مما يجعلها أكبر كنيسة مفردة فى العالم. وفى سنة ١٩٧٣ اجتمع جمهور عدده ١٠٠.٠٠٥ شخص من أفراد الشعب فى ميدان عام فى سيول ليستمعوا إلى رسالة تبشيرية من «بيلى جراهام». وفى سنة ١٩٨٠ اجتمع حشد من الناس فى نفس الميدان، بلغ عددهم ٢٧٠.٠٠٠ وهذه تعتبر الآن أضخم خدمة تبشيرية فى التاريخ، وهناك ٥٨ مدرسة وكلية، ومائتى مركز طبى و ١.٨ مدرسة لاهوت، وتسع محطات راديو / تليفزيون مسيحية، وهذه كلها تقوم الكنيسة بتشغيلها وإدارتها، كذلك تتحمل الكنيسة الكورية نفقات ٦٢ مرسلًا تابعين لها يخدمون فى ثلاثين دولة (من بينها مصر).

طوائف عديدة فى كوريا

وهناك جانب سلبي لكل هذا النشاط الدينى وهو الميل إلى انقسام الطوائف الكورية إزاء القضايا اللاهوتية والسياسية. وبعض هذه المذاهب استوردتها المرسلون، لكن بعضها الآخر حدث من داخل الكنائس. وحتى سنة ١٩٨٠ كان مجموع الكنائس المنفصلة والمختلفة فى كوريا ١٨٨ كنيسة، وبعضها انتحل أسماء غريبة مثل: (كنيسة إنجيل خيمة الاجتماع السماوية) Heavenly Gospel Tabernacle Church أو (جمعية إنجيل يسوع لنهاية العالم المرسل) Jesus End of the World "Gospel Missionary Society" توجد أيضاً «The Holy Spirit Association for the Unification of World Christianity» «رابطة الروح القدس لتوحيد مسيحية العالم» التى أسسها سن مايونج موون Sun Myung Moon الذى يدعى أنه سيكون رسول ديانة جديدة تحل مكان الديانتين اليهودية والمسيحية.

الكنيسة تنمو فى الهند

زاد عدد المسيحيين فى الهند من ٣٨٢.٠٠٠ فى سنة ١٩٠٠، إلى ٢٧٠.٠٠٠ فى سنة ١٩٨٠. وهذا يعادل ٤٪ تقريباً من مجموع السكان، وينتظر أن تصل بالنسبة إلى ٥٪ فى سنة ٢٠٠٠. وقد بلغ عدد الطوائف المنفصلة فى الهند فى سنة ١٩٨٠ - ٣٣. طائفة، وفى ١٩٧٣ كان عدد المرسلين العاملين فى الهند ٦٠٠٠ مرسل. لكن الحكومة فى السنوات الأخيرة اتخذت خطوات مشددة لتحد من منح تصاريح عمل لمرسلين جدد، وتواجه حياة المسيحيين فى الهند بعض الصعوبات بسبب التحيزات الاجتماعية، لكن لا توجد سياسة رسمية من الحكومة للتمييز فى المعاملة، وعلى العموم فإن حرية العبادة والتعليم والخدمة والشهادة بقيت مكفولة.

مشكلة التحركات الجماعية

ربما كان على الكنيسة فى الهند أكثر من أى دولة أخرى أن تتعامل مع فرصة الحركات الجماعية ومشاكلها. فبعد بداية تبشير الناس بالإنجيل، كانت قبائل بأكملها تقرر التحول للمسيحية. وبالإضافة إلى الصعوبة العملية فى إجراءات العماد الجماعية، كانت هناك مشكلات التربية وتطوير القيادة و وتنظيم الكنيسة، الخ. كان التخوف أساساً من أن مثل هذه الجماعات التى فى أصلها بدائية تتحول تدريجياً إلى نوع من مسيحية (الدرجة الثانية)، وهذا بدوره يجعل عضويتهم غير مقبولة لدى قطاعات الكنيسة الأكثر علماً ومعرفة.

ومع أن بعض هذه التحركات الجماعية ارتدت إلى الوثنية فى الجيلين الثانى والثالث، إلا أن البعض ظلوا مثابرين، بل وصل أفراد منهم إلى مراكز قيادية. مثال مشهور منهم هو الدكتور د. ت. نايلز Dr. D. T. Niles أحد قادة الكنيسة الهنود العظام فى هذا العصر. وقد اعتنق والده المسيحية لمنافع مادية. "A rice Christian" إذ كان بدائياً بسيطاً انجذب إلى الكنيسة لأن المرسلين زودوه بالطعام. ورغم أن دخوله كان لأجل الحصول على الأرز، إلا أن الروح القدس كان يعمل فى هذه العائلة بوضوح.

المسيحيون فى جنوب الباسفيك والجنود الاستراليون

ذكرنا فيما سبق المجهود المرسل وسط المتوحشين أكلة لحوم البشر فى جزر الباسفيك (تاهيتى، وفيجى وجزر سليمان الخ). وحدث أثناء الحرب العالمية الثانية أن جنوداً استراليين جنحت سيفنتهم فنزلوا فى العديد من هذه الجزر. وبينما توقعوا الأذى والشر، فقد ذهلوا بما لاقوا من ترحيب ودى حاد من سكان الجزر الذين سبق أن قبل أجدادهم الإيمان المسيحى. وهكذا كتب أسقف غينيا الجديدة:

«إنهم يقومون بأعمال مثل التى يعملها المسيح، لكنهم أكثر من ذلك، أعلنوا المسيح للاستراليين. والحقيقة أن الكثير من الجنود الاستراليين الذين ربما لم يروا أبداً شبيهاً للمسيح فى حياتهم فى أرض وطنهم وقد شاهدوه فى وجوه هؤلاء الملائكة السمر المحبوبين» (*)

آراء وثنية فى ثوب مسيحى

هناك ظاهرة تستحق الإشارة فى جزر الباسفيك (كما فى أفريقيا) وهى انبعاث آراء وثنية فى ثوب مسيحى، مثال ذلك حركة تسمى «طقوس شحنة السفينة "Cargo Cult" التى تمثل بوضوح كيف يعمل العقل البدائى. والسؤال الذى يسأله المواطن لنفسه هو هذا:

«كيف يتأتى للرجل الأبيض أن يكون غنياً بهذه الدرجة المدهشة، فى حين أننا لا نشاهده يعمل، أعمالاً شاقة بالذات؟ إن سفنه تستمر فى جلب البضائع له بدون انقطاع... ومارأينا قط الرجل الأبيض يدفع شيئاً فى مقابل هذه البضائع، والظاهر أنه يحصل عليها كلها مجاناً. وترسل إليه من مخازن ملأى لا تنضب وتملكها قوات عليا. لذلك توجد علاقة بين ثراء الرجل الأبيض وديانته. إن المرسلين البيض يقدمون الإنجيل لأهل البلاد، لكنهم لم يقدموا سر الوصول إلى هذه الثروة. من أجل ذلك يجب على السكان أن يكتشفوا هذا السر لأنفسهم» (**)

(*) Neill, op. cit., p. 475

(**) Ibid, p. 476

طقوس شحنة المركب

ونتيجة لهذا التفكير برزت «طقوس شحنة المركب» فى محاولة لوضع صيغة عن طريق شعائر دينية تكشف عن سر الرجل الأبيض. حدث فى سنة ١٩٦١، أن أحد أهالى غينيا الجديدة، لما اختلط عليه معنى تضحية المسيح، سمح لنفسه أن يُقتل بأيدي قبيلته اعتقاداً منه بأن هذا الإجراء يجتذب رقماً سحرياً يقود الشعب إلى ثروة الرجل الأبيض. وبالرغم من خيبتهم فى هذه المحاولة فقد ثابر هؤلاء الناس البسطاء فى بحثهم عن سر غنى الرجل الأبيض. فى بعض الحالات برز عن « طقوس شحنة المركب» الاعتقاد بمجىء المسيح الثانى الذى سيصل على مركب (أو طائرة) حاملاً معه كنزاً عظيماً يجعل الشعب يعيش فى رفاهية إلى الأبد.

نمو الكنيسة الأفريقية

الصورة الدينية كلها فى أفريقيا غير واضحة، فقد انتهى عصر الاستعمار فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وجاءت إلى الوجود دول أفريقية مستقلة. وعاشت الكنائس فى وسط هذه التغييرات المذهلة لكنها اكتسبت أشكالاً مختلفة، وهى فى معظم الحالات ذات شخصية أفريقية أصيلة وواضحة. ومن المستحيل فى مجال هذا الكتاب أن ننظر إلى الدول فرادى، أو نحلل كل التطورات، لكن الشيء المؤكد هو أن الكنيسة نمت نمواً هائلاً، ويتضاعف عدد المسيحيين الأفارقة من كل الطوائف مرة كل ١٢ سنة، ويبلغ عدد السكان المسيحيين فى الوقت الحاضر ٢٣٦٢٧٨٠٨٥ وهو ما يعادل ٤٥٪ من سكان القارة.

عدد وأنواع الأنبياء الجدد والكنائس

ظاهرة تكاثر الطوائف، أكثر انتشاراً فى أفريقيا منها فى أى جزء آخر من العالم. فى إحصائية سنة ١٩٦٨ بلغ مجموع الكنائس أو المذاهب المختلفة ٦٠٠٠، كثير منها بأسماء غريبة الشكل:

«كنيسة زيت الخروع الأفريقية الميتة "The African Castor Oil Dead Church"

«كنيسة أورشليم الرسولية الأفريقية المصلحة "The African Correctly Apostoli"

Jewsalem Church.

"The Sunlight Four Corners Apostolic for Witness of God Church" (كنيسة نور الشمس ذات الاركان الأربعة الرسولية الشاهدة لله).

ومذاهب وكنائس أخرى كثيرة... وقد استنتج أولئك الذين درسوا هذه الظاهرة أن لها جذورها في العقلية الأفريقية القبلية. فإن هناك احتياج اجتماعي عميق لقائد ذي شخصية قوية مغناطيسية تقف وسط الشعب كل يوم، وأنهم يتقبلون بسرور الاعتقاد المسيحي في الله، والمسيح والروح القدس-لكن هذا الاعتقاد يجب أن يتجسد في شخص حي يمكنهم أن يشاهدوه ويلمسوه. هكذا ظهر في أفريقيا عدد كبير من الأنبياء الواحد تلو الآخر، الذين يقدمون أنفسهم كمفسرين للإيمان المسيحي.

النبى هاريس Harris

مثال ذلك كان النبى «هاريس»، الذى ابتدأ التبشير في سنة ١٩١٤ على «ساحل العاج». وصفه شاهد عيان قائلاً: إنه شخص مهيب الطلعة، تزينه لحية بيضاء، طويل القامة. أبيض اللباس، معمم الرأس، يرتدى روبا أسوداً، وفي يده صليب عال. وعلى حزامه ثمرة قرع بداخلها حبات يابسة يهزها ليكون لها إيقاع مع ترانيمته» (*)

كانت رسالة النبى «هاريس» البسيطة تعبر عن اعتقاد في إله واحد، وإعدام الأوثان القبلية، وحفظ السبت وتحريم الزنى. وقد وعد بأن آخرين قادمين بعده الذين يستكملون تعليم الشعب في الإيمان المسيحي. ثم اختفى هاريس بعد ذلك. ووجد المرسلون الذين دخلوا المنطقة بعد عشر سنوات أن حوالى ٤٥٠٠٠ تعمّدوا على يد هاريس. هنا كان الأساس لكنيسة وطنية.

إلهام من أثيوبيا.

في بعض الحالات تطلع الأفريقيون إلى كنيسة أثيوبيا القبطية الأرثوذكسية كمصدر إلهام لهم، ذلك أنها الكنيسة الأفريقية الوحيدة جنوب الصحراء الكبرى

(*) Neill, op. cit., p. 492

التي لها جذور تاريخية (المجلد الثاني صفحة ٢٤). وإذا كان «م.م. موكون M.M.Mokone» أحد الرعاة المرسلين، يحلم بكنيسة أفريقية جامعة، فقد انشق من طائفة الميثوديين لينظم (كنيسة أفريقيا الأثيوبية)، متخذاً مزمو ٣١:٦٨ موضوعاً لهدفه.

«كوش» تسرع بيديها إلى الله. (وكوش هي أثيوبيا).

شيمبي نبياً ومسيحياً Shembe

في العشرينات من هذا القرن أنشأ النبي Isaiah shembe إشعيا شيمبي من قبيلة الزولو «كنيسة الناصرة الأفريقية» "an African Nazarite Church" واختار مكاناً مرتفعاً كمركز للعبادة دعاه «جبل صهيون جديد A New Mount zion» وقد تحول ذلك بسرعة إلى القول إن على جبل صهيون جديد يمكن أن يظهر أيضاً المسيح جديد. وعلى ذلك بدأ أتباع شيمبي ينظرون إليه على أنه المسيح الجديد، ولم يمنعهم هو عن ذلك.

مسيحية أصيلة وأفريقية أصيلة

يستطيع المرء أن يقدر بل يعجب بهذا الطموح الجدير بالاعتبار للجمع بين مسيحية أصيلة وأفريقية أصيلة. ولا شك أن أحد أبرز الأمثلة هي كنيسة الثلاثة مليون عضو، التي أسسها «سيمون كيمبانجو» Simon Kimbangu في زائير. قضى كيمبانجو في السجن ثلاثين سنة بأمر البلجيكيين الاستعماريين.

لكن الكنيسة التي تحمل اسمه هي الآن عضو في «مجلس الكنائس العالمي». "World Council of Churches"

تعليم أصلي وغريب

هذه الكنائس الأفريقية الوطنية تتميز بحيوية هائلة وقوة كامنة للنمو. لكن توافقها المستقبلي داخل أسرة العالم المسيحي يطرح أسئلة محيرة. فالمرء يتعجب كيف يمكن لعلماء «الكتاب» الغربيين أن يتجاوزوا مع التطبيق الآتي لأحد أمثال

المسيح:

«كان هناك عشر عذارى، خمس بيض وخمس سود. البيض الخمس كن جاهلات لكن السود الخمس كن حكيما ولديهن زيت فى مصابيحهن. كل العذارى العشر وصلن إلى الباب، لكن العذارى الخمس البيض تلقين نفس الإجابة التى تلقاها الرجل الغنى... البيض سيذهبن متوسلات أن يغمسن طرف أصبعهن فى ماء بارد لكنهن سيسمعن إجابة كهذه «لا أحد يستطيع أن يحكم مرتين»»(*)

ز - المسيحية العالمية فى سنة ١٩٨٠

المسيحية ديانة عالمية

«أصبحت المسيحية خلال القرن العشرين أوسع الديانات العالمية انتشاراً فى التاريخ، فاليوم يوجد مسيحيون وكنائس مسيحية منتظمة فى كل منطقة مأهولة فى العالم. لذلك فإن الكنيسة الآن، ولأول مرة فى التاريخ، مسكونية بكل المعنى الحرفى لهذه الكلمة. تتساوى حدودها فى الاتساع مع الاوكمينيين "Oikumene" أى كل العالم الأهل بالسكان»(**) (المسكونية).

الأعداد تزيد لكن النسب المثوية تنقص

هذه كلمات «دافيد باريت David B. Barrett مؤلف الموسوعة المسيحية العالمية "World Christian Encyclopedia" إنه يفرز بيانه بأرقام وفيرة المعنى (بعضها سبق اقتباسه). كان عدد سكان العالم المسيحى فى سنة ١٩٨٠، ١٠٠٠ ٦٨٦ ٤٣٢ ١٠٠، وما يساوى ٣٢.٨٪ من عدد سكان العالم. هذا العدد يتزايد بمعدل ٢١٦ مليون نسمة كل سنة. لكن الواقع أن النسب المثوية تتناقض. ففي سنة ١٩٧٥ كانت النسبة ٣٣.٢٪، وفى سنة ١٩٠٠، ٣٤.٤٪. والسبب فى تناقص النسبة هو أن النمو السكانى المسيحى لا يخطو بسرعة نمو سكان العالم. أكثر من ذلك فإن نسبة المسيحيين فى العالم الغربى آخذة فى الهبوط. فى الاتحاد السوفيتى مثلاً تناقصت نسبة المسيحيين العابدين من ٨٣.٦٪ إلى ٣٦.١٪ فى هذا القرن. ويقدر عدد

(*) Quoted by Johnson, op. cit. p. 501

David B. Barrett, World Christian Encyclopedia, Oxford University Press,

المسيحيين الذين يتوقف نشاط إيمانهم في أوروبا وأمريكا بـ ٧٦.٠٠ شخص كل يوم. أما الزيادات الكبرى فأتية من قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية نتيجة جهود المرسلين في القرنين الأخيرين.

الأجناس الملونة تفوق في عددها الجنس الأبيض

في سنة ١٩٠٠ كان ٨١٪ من السكان المسيحيين في العالم من البيض. لكن في سنة ١٩٨١ نجد أن السود، والحمرة والصفر، والسمرة هم الأغلبية. وبحلول سنة ٢٠٠٠ ينتظر أن تصبح نسبة الملونين ٦٠٪، وأكبر نسبة من المتحدثين بلغة واحدة ستكون الشعوب الناطقة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية وفيها ١٧٣ مليون عضوا

معظم المرسلين الآن من هيئات غير طائفية

هناك تغير ذو مغزى في المجهود المرسل. فمن بين الـ ٢٤٩٠٠٠ مرسل العاملين حول العالم، يوجد نحو ٣٢٥٠٠ مرسل من دول غير غربية مثل كوريا. أما عدد المرسلين الذين أوفدتهم الكنائس الرئيسية (وأهمها الطوائف البروتستانتية) فقد تناقص كثيراً منذ الحرب العالمية الثانية. لكن هذه الخسارة كانت أكثر من أن تعوضها البعثات غير الكنسية مثل انتر فارسي -Inter Varsi- و"هيئة الخدمة الروحية للمسيح" campus Crusade for christ والملاحون Navigators وإرسالية السودان الداخلي "Sudan Interior Mission" التي تعمل بمفردها ١٣٠٠ مرسل في كل أفريقيا وغيرها، وهذه بعض الإحصائيات الهامة: في سنة ١٩٥٧ كان ٤٢٪ من كل مرسل في الولايات المتحدة من كنائس أعضاء في مجلس الكنائس العالمي، وفي سنة ١٩٦٩ انخفضت هذه النسبة إلى ٢٨٪، وفي سنة ١٩٧٥ نزلت إلى ١٤٪

العمل المتبقى

إرسالية المسيح للعالم مستمرة في وقتنا الحاضر، وهناك على الدوام تطبيق طرق جديدة، خصوصاً عن طريق الإذاعات المسموعة والمرئية التي تصل كل يوم إلى آلاف

السامعين والمُشاهدين الذين لم يسمِعوا قط عن الإنجيل من قبل. ومع ذلك فهناك الكثير لإيجازه. ومع أن الإنجيل حتى سنة ١٩٨١ ترجم إلى ١٨١١ لغة، فلم يزال هناك ٥٢٠٠ لغة يتحدث بها ١٨٥ مليون يعوزهم معرفة الكتاب المقدس. وفي تقدير المختصين أن ثلث سكان العالم لم تصلهم قط رسالة الإنجيل، وأن ثلثاً آخر منهم تلقوا فقط عرضاً سطحياً للإنجيل.

إن مهمة الكنيسة لم تكتمل بعد، وعصر الإرسالية لم ينته بعدُ لأن الحركة المرسلية الحديثة هي إلى حد ما، قصة سلسلة، يقدم الكاتب فيما يلي قائمة منفردة بالقراءات والمراجع التي يوصى القراء بالرجوع إليها عند الحاجة.

BIBLIOGRAPHY

Because the Story of the Modern missionary movement is more or Less a consecutive one the writer is giving the recommended readings in a single listing as follows:

1. Barrett, David B. **World Christian Encyclopedia**, Oxford University Press, 1982.

2. Carver, William Owen, **The Course of Christian Missions**, Fleming H. Revell, 1939

3. **Christianity, a World Faith**, A Lion Handbook, Lion Publishing, England, 1985.

(This book gives an illustrated summary of the contemporary Situation of the church throughout the world.)

4. **Eerdmans Handbook to the History of christianity**, Grand Rapids, Michigan, 1977, pp.460-478,546-568.

5. Johnson, Paul, **A History of Christianity**, Atheneum, New York, 1977, pp. 399-422;440-457;498-502.

6. Latourette, K.S. **A History of Christianity**, Harper and Brothers, New York, 1953, pp. 1063-1334.

(This book is a condensation of Latourette's major work which in Mits final five volumes provides the most extensive survey of the modern missionary movement in the English Language.see below.)

7. latourette, k.S., **A History of the Expansion of Christianity**, Harper and Brothers, New York, 1944, Seven Volumes, (The Last five devoted to the modern missionary movement and its results

8. Neill, Stephen. **A History of Christian Missions**, penguin, Middlesex, England, 1964, vol. 6 of the pelican History of the church. (This book is the best recent single volume on the Subject and is highly recommended.)

9. TEF Study Guides 5,8, and 14

Foster, John **The First Advance**, London, 1972

Foster, John, **Setback and Recovery**, London, 1974

Thomson, Alan, **New Movements**, London, 1976



General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

هذا الكتاب

يتناول هذا المجلد (الجزء الخامس)
تاريخ الكنيسة بدءا بالقرن السابع عشر
وحتى القرن العشرين مستعرضا أهم
الشخصيات التى كان لها دور بارز فى
تاريخ الكنيسة ، والأحداث التى شهدتها
فأثرت عليها وتأثرت بها، ولذلك كان
لا بد من التعرض لحركات التنوير .
والمذهب العقلانى وبدايات العصرية
وموقف رجال الكنيسة الليبراليين من
نظرية التطور ، وعلاقة العلم بالدين ثم
الاتجاهات اللاهوتية فى القرن العشرين
ولم يغفل الكاتب موضوع الصحوة
الكبرى فى أمريكا ودور الإرساليات
المؤثر فى تاريخ الكنيسة .

